الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN : ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ‏ ‏ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ‏ ‏ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٣ ـ ٥**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي عشر

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

أسئلة تحتاج إلى جواب:

وحيث إن هذا الشاب هو الذي اختار أن يأخذ المصحف إلى الناكثين مع علمه بأنه سيقتل، فإن السؤال الذي يحتاج إلى الإجابة عنه هو:

ألا يعد ما أقدم عليه هذا الشاب إلقاءً بالنفس في التهلكة، وقد نهى الله تعالى عن ذلك؟!

وإذا كان كذلك، كيف يطلب منه علي «عليه السلام» أن يلقي بنفسه إلى التهلكة؟!

وكيف لم يعترض المسلمون عليه في ذلك؟!

وهل يصح اعتبار هذا دليلاً على مشروعية العمليات الإستشهادية؟!

وهل هناك فرق بين العمليات الإنتحارية والإستشهادية؟! وهل؟! وهل؟!

ونقول في الجواب ما يلي:

قتال العدو في التشريع الإسلامي:

إن الله تعالى قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وسخَّر له ما في السماوات والأرض، وعززه وكرمه، فقال سبحانه: **(لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)**(1)، ثم هو قد شرَّع له الكثير الكثير من الأحكام التي تدخل في نطاق حفظ كيانه ووجوده، جسداً، وعقلاً، وروحاً, ومشاعرَ, وأحاسيسَ, وبيّن له كل ما يفيد في حفظ كرامته, وتأكيد قيمته ومكانته, وحرّم العدوان عليه أيّما تحريم, حتى لقد ورد في الأحاديث: لزوال الدنيا أهون على الله من دم سفك بغير حق(2), بل هو منع حتى من التقطيب في وجهه, وحذّر حتى من مقاطعته في كلامه, فضلاً عمّا هو أشد وأبعد من ذلك..

ثم إنه تعالى قد رسم له: أن أيّ تجاوز للحدود على الناس منوط بإجازته سبحانه ورضاه.. مبيّناً له مواضع هذا الرضا, وأنها هي الدفاع عن النفس, ودفع العدو المهاجم, ولكن بمقدار ما تفرضه ضرورات هذا الدفاع, فإذا كان هذا العدوان يندفع بالصيحة في وجه المتعدي, لم يجز التعدي عن ذلك إلى ضربه مثلاً..

---

(1) الآية 70 من سورة الإسراء.

(2) ميزان الحكمة ج3 ص2496 والكامل لابن عدي ج3 ص145 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج15 ص32 وتهذيب الكمال ج9 ص237.

ثم جوّز له محاربة من يسعون في الأرض فساداً, ويهلكون الحرث والنسل, ولكن بالمقدار الذي يمنعهم ويردعهم عن ذلك, ويحفظ للحياة رونقها، وبهجتها، وسلامتها.

ثم جوّز القتال لدفع الظلم والإستضعاف عن الناس، وتخليص المظلومين من أيدي جلاديهم وظالميهم, صوناً لكرامة الإنسان وحفظاً للحياة الإنسانية.

ثم إن الجهاد دفاعاً عن النفس لا يحتاج إلى استصدار إذن من الإمام «عليه السلام»، بل الإذن فيه حاصل تلقائيّاً، لأنه مقتضى الفطرة، ولأن فيه صيانة للنوع الإنساني, وحفظ لحياة الناس، وإشاعة للأمن والسلام فيهم..

القتال لأجل الدنيا:

وأمّا قتال الناس لأجل التسلّط عليهم, ولأجل الحصول على بعض المنافع الدنيوية، فهو من أعظم الجرائم وأبشعها، وأفظع الموبقات وأقبحها عند الله تعالى, وعند العقلاء.

وهو عمل أنانيّ ـ سواء أصدر من فرد أو من جماعة ـ يعبّر عن العجز, وعن ضيق الأفق, ويظهر سطحية النظرة, وخطل التفكير, واختلال التوازن, ويعبر عن نفس مريضة, يهيمن عليها الشعور بالخزي, والخيبة، والإندحار القاتل واللئيم, وهو بتر وفناء، وإعدام، وشقاء لا سعادة معه, وفساد لا صلاح فيه..

الإستشهاد في سبيل الله:

أما الإستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن النفس، والدين، وعن المستضعفين, فما أجلّ فوائده, وأكثر بركاته وعوائده، لأنها فوائد وعوائد تكون بحجم هذا السبيل الواسع والرحب, الذي هو بحجم الكون كله, والشامل للحياة كلها، في الدنيا والآخرة على حد سواء.

نعم, إن شهادة الفرد في ساحات الدفاع عن النفس والشرف، وعن الإنسان، والمال، والأرض، والعرض و.. و.. فهو بقاء وخلود, وكشف وشهود, وهو أيضاً نماء وازدياد, وهبات وبركات للبشر كلهم, فإن بقية السيف أنمى عدداً، من حيث إن هذه البقية تحفظ نفوس النوع البشري كله، وتصونها من الهلاك, والبوار, وهي نتيجة سمو روحي، ورؤية مستوعبة وشاملة, وانسجام حقيقي مع فلسفة الحياة, وانصهار تام مع أهدافها ومعانيها الكبرى, حيث يخلع الإنسان عن نفسه لباس الفردية، والشخصانية، والأنا، ليصبح تعبيراً عن الحقيقة الإنسانية كلها, فيكون ضميرها الحي، ووجدانها الرضي, الذي يعطيها معناها الأصيل, ليعمرها بإشراقته, ويثير فيها نبضات الحياة, في ظل رضا خالق الوجود وواهب البقاء والخلود..

الإنتحار لماذا؟!:

قد يبادر الإنسان إلى قتل نفسه ليأسه من روح الله، والفراغ الذي يعاني منه، وحين تواجهه مشكلة لا يجد لها حلاً، أو لأجل خيبة

أصيب بها، أو صدمة بعزيز على قلبه، أو لخسارة مني بها، أو نحو ذلك، وليس هذا ما نبحث عنه، بل نبحث عمن يفجر نفسه في عدوه، طمعاً بأن يعده الناس بطلاً، أو خوفاً من أن يقع في يد العدو، فيتعرض للتعذيب والأذى الشديد. أو لتوهمه أن قتله نفسه سوف يحرج العدو، كالذين يحرقون أنفسهم احتجاجاً على ممارسات دولهم، حيث لا يجد ـ بزعمه ـ وسيلة للتعبير عن رفضه أفضل من هذه الوسيلة..

أو لأنه يجد أن قتل نفسه يكون وسيلته لقتل عدوه، كالذي يتشبث بعدوه ويلقي به وبنفسه من شاهق، أو كالذي يفجر نفسه بنفسه وبعدوه.. فمن فعل ذلك يُنظر إلى هدفه، فإن كان هو الدفاع عن الدين وأهله، وعن المستضعفين، فهو طلب للشهادة.. وإن كان لغير ذلك، فهو انتحار.

وكلامنا هنا: في مشروعية هذا الشق الأخير.. والسؤال: هو عن أدلة هذه المشروعية.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن كلامنا عن العمليات الإستشهادية يختلف عن جميع هذه الصور والحالات، ولا مجال بعد هذا للمقايسة بين الإنتحار والإستشهاد في سبيل الله, فأين الثّرى من الثّريّا, وأين البقاء من الفناء, وأين الحياة من الموت.

النصوص الشرعية: اتجاهات ودلالات..

وإذا أردنا أن نعود إلى النصوص الشرعية ودلالاتها, فسوف نجد أن نفس تشريع الجهاد, والقبول بمبدأ الإستشهاد، يدل على أن الشارع قد قبل بمبدأ التضحية بالفرد في سبيل حفظ النوع, ولكنه عوّض هذا الفرد عن خسارته الدنيوية, بما هو أعظم وأهم, وأصلح, وأتم, حين منحه مقامات القرب, والرضا الإلهي، وغمره بالهبات والعطايا في الحياة الآخرة، حيث هيأ لحياته قوة ورسوخاً، وتألقاً وشموخاً سواء من حيث شدّة الحضور فيها, أو من حيث امتداداتها في العالم الآخر, الذي هو الحياة الحقيقية **(وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**(1).

العمليات الإستشهادية في الدليل الشرعي:

وإذا ألقينا نظرة على الناحية الفقهية في هذا الاتجاه، فسنجد: النصوص الشرعية وفتاوى الفقهاء تؤكد على حرمة الإنتحار، وتتوعد فاعله بالعقوبة في الآخرة..

وأما بالنسبة للعمليات الإستشهادية، فإن الحديث فيها تارة يكون عن تعريض الإنسان نفسه للقتل في سبيل الله، فهذا جائز بلا إشكال.. وقد حكي عن الشهيد «رحمه الله» في بعض تصانيفه قوله: «إن من

---

(1) الآية 64 من سورة العنكبوت.

الإلقاءات الجائزة المستحسنة للأنفس إلى الهلكة فعل من يعرض نفسه للقتل في سبيل الله، إذا رأى أن في قتله بسبب ذلك عزة الإسلام»(1).

وأما أن يتولى الإنسان قتل نفسه بنفسه في جهاده ضد الأعداء، فهذا هو محل البحث بين الفقهاء. فقد يقال بجواز ذلك، إذا كان فيه نكاية في العدو، وكان موجباً لكسر شوكته، وإلحاق الأذى الكبير به، وذلك استناداً إلى قواعد التزاحم، حين تكون هذه النكاية أهم بنظر الشارع من قتل المؤمن. بلحاظ ما يترتب عليها، من آثار عظيمة في حفظ النوع الإنساني، أو حفظ الدين، أو نحو ذلك.

ولعل هناك من يستشهد لصحة هذه المقولة بما لو تترس العدو بأسرى المسلمين، وتوقف ردع العدو، وتحقيق النصر على قتلهم، فقد أجاز الفقهاء الرمي باتجاههم حتى مع العلم بإصابة من تترس بهم، إذا كان ما يترتب على ذلك من نصر أهم بنظر الشارع من حياة هؤلاء. ولكنهم يقولون: إن على الرامي، أن لا يقصد الأسرى بالرمي، وإن علم أنه يصيبهم..

فإذا أجاز الشارع ذلك لأجل ردع العدو، وتسجيل النصر العظيم عليه، جاز للمجاهد إذا تحققت النكاية بالعدو، وتوقف عليه النصر، أن يتولى قتل نفسه، لينتج عنه قتل عدد كبير من الأعداء. وهذا ليس القياس الباطل، بل هو من قبيل قياس الأولوية، والإشتراك في المبرر

---

(1) روضات الجنات ج3 ص382 والكنى والألقاب ج1 ص315 عنه.

والسبب..

أدلة لا تخلو من مناقشة:

وهناك آيات وروايات وحوادث جرت قد يستدل بها على جواز إلقاء النفس إلى التهلكة، ولو بأن يتولى الإنسان قتل نفسه.. ولكنها لا تخلو عن نظر ونقاش، ونذكر من ذلك ما يلي:

1 ـ فاقتلوا أنفسكم:

وقد يستأنس لذلك أيضاً: بما قررته بعض الآيات القرآنية، وهي التالية:

ألف: تلك الآيات القرآنية التي تضمنت إيجاب قتل النفس ليس بواسطة الإلقاء بها في مواقع الخطر، وإنما بواسطة الإنسان نفسه، وهو ما أوجبه الله على بني إسرائيل لاتخاذهم العجل، حيث أمرهم بقتل أنفسهم عقوبة لهم.

قال تعالى: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[1].

إلا أن يقال:

أولاً: إن هذه قضية في واقعة، ولا يمكن تسريتها إلى سائر

---

(1) الآية 54 من سورة البقرة.

الوقائع، إلا بضرب من التمحل غير المقبول. إذ لعل توبة من يتخذ العجل تحتاج إلى ذلك..

ثانياً: إن الآية لم تحدد كيفية قتل النفس المطلوب منهم، وقد ذكرت الروايات: أن المراد: هو أن يقتل بعضهم بعضاً.. وهذا نظير قوله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ..**)(1).

إلا أن يقال: إن ذلك لا يتلاءم مع سياق الآية، حيث قالت: (**فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**) ولم تقل: فليقتل بعضكم بعضاً.

ب: هناك آية أخرى تقول: (**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً، وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً، وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً**)(2).

ونقول:

أولاً: إن هذه الآية، وإن كانت تتحدث عن أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولكن لا مجال للإستدلال بها أيضاً على جواز أن يتولى الإنسان قتل نفسه فعلاً، لأنها لم تطلب منهم أن يفعلوا ذلك،

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة البقرة.

(2) الآيات 66 - 68 من سورة النساء.

بل هي قد ذكرت قضية تقديرية تعليقية، تفيد أنهم يعصون الأوامر التي توجه إليهم، حتى لو كان الآمر هو الله المالك لأنفسهم، حين يأمرهم بقتل أنفسهم.

نعم.. هي تشعر بإمكانية تشريع كهذا، وأنه ليس من الممتنعات في مرحلة التصور العقلي، وإن كان ممتنعاً في مرحلة الوقوع. إما لعدم المقتضي، أو لوجود المانع.

ثانياً: لعل المراد: هو أن يتولى بعضهم قتل البعض الآخر أيضاً.. ولكن ذلك غير ظاهر من طريقة التعبير كما قلنا في الآية التي سبقتها.

3 ـ وتبقى هنا آية تقول: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً)[1]**.

فإن هذه الآية قد دلت على أن المنهي عنه هو قتل النفس عدواناً وظلماً، لا مطلقاً، فإذا ارتفع العدوان، وكان المطلوب للشارع هو النكاية في العدو، فإن قتل النفس لا يكون مورداً للنهي.

إلا أن يقال: إن الآية لم تحدد الفرق بين ما هو عدواني، وبين غيره، فلعل تولي الإنسان قتل نفسه داخل في العدوان والظلم الممنوع

---

(1) الآيتان 29 و 30 من سورة النساء.

عنه، وأن الذي لا يعد عدواناً وظلماً هو خصوص ما كان بيد العدو في ساحات الجهاد فيما لو علم أن عدوه سوف يقتله.

2 ـ ذبح إسماعيل:

وهناك مورد آخر فريد وهام جداً، سجله القرآن الكريم لنا، وهو قضية ذبح إبراهيم لولده إسماعيل «عليهما السلام»..

حيث إن إسماعيل ليس فقط لم يمانع في إجراء هذا الأمر، بل هو قد سلَّم نفسه مختاراً لذابحه..

قال تعالى: **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)**[1].

وهو قتل بيد الوالد الحبيب، وليس بيد العدو المحارب، وهو وإن كان بيد الغير، لا بيد نفس المقتول، ولكن المقتول نفسه هو الذي طلبه بقوله: «إفعل». إلا أنه لم يطلبه ابتداءً، وإنما انصياعاً لأمر المولى عز وجل.

وهناك تفاصيل وخصوصيات أخرى في هذه القضية ألمحنا إليها في كتابنا: «مقالات ودراسات»، فيمكن الرجوع إليه للإطلاع عليها..

ولكن هذه القضية تبقى قضية في واقعة لا مجال للقياس عليها،

---

(1) الآية 102 من سورة الصافات.

لأنها تدبير إلهي، يراد منه الإمتحان للأنبياء «عليهم السلام».

ويحتمل أن يكون للمورد هنا خصوصية تمنع من تسرية حكمه إلى غيره.

3 ـ قصة هارون المكي:

وروي: أن الإمام الصادق «عليه السلام» أمر هارون المكي بالدخول في التنور المسجور بالنار، حتى صار كالجمرة. فدخل إليه، وجلس فيه، دون تردد، ودون سؤال عن السبب.. فكان أن جعل الله النار عليه برداً وسلاماً(1).

ولعل هذه القضية أقرب النصوص ـ التي عثرنا عليها ـ دلالة على ما نحن بصدده، فالإمام «عليه السلام» يأمر هارون المكي بفعلٍ من شأنه أن يؤدي به إلى القتل، وهارون يطيع أمره، وليس في البين عدو مهاجم، ولا فاعل مختار آخر..

ولكن قد يقال: إن هذه القضية قد جاءت لتظهر معجزة للإمام «عليه السلام»، ولم تأت في سياق جهاد العدو، وهي امتثال لأمر الإمام الذي تجب عليه طاعته، فليس فيها مبادرة إلى القتل.. فالإستناد إليها يبقى بحاجة إلى محفزات، ومؤيدات..

---

(1) بحار الأنوار ج47 ص123 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص543 و 176 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص363 و 534 ومدينة المعاجز ج6 ص115.

4 ـ ما جرى لآل ياسر:

قد يستشهد لهذا الأمر بما جرى لآل ياسر، حيث كان المشركون يعذبونهم، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يقول لهم: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»(1).

فصبروا رضوان الله تعالى عليهم، حتى نالوا درجة الشهادة، ولعلهم كانوا على يقين بأن صبرهم هذا سوف يؤدي بهم إلى هذه النتيجة. والنبي «عليه السلام» قد أمرهم بالتحمل إلى أن ينالوا هذه الدرجة الرفيعة.

---

(1) الكامل في التاريخ ج1 ص490 و 497 و (ط دار صادر) ج2 ص67 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص255 واختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج1 ص127 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص6 وج12 ص281 وأسد الغابة ج4 ص44 وج5 ص98 و 481 وتهذيب الكمال ج21 ص215 وسير أعلام النبلاء ج1 ص409 والإصابة ج4 ص226 و 473 والعثمانية للجاحظ ص29 و 312 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج3 ص76 وسيرة ابن إسحاق (ط معهد الدراسات والأبحاث للتعريف) ج4 ص172 والسيرة النبوية لابن هشام ج1 ص211 والسيرة النبوية لابن كثير ج1 ص494 وسبل الهدى والرشاد ج2 ص360 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج1 ص483 والكنى والألقاب ج1 ص187 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص362.

إلا أن يقال: إن المقصود هو الصبر بمعنى عدم التخلي عن دينهم إذا لم يكن هناك طريق إلى منع تعذيبهم إلا ذلك.

5 - يحيى بن زيد:

إن الإمام الصادق «عليه السلام» قد أخبر يحيى بن زيد: بأنه يقتل، ويصلب، وهكذا كان(1).

إلا أن يقال: إن يحيى لم يكن من المعصومين ليكون فعله حجة، ولعل الإمام «عليه السلام» أراد بإخباره إياه بما يجري عليه أن يردعه عن الخروج.

6 - المعلى بن خنيس:

قال الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً للمعلى بن خنيس: إنك مقتول، فاستعد(2).

---

(1) إثبات الهداة ج3 ص88 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص51 و 52 ومدينة المعاجز ج6 ص133 - 142 ورياض السالكين ج1 ص69.

(2) بصائر الدرجات ص423 ومستدرك الوسائل ج12 ص297 و 298 وبحار الأنوار ج2 ص71 وج25 ص381 وج47 ص87 وخاتمة المستدرك ج5 ص305 و 308 ودلائل الإمامة ص285 والاختصاص للمفيد ص321 ومدينة المعاجز ج5 ص230 و 231 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص545 وإختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج2 ص676 ومستدركات علم رجال الحديث ج3 ص222 وقاموس الرجال للتستري

وهنا أيضاً قد يقال: إن المعلى سوف يقتل بيد غيره عدواناً، ولم يكن له سبيل إلى دفع ذلك عن نفسه.. فليس هو من الموارد التي تفيد فيما نحن فيه..

7 ـ صاحب فخ:

وقد أخبر الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً الحسين بن علي، صاحب فخ بأنه مقتول[1]، وقد روي ذلك عن النبي «صلى الله عليه وآله»[2].

وقد أقدم الحسين على هذا الأمر، طائعاً مختاراً، كما أقدم عليه يحيى وزيد وغيرهما، مع علمهم بذلك.

ويمكن أن يجاب:

بأن هذا القول منه «عليه السلام» لصاحب فخ، قد كان بعد أن

ج10 ص161.

(1) بحار الأنوار ج48 ص161 و 169 والكافي ج1 ص366 ومقاتل الطالبيين ص447 و 436 و 437 و (ط مؤسسة دار الكتاب ـ قم) ص298 وحياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي ج1 ص468 ومدينة المعاجز ج6 ص293 وشجرة طوبى ج1 ص166.

(2) مقاتل الطالبيين (ط مؤسسة دار الكتاب ـ قم) ص289 وشجرة طوبى ج1 ص166 ومستدركات علم رجال الحديث ج3 ص160 وتهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي ج2 ص419.

دخل الحسين بن علي «عليهما السلام» في المشكلة، حين أمر المؤذن أن يؤذن بحي على خير العمل، وهرب والي المدينة عنها، فلم يكن هناك مجال لدفع السلطة عن قتله..

8 ـ جعفر يعقر فرسه:

وهناك أيضاً قصة جعفر بن أبي طالب «عليه السلام» في حرب مؤتة، فإنه حين استقتل، هاجم أعداءه الذين يصل عددهم إلى مائة ألف مقاتل وهو يعلم: أنه مقتول. فقطعت يداه، ولم يحاول التخلص ولا التملص، بل واجه المصير الذي اختاره بكل رضىً، وكذلك فعل زيد بن حارثة، ثم عبدالله بن رواحة، وكان «صلى الله عليه وآله» يخبر الناس بما يجري، وهو بالمدينة، ولم تظهر منه «صلى الله عليه وآله» أية بادرة تشير إلى لومه لهم على إقدامهم على ذلك الخطر المحقق(1).

---

(1) راجع: البداية والنهاية ج4 ص278 و 279 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص321 والإصابة ج1 ص487 والكامل في التاريخ ج2 ص236 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص401 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج6 ص148 والمغازي للواقدي ج2 ص761 والسيرة الحلبية ج3 ص67 وتاريخ الخميس ج2 ص71 وبحار الأنوار ج21 ص50 و 51 و 54 و 61 و 62 وأمالي الطوسي ص87 و 88 وعيون الأثر ج2 ص167 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص69 ومقاتل الطالبيين ص7 والسيرة النبوية لابن هشام ج3 ص833. ومصادر ذلك لا تكاد تحصى

إلا أن يقال: إن قتل القادة الثلاثة بيد أعدائهم كان أمراً محتماً، فالموت واقع عليهم لا محالة.. فإذا استقتل المحارب، فإنه قد يرعب أعداءه، ويتمكن بذلك من الإمعان في قتلهم، والنكاية فيهم.

أدلة ربما تكون أقرب وأصوب:

إن التهلكة المقصودة بالآية: هي التهلكة الأخروية الناشئة عن الإمتناع عن الإنفاق في سبيل الله. أي بمعنى: أن يقوم الإنسان بفعل يسبب له سوء العاقبة، والخروج من الدنيا والله ساخط عليه..

وقد يراد بالتهلكة: التعرض لنزول العذاب الإلهي، كما في إهلاك القرى والأقوام بالعذاب النازل عليهم.

وقد يراد بالتهلكة: الإفساد، كما في قوله تعالى: **(وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ)**(1).

وقد يقصد بالتهلكة: الموت.. والكلام في جواز إلقاء النفس في التهلكة ناظر إلى هذا المعنى.. وقد قلنا: إن آية: **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**(2) ليست ناظرة إلى هذا المعنى.

ولعلنا نستطيع أن نجد هنا العديد من الدلائل والشواهد التي ربما تكون أوضح في الدلالة على جواز إلقاء النفس في التهلكة، بمعنى

لكثرتها..

(1) الآية 205 من سورة البقرة.

(2) الآية 202 من سورة البقرة.

تقديم النفس للموت إذا كان هناك ما هو أعظم وأهم بنظر الشارع، وحيث تكون التهلكة بيد العدو، نذكر منها ما يلي:

قتل النفس في الحديث والتاريخ:

هذا.. ونجد في التاريخ الإسلامي موارد كثيرة أقدم فيها أناس على خوض اللجج، وبذل المهج، وهم يعلمون علم اليقين بأن مصيرهم هو القتل والموت المحتم. ولو لأجل أن المعصوم «عليه السلام» أخبرهم بذلك. مع استمرار رضا المعصوم بمواقفهم، واعتبارهم شهداء عظاماً، ومؤمنين كراماً.

ونذكر من هذه الموارد ما يلي:

ألف: قصة زيد بن علي:

قصة زيد بن علي «رحمه الله»، الذي ضاق صدره ولم يعد يستطيع تحمل ما يراه من موبقات وجرائم يرتكبها الحكم الأموي بحق الإسلام، ورموزه، وشعائره، وبحق المسلمين. فأخبره الإمام الصادق «عليه السلام»: بأنه إن خرج عليهم ـ أي على بني أمية ـ فسوف يقتل ويصلب، فرضي «رحمه الله» بذلك، وأطلق حركته الجهادية. وكان الشهيد المصلوب في كناسة الكوفة «رحمه الله»..(1).

---

(1) راجع: عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج1 ص248 وبحار الأنوار ج47 ص128 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص225 و (ط مطبعة الحيدرية

وهي تدل على جواز إلقاء النفس إلى التهلكة، وحيث يقتل بيد الأعداء.

ب: عرض المصحف في الجمل وصفين:

ففي حرب الجمل أخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» مصحفاً وطاف في أصحابه، وقال: من يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول.

فطلبه فتى من أهل الكوفة، فأعرض «عليه السلام» عنه.

ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول.

فقال الفتى: أنا.

فدفعه إليه، فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى، فأخذه باليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدره، والدماء تسيل على قبائه، فقتل رضي الله تعالى عنه، فقال علي «عليه السلام»: الآن حلَّ قتالهم..[1].

ـ النجف) ج3 ص352 ومدينة المعاجز ج6 ص104.

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة ـ والأعلمي) ج3 ص522 ومناقب الخوارزمي ص186 والجمل للمفيد ص339 و 340 وتذكرة الخواص ص71 و 72 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص112 وبحار الأنوار ج32 ص174 والكامل في التاريخ ج2 ص261 و 262 و 529 وشرح الأخبار ج1 ص394 وأنساب الأشراف ج1 ص241 ومروج الذهب ج2 ص370 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص537 ووقعة الجمل للغلابي

وهكذا جرى في صفين[1].

فهذا المورد يدل أيضاً على جواز الإقدام على ما يؤدي إلى الهلاك بيد العدو، فيما لو كان هناك ما هو أهم بنظر الشارع.

إلا أن هذا يبقى من مصاديق تعريض النفس للقتل على أيدي الأعداء، وليس من مصاديق قتل النفس. والفارق أن هناك من يؤخذ بجرم قتله، أما في قتل النفس، فلا يوجد شخص آخر يؤخذ بجرم القتل، لأن المقتول هو الذي قتل نفسه.

ج: كربلاء:

أخبر الإمام الحسين «عليه السلام» أصحابه يوم أصيبوا، فقال: أشهد أنه قد أذن في قتلكم، فاتقوا الله، واصبروا[2].

وذكر لهم: أن جده «صلى الله عليه وآله» قد أخبره: أنه سيقتل بالمكان الفلاني مع أصحابه.. وأن أصحابه «عليه السلام» لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: **(يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**[3]»[1].

البصري ص37 و 38.

(1) راجع: صفين للمنقري ص244 و 245.

(2) كامل الزيارات ص73 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص152 وبحار الأنوار ج45 ص86 وعوالم العلوم (الجزء الخاص بالإمام الحسين «عليه السلام») ص156 و 319.

(3) الآية 69 من سورة الأنبياء.

ولما كانت الليلة التي قتل الإمام الحسين «عليه السلام» في صبيحتها قال لأصحابه: «أنتم في حلٍّ، فإنكم إن أصبحتم معي قتلتم كلكم».

فقالوا: لا نخذلك، ولا نختار العيش بعدك.

فقال صلوات الله عليه: إنكم تقتلون كلكم، حتى لا يفلت منكم أحد. فكان كما قال[2].

وثمة نصوص عديدة تشير إلى ذلك، فراجعها في مصادرها[3].

د: حبيب وبرير:

قال حبيب بن مظاهر لبرير بن خضير حينما اعترض عليه برير؛ لكونه رآه فرحاً: فأي موضع أحق من هذا بالسرور، والله، ما

---

(1) راجع: مقاتل الطالبيين ص62 والخرايج والجرايح ج4 ص848 وعوالم العلوم (الجزء الخاص بالإمام الحسين «عليه السلام») ص344 وبحار الأنوار ج45 ص63 و 80 وج53 ص61 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص196 و 237 والمزار لابن المشهدي ص473 ومختصر بصائر الدرجات ص37 وشجرة طوبى ج2 ص420 والإيقاظ من الهجعة ص324 ومختصر البصائر ص155 ومدينة المعاجز ج3 ص504 .

(2) بحار الأنوار ج45 ص89 وعوالم العلوم (الجزء الخاص بالإمام الحسين «عليه السلام») ص344 والخرايج والجرايح ج1 ص254.

(3) راجع على سبيل المثال: معاني الأخبار ص288 وبحار الأنوار ج44 ص297.

هو إلا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم، فنعانق الحور العين(1).

وخلاصة الأمر: أن أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام» كانوا يعلمون بأن مصيرهم هو الموت المحتم، وكان يمكنهم التخلص منه بالهرب تحت جنح الظلام، ومع ذلك هم يصرون على موقفهم، ولا يحاولون التخلص من مصيرهم هذا.

هـ: سعيد الحنفي:

وحينما أراد الإمام الحسين «عليه السلام» أن يصلي يوم عاشوراء، تقدم سعيد بن عبد الله الحنفي أمام الحسين «عليه السلام»، فاستهدف لهم، يرمونه بالنبل. فما أخذ الحسين «عليه السلام» يميناً وشمالاً إلا قام بين يديه، فما زال يُرْمى حتى سقط إلى الأرض، وهو يقول: «اللهم العنهم لعن عادٍ وثمودٍ الخ..»(2).

---

(1) عوالم العلوم (الجزء الخاص بالإمام الحسين «عليه السلام») ص334 وبحار الأنوار ج45 ص92 وتفسير جوامع الجامع ج1 ص130 وإختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج1 ص293 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص178 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص98.

(2) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص17 وراجع: مقتل الحسين للمقرم ص245 و 246 ومقتل الحسين لابن نما ص66 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص441 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص336 والكامل في التاريخ ج4 ص71 ومثير الأحزان ص74 وبحار الأنوار ج45 ص21 عوالم

و: مبيت علي × يوم الهجرة:

ومن الأحداث الهامة في هذا المجال قضية مبيت علي «عليه السلام» على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وقوله للنبي «صلى الله عليه وآله»: أوَتسلم بمبيتي هناك يا رسول الله؟!

قال: نعم، فسجد لله شكراً..

وقد أنزل الله سبحانه في هذه المناسبة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)**(1)»(2).

أي إن حفظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» واجب، فلو لم يبت علي «عليه السلام» لتوجه الخطر إلى النبي «صلى الله عليه وآله».. فكان لا بد من مواجهة الخطر لدفع ما هو أخطر منه.

ز: مَنْ لم يبرأ مِنْ علي ×:

سئل الإمام الباقر «عليه السلام» عن رجلين أُخذا، فقيل لهما:

العلوم (الجزء الخاص بالإمام الحسين «عليه السلام») ص265 ولواعج الأشجان ص156 واللهوف في قتلى الطفوف ص66 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص238 و 341 .

(1) الآية 207 من سورة البقرة.

(2) راجع هذه القضية مع مصادرها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج4 ص33 وفي كتابنا هذا ج2 ص136.

ابرءا من أمير المؤمنين، فبرىء واحد منهما فخلي سبيله، وأبى الآخر، فقتل.

فقال الإمام «عليه السلام»: أمّا الذي برىء، فرجل فقيه في دينه, وأما الذي لم يبرأ، فرجل تعجل إلى الجنة(1).

ح: ميثم التمار:

وروى الكشي بسنده إلى يوسف بن عمران الميثمي, قال: سمعت ميثم الهرواني يقول: قال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يا ميثم، كيف أنت إذا دعاك دعيّ بني أميّة عبيد الله بن زياد إلى البراءة منيّ؟!

فقلت: يا أمير المؤمنين, أنا والله لا أبرأ منك.

قال: إذن ـ والله ـ يقتلك ويصلبك.

قال: قلت: أصبر, فإن ذلك في الله قليل.

قال «عليه السلام»: يا ميثم, فإذن تكون معي في درجتي(2).

---

(1) الكافي ج2 ص221 والمكاسب للشيخ الأنصاري آخر رسالة التقية ص325. ووسائل الشيعة (آل البيت) ج16 ص226 و (الإسلامية) ج11 ص476 وبحار الأنوار ج72 ص436 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص577.

(2) رجال الكشي ص83 والمكاسب للشيخ الأنصاري، آخر رسالته في التقية ص325. ووسائل الشيعة (آل البيت) ج16 ص227 و (الإسلامية) ج11 ص477 والخرائج والجرائح ج1 ص229 وبحار الأنوار ج42 ص130

ط: الذي قتله مسيلمة:

بعث النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مسيلمة الكذّاب برسولين، فدعاهما إلى الإعتراف بنبوته لعنه الله، فأبى أحدهما، فقتله.

وقال الآخر: أنت ومحمد رسول الله (على سبيل التورية حيث أثبت الرسولية لمحمد «صلى الله عليه وآله» فقط. أي أنت أنت.. ومحمد رسول الله) فأطلق سبيله.

فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله», فقال: أما أحدهما فمضى على يقينه, وأما الآخر فأخذ بالرخصة الخ.. أو نحو ذلك[1].

ي: الزيارة رغم مخاطر الغرق:

ألف: روى عنهم «عليهم السلام»: أنهم قد حثّوا على زيارة الإمام الحسين «عليه السلام» حتى مع احتمال الموت غرقاً، فقد ذكر بعضهم: أنه قيل للإمام الصادق «عليه السلام»: يا ابن رسول الله، إن

وج72 ص433 وشجرة طوبى ج1 ص79 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص577 وإختيار معرفة الرجال (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج1 ص295 ورجال ابن داود ص194 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص312.

(1) راجع: بحار الأنوار ج29 ص405 والتبيان للطوسي ج2 ص435 ومجمع البيان للطبرسي ج2 ص274 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص642 وتفسير القرآن للصنعاني ج2 ص363 والنصائح الكافية ص226.

بيننا وبين قبر جدك الحسين لبحراً, وربما انكفأت بنا السفينة في البحر.

فقال: لا بأس، فإنها إن انكفأت، انكفأت في الجنة(1).

ب: عن محمد بن جعفر القرشي، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد بن بشير السراج، عن أبي سعيد القاضي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» يقول فيها: «ومن أتاه بسفينة فكفت بهم سفينتهم نادى مناد من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة»(2).

ج: قال ابن قولويه: حدثني أبي «رحمه الله»، وعلي بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن أحمد بن حمدان العلاني، عن محمد بن الحسين المحاربي، عن أحمد بن ميثم، عن محمد بن عاصم، عن عبدالله بن النجار قال: «قال لي أبو عبدالله «عليه السلام»: تزورون الحسين «عليه السلام»، وتركبون السفن؟!

قلت: نعم.

قال: أما تعلم أنها إذا انكفت بكم نوديتم، ألا طبتم وطابت لكم

---

(1) نظرتنا الفقهية في الشعائر الحسينية ص11.

(2) كامل الزيارات ص134 و 135 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص257 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج14 ص458 و (الإسلامية) ج10 ص358 وبحار الأنوار ج98 ص36 وجامع أحاديث الشيعة ج12 ص433.

الجنة»[1].

ك: الفرار من الوباء:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن الوباء يكون في ناحية المصر، فيتحول الرجل إلى ناحية أخرى، أو يكون في مصر فيخرج منه إلى غيره؟!

فقال: لا بأس، إنما نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك لمكان ربيّة[2] كانت بحيال العدو، فوقع فيهم الوباء، فهربوا منه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الفارّ منه كالفارّ من الزحف، كراهية أن تخلو مراكزهم[3].

---

(1) كامل الزيارات ص135 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص257 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج14 ص458 و (الإسلامية) ج10 ص358 وبحار الأنوار ج98 ص25 وجامع أحاديث الشيعة ج12 ص433 وفضل زيارة الحسين تأليف محمد بن علي بن الحسين العلوي الشجري ص57 و 58.

(2) الربيئة: العين على العدو، ولا يكون إلا على جبل، أو شرف.

(3) الكافي (ط مطبعة النجف ـ النجف الأشرف ـ العراق) ج8 ص93 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص429 و 430 و (الإسلامية) ج2 ص645 والتحفة السنية (مخطوط) للجزائري ص339 .

وقريب من ذلك: ما رواه الصدوق عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله «عليه السلام». وثمة روايات أخرى بهذا المضمون فراجع(1).

ففي هذه الرواية:

أولاً: إنه «عليه السلام» لم يحتم على ذلك السائل التحول والإبتعاد عن موضع الخطر، بل قال له: لا بأس..

إلا أن يقال: إن كلمة «لا بأس» قد وردت في مورد توهم الخطر، فهي تدل على عدم العقاب على الفعل الذي ارتكبه السائل متوهماً حرمته.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد أوضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حتم على الربيئة (أي العين على العدو) أن لا يهرب من الطاعون، لكي لا تخلو تلك المراكز منهم. واعتبر ذلك كالفرار من الزحف.

---

(1) معاني الأخبار ص254 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص430 و 431 و (الإسلامية) ج2 ص645 و 464 وعلل الشرائع ج2 ص520 و 521 ومسائل علي بن جعفر ص117 وبحار الأنوار ج6 ص121 و 122 وج108 ص82 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص171 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج6 ص274 و 342 وقصص الأنبياء للجزائري ص357.

وذلك معناه: أن الضرر النوعي مقدم على الضرر الشخصي. فلا بد من دفع الأول ولو بقيمة تعريض النفس للثاني، فكيف يقال: إن فعل ما فيه ضرر قبيح ذاتاً بحكم العقل؟! أليس هذا يدل على أن عروض عنوان ثانوي يوجب جعل هذا الأمر حسناً ومطلوباً؟!

وقد ذكر المؤرخون: أن الرباب بنت امرئ القيس بن عدي، زوجة الإمام الحسين «عليه السلام» قد بقيت سنة بعد الحسين «عليه السلام»، «لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً»(1).

وإنما نورد هذا شاهداً على ما نقول، على أساس أن الظاهر يقتضي أن يعلم الإمام السجاد «عليه السلام» بحالها، لا سيما بعد أن طال عليها الأمر، ومضت الأشهر الكثيرة حتى بليت وماتت..

فكيف لم ينهها عن هذا؟! ولو أنه نهاها، فلا نظن أنها كانت تعصي له أمراً ما دامت محبة لأهل البيت «عليهم السلام» إلى حد التفاني فيهم، فهل هي تحب الوالد ولا تطيع لولده الوحيد أمراً، وهو إمامها؟!

---

(1) الكامل في التاريخ (مطبوع مع تاريخ القرماني) ج4 ص39 و (ط دار صادر) ص88 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص255 وتاريخ مدينة دمشق ج69 ص120 ومستدركات علم رجال الحديث ج8 ص574 والأعلام للزركلي ج3 ص13 وسكينة بنت الحسين «عليه السلام» تأليف الدكتورة عائشة بنت الشاطئ ص68 ومصادر ذلك كثيرة، تجدها في ترجمة الرباب في مختلف كتب التراجم التي تعرضت لحالها.

بل هذا الذي ذكرناه يرفع من مستوى هذه القضية لتصبح دليلاً لا مجرد شاهد ويمن الإستيناس لهذا الأمر بقوله تعالى حكاية لكلام أبناء يعقوب لأبيه: **(تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ)**(1)، فإنه يقدم على أمر يحتمل أن يؤدي به إلى الهلاك بصورة إختيارية، ولأجل شيء مرتبط به نفسه، وليس في مجاهدة العدو.

الكلمة الأخيرة:

وبعد.. فإننا نعود فنذكّر بما يلي:

1 - إن عدداً من الموارد المتقدمة تفيد جواز الإقدام على ما يترتب عليه القتل المعلوم والمؤكد, إذا كان بيد العدو, ومشروعية أن يجعل الإنسان نفسه في معرض القتل, ويمكّن العدو من نفسه، إذا كان هناك هدف أهم بنظر الشارع، وبذلك يكون تكليف الإنسان المؤمن هو الإقدام, ويكون تكليف العدو هوالإحجام, والإنصياع لحكم الإسلام. فالأول مطيع, والثاني عاص..

وليس فيها دلالة على مشروعية أن يتولّى الإنسان قتل نفسه لأجل النكاية بالعدو. إلا أن يستفاد من اتحاد الملاك, وتوفر المقتضي الملزم المستنبط من تلك الموارد على سبيل القطع واليقين..

2 - قد يقال: إن الموارد التي تقدمت تصرح: بأن الإمام أو النبي

(1) الآية 85 من سورة يوسف.

كان حاضراً, وناظراً, وموافقاً على ما كان يجري، وليس الأمر في مثل هذه الأعصار كذلك, فإن الإمام ليس هو الذي يدير معركة الدفاع ضد العدو المهاجم, أو يريد منع الإفساد, فإذا كان ذلك جائزاً لأولئك, فليس بالضرورة أن يكون جائزاً لهؤلاء..

ونجيب:

بأن الجهاد الدفاعي قد شرّعه الله تعالى أيضاً, وقد يحتاج دفع العدو وتحقيق النكاية فيه إلى مواقف من هذا القبيل, فإذا أثبتنا مشروعيَّتها في زمن المعصوم استناداً إلى الملاك والمقتضي الملزم المستنبط على نحو القطع واليقين, ثبتت مشروعيّتها في كل زمان, وفي كل جهاد أذن به الشارع.

نماذج تاريخية:

ونشير ـ على سبيل الإستطراد ـ إلى أن مما يدخل في سياق الحديث عن إقدام الإنسان على الموت المحتم، وإن كان لا يصلح للإستدلال به.

1 ـ ما يذكرونه: من أن عبد الله بن حذافة شهد ملك الروم, وهو يعرض النصرانية على بعض الأسرى, فيأبون, فيأمر بإلقائهم في إناء فيه زيت مغلي. وأن ابن حذافة هو الآخر قد أبى ذلك, مع علمه بأن الموت المحتم سيكون مصيره(1).

---

(1) قاموس الرجال ج5 ص426 والإصابة ج2 ص296 و (ط دار الكتب

2 ـ ما يذكرونه من موقف نضالي ورسالي لابن السكِّيت من المتوكل وابنيه, فإنه قال له: من أحب إليك, أنا وولداي المؤيّد والمعتز, أم علي والحسن والحسين؟!

فقال: والله، إن شعرة من قنبر خادم علي خير منك ومن ولديك(1).

فكان مصيره القتل بصورة بشعة، وفظيعة.

وخلاصة ما تقدم: أننا لم نجد في النصوص ما يدل دلالة صريحة على جواز أن يتولى الإنسان قتل نفسه في جهاد عدوه إلا إذا أخذنا بقواعد التزاحم، واستفدنا من هذه الموارد والأحداث والأحاديث

العلمية) ج4 ص52 وسير أعلام النبلاء ج2 ص14 وأسد الغابة ج3 ص212 و (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج3 ص143 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص491 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص609 وتاريخ مدينة دمشق ج27 ص358 و 359 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص361.

(1) النجوم الزاهرة ج2 ص318 وراجع: وفيات الأعيان ج6 ص397 و 398 وسير أعلام النبلاء ج12 ص18 وقاموس الرجال ج9 ص460 وج11 ص128 عن السيوطي في الطبقات، والكنى والألقاب ج1 ص314 و 315 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص83 وعن بهج الصباغة ج3 ص338 وج9 ص383 عن المعجم، وتاريخ الخلفاء ص348 وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج18 ص552 وفلك النجاة للحنفي ص100.

ملاك الحكم على نحو القطع واليقين. فيمكن حينئذٍ لنا أن نستفيد جواز أن يتولى الإنسان قتل نفسه، ليقتل معه أعداداً كبيرة من الأعداء، إذا أوجب ذلك النكاية فيهم، وكسر شوكتهم، أو توقف دفع العدو المهاجم وتحقيق النصر العظيم عليه.

الباب العاشر

نصائح واحتجاجات في الميدان..

الفصل الأول: احتجاجات ونصائح..

الفصل الثاني: علي × يلقى الزبير..

الفصل الثالث: وقفات مع لقاء علي × والزبير..

الفصل الرابع: نظرة في لقاء علي × بطلحة والزبير..

الفصل الخامس: قتل الزبير: حدث ودلالة..

الفصل السادس: ترهات.. وأباطيل حول قتل الزبير..

ملحق: لهذا ظلم الفرزدق..

الفصل الأول:

إحتجاجات ونصائح

جارية بن قدامة ينصح عائشة:

وعن القاسم بن محمد، قال: أقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين، والله، لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح. إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة. فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك، فإنه يرى قتلك.

وإن كنت أتيتنا طائعة، فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس[1].

ونقول:

1 - إن قتل عثمان يبقى أمراً مرتبطاً بشخصٍ استأثر فأساء الأثرة، وبأناس جزعوا فأساؤا الجزع.

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص465 والكامل في التاريخ ج2 ص318 والإمامة والسياسة ج1 ص88 والبداية والنهاية ج7 ص233 وتذكرة الخواص (ط الحيدرية ـ النجف الأشرف) ص67.

أما خروج عائشة على الجمل، فإنه يمثل انتهاكاً لحرمة القرآن، وجرأةً على شرائع الله وأحكامه، وفتح بابٍ عظيم الخطر على الأمة بما يعطيه للمرأة من دور سلبها الله إياه في قرآنه، وعلى لسان رسوله.. من حيث تأسيسه لسابقةٍ في الترؤس على الأمة، وقيادتها لها إلى حيث الفشل والخيبة، والسقوط، فإنه لم يفلح قوم تملكهم امرأة..

2 ـ وهو أيضاً يمثل انتهاكاً لحرمة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وتصغيراً لمقامه، من حيث تصبح زوجته سبباً في قتل الألوف، ويُتم عشرات الألوف من الأطفال. وتمزيق ألوف العائلات. بلا سبب سوى أنها أرادت أن تنفس عن حقدها على إمام المسلمين علي «عليه السلام».

كما أنها تريد العبث بنظام الأمة، وإثارة القلاقل فيها، تحت غطاء زوجيتها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وبالاستفادة من محبة الناس وتقديسهم له..

ثم إن نفس أن يرى الناس وجوب قتالها، يستبطن تجويزهم لقتلها، ودخولهم في ذلك بصورة عملية.. وهذا وإن كان له مبرر شرعي من حيث لزوم درء الفتنة، وحفظ نظام الأمة، والدفاع عن إمامها، إلا أن وصول الأمور إلى هذا الحد يعد مصيبة معنوية في حد نفسه، ولو لم تقتل بالفعل..

3 ـ ثم إن جارية بن قدامة قد أفسح المجال لعائشة للخروج من المأزق الذي وضعت فيه نفسها، حين طرح أمامها معادلة تقول: إنها

قادرة على هذا الخروج، لأنها إن كانت قد خرجت طائعة، فقرار الاستمرار والانكفاء يعود إليها.. وإذا وجب عليها أن تختار الإنكفاء، امتثالاً لأمر الله ورسوله.. فلا شيء يمنعها من ذلك.

وإن كانت مستكرهة على الخروج فيمكنها الخروج من المأزق أيضاً: بأن تستعين بالناس على كف من يظلمها ويقهرها على أمر لا تريده.. وبذلك يكون قد أحرجها، ولم يترك لها للتعلل سبيلاً، ولا عن الرجوع ودرء الفتنة بديلاً.

عمار يسكت أصحاب الجمل:

قال ابن الزبير: سمعت عماراً يقول لأصحابنا: ما تريدون وما تطلبون؟!

فناديناه: نطلب بدم عثمان، فإن خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم.

فقال عمار: لو سألتمونا أن ترجعوا عنا، بئس الفحل، فإنه ألأم الغنم فحلاً، وشرها لجماً، ما أعطيناكموه.

ثم التحم القتال وناديناهم مكِّنونا من قتلة عثمان، ونرجع عنكم.

فنادانا عمار: قد فعلنا، هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشاً، فابدؤوا بهم، فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذل لكم الحق.

فأسكت ـ والله ـ أصحاب الجمل كلهم(1).

ونقول:

إن هذا النص يشير إلى الحقائق التالية:

1 - إن الناكثين هم الذين جاؤوا للحرب، فهم المهاجمون. وأصحاب علي «عليه السلام» إنما يدافعون عن أنفسهم..

2 - إن الناس إنما يرفعون شكاواهم إلى علي «عليه السلام»، وهو الذي ينصف المظلوم من ظالمه، فما بال أصحاب الجمل يعكسون الأمر؟!

3 - إن ابن الزبير وأصحابه ليسوا هم أولياء دم عثمان.. ليصح منهم أن يطالبوا بدمه!!

4 - إن عماراً «رحمه الله» أرشدهم إلى أنه قد كان الأحرى بهم أن يعلنوا رجوعهم عن الحرب، وأن يطلبوا من علي وأصحابه أن يعفو عن جرمهم المتمثل بخروجهم على إمامهم، وإخلالهم بنظام الأمة..

5 - إن عماراً «رحمه الله قد اعتبر جماعة الناكثين بمثابة قطيع

(1) الجمل للشيخ المفيد ص365 و (ط مكتبة الداوري) ص195 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص211 وقال في هامشه: الجمل ص364 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص183 وأنساب الأشراف ج3 ص57 والأخبار الطوال ص151.

غنم، وقادتهم هم فحول ذلك القطيع، والعادة تعطي: أن الفحل هو ألأم الغنم، وشرها لجماً، وأن السيطرة عليه، ولجم تحركاته صعبة. وهذا هو حال قادة ذلك الجمع..

وبذلك يكون قد أفسح المجال لعامة المقاتلين للإنسحاب من المعركة، والإعتذار عن المشاركة، وتحميل المسؤولية للقادة. وبيَّن أن لؤمهم يدعوهم إلى الإصرار، وأن من الصعب عليهم التراجع عن مواقفهم.

6 - إن الخضوع لمطالب الناكثين يشكل سابقة خطيرة، من حيث أنها تؤسس لفهم خاطئ لأحكام الشرع والدين، فيما يرتبط بأحكام القضاء، والقصاص، والحقوق وطاعة الأئمة، وغير ذلك..

7 - وكلمة عمار التي أسكتت أصحاب الجمل كلهم تعطي: أن جميع أصحاب الجمل كانوا على علم بما فعله طلحة والزبير وعائشة بعثمان.. وأن إنكار ذلك يدخلهم في فضيحة ظاهرة، ويوقعهم في مأزق صعب، لا خلاص لهم منه.. كما أنه يفقدهم الثقة ببعضهم، بشكل كبير وخطير..

غيرة الزبير:

لقد وجه عمار بن ياسر «رحمه الله» خطابه للزبير بن العوام، ليفهمه أنه لم يكافئ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جميل خاص أسداه «صلى الله عليه وآله»، حيث حفظ له زوجته حين كان

«صلى الله عليه وآله» في جماعة، ومرت أسماء زوجة الزبير، فأعرض عنها هو وأصحابه، أو مد عليها سجافاً حتى مضت..

بل كافأه بالسوء وفعل مع زوجة الرسول «صلى الله عليه وآله» ضد ذلك، حيث أظهرها على جمل في ساحة الحرب، وجعلها هي وجملها راية لعسكره، حتى قتل المئات والألوف حول ذلك الجمل الذي يحملها..

وإذا كان الزبير يغار على زوجته إلى حد أنه يتأذى من رؤيتها تمر في الطريق، وهي في غاية الستر والإحتشام.

فهل يمكن أن لا يتأذى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا علم أن زوجته تتنقل في البلاد، وتلقي الخطب في مجاميع الرجال، وتقف وسط معركة طاحنة على جمل، وتكون هي وجملها راية العسكر، وتقطع حولها الأيدي، وتزهق الأرواح؟! بل تكون هي المحرك والقائد، والمتسبب بكل هذه المصائب والبلايا للناس؟!

إلى ماذا تدعين؟!:

وقد سأل عمار عائشة: إلى ماذا تدعين؟!

ونقول:

1 - ألم يكن عمار يعلم إلى ماذا تدعو عائشة؟!

ونجيب:

لا شك في أنه كان يعرف ذلك.. ولم يزل منذ عدة أشهر، وإلى

تلك اللحظة يرى ويسمع، ويحاور ويناقش ويستدل على مبعوثي عائشة.. ويرد على كلمات أنصارها. ولكنه أراد أن يعرِّف الناس بالسماع المباشر منها، وذلك في اللحظات الأخيرة: أن الدعوة دعوتها، وأنها لم تأت للصلح، بل جاءت للحرب..

فما كانت تقوله لبعض الناس من أنها جاءت تريد الصلح، كان لأجل أغراض لها أخرى، كما أنه «رحمه الله» يريد أيضاً أن يدفع الشائعات والأعذار الواهية التي لا زلنا نسمعها من محبيها وأنصارها، الساعين للتخفيف من وطأة الكارثة التي حلت بالمسلمين بسبب سياساتها هذه.

وقد أوضح «رحمه الله» ذلك حين توجه للناس، وقال مؤكداً بأكثر من وسيلة: أنهم يعلمون من هو الممالئ في قتل عثمان، فلم يجدوا جواباً له إلا الرشق بالنبل..

2 ـ يضاف إلى ذلك: أن كلامه «رحمه الله» يعطي أن الناس كلهم حتى الذين جاؤوا مع الناكثين كانوا يعلمون أن الناكثين كانوا يطالبون بغير الحق، وأنهم بغاة على إمامهم..

وقد يقال: إن كلامه الواضح بالنسبة لذلك الجمع، لا يخلو من غموض بالنسبة إلينا، لأنه «رحمه الله» تعالى أشار إلى أن الخارجين كانوا بغاةً. فهل أراد به بغيهم على إمامهم الذي له في عنقهم بيعة صحيحة، ومجمع عليها وعلى صحتها، فيكون عطف كلمة «والطالب بغير الحق» من عطف المغاير؟! أو أراد: أنهم باغون ـ بالمعنى

العام، أي أنهم يتعمدون الباطل، من حيث إنهم يطلبون ما لا يحق لهم طلبه، ويتهمون الأبرياء، ويمارسون الظلم والإعتداء.. ويكون قوله: والطالب بغير الحق، عطف تفسير وإيضاح.

ونجيب:

إن ظاهر العطف هو التأسيس والمغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، لا التأكيد، والتفسير والتوضيح.. ولكن النتيجة واحدة على أي حال، لأن المقصود هو إقامة الحجة على الناكثين، وإظهار أنهم مبطلون. فعليهم أن يبحثوا عن مخرج مما هم فيه، وجميع المخارج لا بد أن تؤدي إلى الرجوع عن الظلم والتعدي.. أو القبول بالخزي في الدنيا، وعقاب الله في الآخرة..

نصائح عمار، وعلي × للناكثين:

ويقولون: إن عمار بن ياسر قام بين الصفين، فقال: أيها الناس! ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم في الخدور، وأبرزتم عقيلته للسيوف، وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع، فدنا عمار بن ياسر من موضعها، فنادى: إلى ماذا تدعين؟!

قالت: إلى الطلب بدم عثمان.

فقال: قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق، ثم قال:

أيها الناس! إنكم لتعلمون أينا الممالئ في قتل عثمان[1].

نصائح عمار بن ياسر:

ويقولون: إن عمار بن ياسر قام بين الصفين، فقال: أيها الناس! ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم في الخدور، وأبرزتم عقيلته للسيوف[2].

وفي نص آخر: أنه خاطب بذلك الزبير بن العوام ـ وكان «صلى الله عليه وآله» قد لقي أسماء في بعض أزقة المدينة، ومعه جماعة من أصحابه، فأعرض عنها، وأعرضوا أيضاً حتى ذهبت.

وقيل: مد عليها سجافاً خوفاً من غيرة الزبير[3].

وجاءت عائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب، قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع.

---

(1) مروج الذهب ج2 ص270 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص207 عنه.

(2) مروج الذهب ج2 ص362 و (ط أخرى) ج2 ص370 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص207 عنه، وراجع: تذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص72 والجمل لابن شدقم ص127 و 128.

(3) تذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص72.

فدنا عمار من موضعها، فنادى: إلى ماذا تدعين؟!

قالت: إلى الطلب بدم بعثمان.

فقال: قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق.

ثم قال: أيها الناس! إنكم لتعلمون أينا الممالئ في قتل عثمان[1].

ثم أنشأ يقول، وقد رشقوه بالنبل:

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي، واتصل. فحرك فرسه، وزال عن موضعه، وأتى علياً، فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين، وليس عند القوم إلا الحرب؟!

وفي نص آخر: وصاح علي «عليه السلام» كفوا حتى يبتدئوا بالقتال إلخ..[2].

وقد ذكرت الأبيات الآنفة الذكر بنحو آخر، وبزيادة أبيات، وقد ذكرناها في موضع آخر من هذا الكتاب..

ونقول:

---

(1) تذكرة الخواص(ط النجف ـ العراق) ص72 ومروج الذهب ج2 ص362 و (ط أخرى) ص370 و 371.

(2) تذكرة الخواص(ط النجف ـ العراق) ص72 ومروج الذهب ج2 ص362 و (ط أخرى) ص370 و 371.

علينا أن نلاحظ ما يلي:

خطاب عمار للناس:

تعودنا أن نرى الإدانة، تنصب على قادة التحرك، الذين يمسكون بالقرار، ويديرون دفة الأمور..

ولكن عماراً قد وجه اللوم إلى الناس أنفسهم هنا، لا لأن قرار الحرب والسلم بيدهم، بل لأنهم قادرون على تعطيل هذا القرار لدى من يسعى للإستئثار به، ويستفيد منه في إسقاط الخليفة الذي نصبه الله ورسوله لهم، وانعقد إجماع الأمة على البيعة له بعد قتل عثمان، مع العلم: بأن ذلك لا يعفي الناكثين من مسؤوليتهم عن قرارهم، بمحاربة علي «عليه السلام» والتسليم بالحق لصاحبه الشرعي، وتمكينه من ممارسة واجبه الإلهي في حفظ الأمة وهدايتها ورعايتها، وحفظها من الفتن ومن عدوان الظالمين والطامعين.

وقد أراد عمار بن ياسر أن يمد للناكثين يد المساعدة من خلال بيان خطأهم في المعادلة التي كرست قرار الحرب لديهم، ليمكِّنهم من إنتاج المعادلة الصحيحة.. على أساس أن الذي دعاهم إلى الحرب هو الإستجابة لرغبات عائشة، لأنها زوجة نبيهم، وأم المؤمنين، ويريدون بنصرتهم لها حفظ مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فبين لهم عمار: أن حفظ كرامة رسول الله «صلى الله عليه وآله» واجب شرعي لا ريب فيه، ولكنهم أخطأوا في التطبيق، فقد

أهانوه بنصرتهم لزوجته، بدلاً من أن يحفظوه وهتكوا حرمته بدلاً من صونها.. ودليل ذلك أنهم صانوا حلائلهم في الخدور، وأبرزوا زوجة نبيهم للسيوف، وهل هناك هتك للحرمات أعظم من إسقاط حرمة الدم؟! ألم يكن الأجدر بهم أن يجعلوا زوجة نبيهم بعيدة عن أن يفكر أي كان من الناس بجرحها أو بقتلها لكي يكف شرها عن نفسه؟!

تحصينات لجمل عائشة:

وقد لاحظنا: أن ثمة اهتماماً خاصاً بتحصين الهودج بأنواع مختلفة من الوسائل التي يصعب أن تخترقها السهام والرماح والسيوف.. مما يعني: أن وجود عائشة وسط تلك الحشود، وفي قلب المعركة لم يكن صدفة، ولم تأت للصلح أو للموعظة، ثم اشتعلت نار الحرب، فحوصرت بالمتقاتلين.. بل كانت هناك خطة مرسومة مسبقاً، تحدد موقع عائشة ومكانها في المعركة، مع معرفة تامة بما يحتاجه ذلك الموقع من وسائل حماية لمن يكون فيه..

الوصي في الناس، وعلى الناس:

عن سعيد بن كرز، كنت مع مولاي يوم الجمل، فأقبل فارس فقال: يا أم المؤمنين!!

فقالت عائشة: سلوه من هو؟!

قيل: من أنت؟!

قال: أنا عمار بن ياسر.

قالت: قولوا له ما تريد؟!

قال: أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بيتك، أتعلمين أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل علياً «عليه السلام» وصياً على أهله، وفي أهله؟!

قالت: اللهم نعم.

قال: فما لك؟!

قالت: أطلب بدم عثمان أمير المؤمنين.

قال: فتكلم.

ثم جاء فوارس أربعة فهتف بهم رجل منهم.

ثم قال: تقول عائشة: ابن أبي طالب ورب الكعبة، سلوه من هو؟ ما يريد؟!

قالوا: من أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قالت: سلوه ما يريد؟!

قالوا: ما تريد؟!

قال: أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بيتك، أتعلمين أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعلني وصياً على أهله، وفي أهله؟!

قالت: اللهم نعم.

قال: فما لك؟!

قالت: أطلب بدم أمير المؤمنين عثمان؟!

قال: أريني قتلة عثمان؟!

ثم انصرف، والتحم القتال(1).

ونقول:

إن هذا النص يتضمن الإشارة إلى العديد من الأمور، نذكر منها ما يلي:

علي × الوصي:

ذكرنا في فصل سابق من هذا الكتاب نصوصاً كثيرة تدل على أن كون علي «عليه السلام» هو وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كان أمراً شائعاً ومعروفاً في الأمة، وقد ذكر الناس ذلك كثيراً في الأشعار وفي الأرجاز في حروب الجمل، وصفين.. وذكر أيضاً في الإحتجاجات وفي المناشدات.. مع اعترافنا: بأن استقصاء ذلك في النصوص وفي المصادر متعسر جداً، بل متعذر.

---

(1) مجمع الزوائد ج7 ص497 و (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج7 ص237 والإيضاح ص77 وسعد السعود ص237 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص207 و 208.

وهذه المناشدة من عمار لعائشة هي أحد هذه الموارد، وقد قصد عمار منها:

أولاً: الإحتجاج على عائشة، وإلزامها بإقرارها..

ثانياً: لقد قصد بها أيضاً: إفهام الناس أن عائشة تقوم بعملها هذا وهي متذكرة لهذه الوصية، متعمدة للخلاف على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، متمردة على وصيه.. ولم تكن غافلة، ولا ناسية..

ثالثاً: لعله قصد أيضاً: أن يجعل أتباعها في تلك الحرب على بصيرة من أمرهم، ويزيل الغشاوة عن أعينهم، إن كانت!! ويضعهم أمام مسؤولياتهم الشرعية، ومسؤولياتهم الأخلاقية أيضاً تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمن جاء إلى هذه الحرب، رغبة في الذب عن حرمته «صلى الله عليه وآله»، ولأجل حفظه في زوجته، فإنه بنفس عمله هذا يخالف وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويعمل أو فقل: يساعد على نقضها..

رابعاً: ربما يكون المقصود بهذه المناشدة: الجمع بين الإحتجاج على الناكثين بالنكث تارة، وبالإمامة الثابتة بالنص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخرى، وبالبغي والتجني على الأبرياء ثالثة، وبالوصاية الخاصة رابعة.

وصي النبي ' في أهله، وعلى أهله:

وقد لاحظنا: أن عماراً تعمد النص على أمرين، وذلك في قوله:

«جعل علياً وصياً على أهله وفي أهله».. وقد أقرت عائشة بالأمرين معاً..

وهذا الأمران هما:

الأول: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل علياً «عليه السلام» وصياً على أهله، فيقع عليه هو واجب المبادرة إلى حفظ شؤونهم، وتدبير أمور الكبار والصغار من القاصرين وغيرهم.. وإذا كانت عائشة من أهله، فليس لها أن تقوم بأي عمل إلا بموافقته، ومن خلاله. ولا سيما في التصرفات العامة التي تخص أمته «صلى الله عليه وآله»، وهي من أوضح وأجلى موارد تصرفات الوصي في أهل الموصي..

أي أنه «صلى الله عليه وآله» جعل لعلي «عليه السلام» الولاية على أهله بعد وفاته بنفس المستوى من الولاية التي كانت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» على أهله في حياته..

الأمر الثاني: إنه «صلى الله عليه وآله» جعل له الوصاية في أهله. وهذا التعبير يستبطن معنى الإستخلاف له فيهم، أي أنه «صلى الله عليه وآله» جعل لعلي «عليه السلام» مقام الخلافة والمرجعية فيهم. فعليهم هم أن يبادروا إلى مراجعته في كل الأمور التي لا تتم بدونه.. ويجب مراجعة الخليفة في شأنها.

أي أنهم في كل أمر يرتبط برسول الله «صلى الله عليه وآله» وشؤونه، عليهم أن يرجعوا لعلي «عليه السلام»، سواء أكان من

الأحكام أو من التصرفات، أو من الولايات، أو غير ذلك..

فهو كقوله «صلى الله عليه وآله»: «إني تارك فيكم الثقلين».. وكقوله: «خليفتي فيكم..».

فإذا كان له «عليه السلام» مقام الخلافة والولاية على أقرب الناس لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فخلافته على غيرهم تكون بطريق أولى..

ولو كان هناك خليفة آخر للزم أن تتضارب الولايات في مورد الأهل. إذا فرض شمول ولاية الخليفة الآخر لهم..

وإن فرض عدم شمولها لهم لزم وجود خليفتين في الأمة.. ولا يصح ذلك حتى لو فرض محدودية دائرة ولاية أحدهما وصغرها.. فإن الخليفة والوصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» على الناس واحد..

ولم يقل أحد بولاية اثنين:

أحدهما: خليفة خاص في الأهل والأقارب.

وآخر: خليفة في سائر الناس..

أريني قتلة عثمان:

وقول علي «عليه السلام» لعائشة: أريني قتلة عثمان حجة أخرى له على عائشة، بأنها تدعي عليه أمراً لا واقع له، وهو أن قتلة عثمان معه وفي جيشه، والحال أنها لا تستطيع أن تثبت ذلك، ولا أن تشير إلى

أي واحد منهم بعينه، أو أن تذكر أسماً واحداً يحتمل أن يكون قد شارك في هذا القتل..

ولو كانت تستطيع الإلماح إلى أي واحد منهم لفعلت ذلك، لتخرج نفسها من المأزق، أو لذر الرماد في العيون. ولكنها تعلم أن الناس يعرفون بعضهم، وسيكون اتهام أي بريء منهم من موجبات سقوط محلها، وزيادة الإشكال عليها.. و..

واقعتان أم واقعة واحدة؟!:

قد يظن ظان: أن الرواية المتقدمة إنما هي لواقعة واحدة، ولكنها نُسبت تارة لعلي «عليه السلام»، وأخرى لعمار بن ياسر «رحمه الله»..

غير أننا نقول:

إن من الجائز أن يكون ذلك قد حصل مرتين:

إحداهما: مع عمار.

والأخرى: مع علي «عليه السلام».

كما لا يبعد أن يكون ذلك عن تبان واتفاق بينهما، لأنهما يريدان كشف الغشاوة عن أعين الناس، مع علمهما بأن الناس يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لعمار: «إنه مع الحق»، وقال لعلي «عليه السلام»: «علي مع الحق والحق مع علي»..

فشهادتهما لها أهمية فائقة، فكيف إذا صاحبها اعتراف وإقرار

من عائشة؟!

لماذا أربعة فوارس؟!:

وقد لاحظنا أخيراً: أن علياً «عليه السلام» لم يأت وحده، بل جاء بثلاثة فوارس معه، بالإضافة إلى عمار، مع أنه حين واقف الزبير برز إليه وحده..

وقد يكون السبب في ذلك: أنه أراد أن تعرف وتسمع تلك الجموع كلها جواب عائشة على هذا السؤال الهام، والدقيق جداً.

ويمكن لجماعة كثيرة من جيش عائشة أن تسمع وترى ما يجري، لأنهم محيطون بها وبجملها، وسيصغي الجميع لكل نغمة وهمسة تصدر من علي «عليه السلام»، ومنها في هذا الموقف.. وسيسأل من لم يسمع، لبعد موقفه، أو لأي سبب آخر ـ سيسأل ـ من سمع، وسيدقق فيما ينقل له بلهفة، وانتباه شديد.

أما جيش عائشة، فهو بعيد عنهم وعنها، فكان لا بد أن يصل إليهم الخبر، وأن يشاع بينهم.. ولم يكن من المصلحة الاقتصار على علي «عليه السلام» وعمار في ذلك.. فلعل هناك من لا يطمئن، أو فقل: لعل هناك من يشيع الريب في دقة، أو في صحة ما ينقل.. وقد يثار احتمال التباني بين علي وعمار على ادعاء هذا الأمر.. فجاء «عليه السلام» بأربع فوارس معه ليكونوا هم الصدى الذي يتردد في مسامع الجيش الذي معه، ويبلغهم بما جرى بدقة،

ليزيد يقينهم، وليبدد ريب المرتابين، وتقوم الحجة على المذبذبين.

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم:

1 ـ عن القاسم بن محمد قال: خرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله «صلى الله عليه وآله». وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيدك. وأرى أمكما معكما، فهل جئتما بنسائكما؟!

قالا: لا.

قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل..

وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها فهوت تشق البيد بالإيجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير هذا المخبر عنهم والكافي

2 ـ وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة، وكان محمد رجلاً عابداً، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان.

فقال: نعم.. دم عثمان ثلاث أثلاث: ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة. وثلث على صاحب الجمل الأحمر، يعنى طلحة. وثلث على علي بن أبي طالب.

وضحك الغلام، وقال: ألا أراني على ضلال!! ولحق بعلي، وقال

في ذلك شعراً:

سـألت ابـن طلحـة عـن هالـك — بجـوف المدينــة لــم يقبــر
فقـــال: ثلاثــة رهـــط هـــم — أمـاتوا ابـن عفـان واسـتعبر
فثلـث علـى تلـك فـي خـدرها — وثلــث علــى راكـب الأحمـر
وثلـث علـى ابـن أبـي طالـب — ونحــــن بِدُوِّيــــة قرقــــر
فقلـت صـدقت علـى الأولـين — وأخطأت في الثالث الأزهر[(1)]

ونقول:

في هذين الحديثين أمور يحسن التوقف عندها، وهي التالية:

الزبير حواري الرسول ’:

إدعاء أن الزبير حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد قلنا: إن هذا غير صحيح، فإن عمر حين جعل الزبير في الشورى

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص176 و (ط أخرى) ج4 ص465 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص482 و 483 والكامل في التاريخ ج2 ص318 والنص والإجتهاد ص438 و 439 وراجع: تاريخ المدينة ج4 ص1173 والإمامة والسياسة ج1 ص84 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص212 و 213 والفتنة ووقعة الجمل للضبي ص125 و 126 وقاموس الرجال ج8 ص223 و (ط أخرى) ج9 ص342 وعن بهج الصباغة ج6 ص122 وج4 ص689 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص467 و 468.

اعتبره يوماً إنسان، ويوماً شيطان.. ومن كان هذا حاله، حتى عند من يجعل له نصيباً في الخلافة بعده، هل يمكن أن يكون من حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ويؤكد ذلك: ما روي، من أن الزبير يقتل مرتداً عن الإسلام(1).

وحديث رضاه بحكم شيبة اليهودي.. ورضا اليهودي بالتحاكم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»(2).

ومع غض النظر عن مخالفات الزبير لأوامر الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وقتله النفوس التي حرمها الله وخروجه على إمام زمانه.. وغير ذلك.

فقد روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: إذا كان يوم القيامة نادِ منادٍ: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟!

---

(1) كتاب سليم بن قيس ج2 ص598 و (ط جديدة ـ مجلد واحد ـ تحقيق الأنصاري) ص162 وبحار الأنوار ج28 ص282 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص113 والصراط المستقيم ج3 ص171 .

(2) تفسير القمي ج1 ص141 وبحار الأنوار ج9 ص194 وج22 ص93 وج31 ص649 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص278 وتفسير نور الثقلين ج1 ص509 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص507.

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر إلخ..[1].

شلل أصبع طلحة:

وذكر الحديث المتقدم: أن طلحة وقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده.. وقد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب: أن هذا الأمر لا صحة له وذكرنا لهذا الأمر العديد من الدلائل والشواهد.

غير أننا نؤكد هنا على ما يلي:

ألف: ما رواه البلاذري عن هذه القضية، قال: رمى مالك بن زهير الجشمي النبي «صلى الله عليه وآله»، فاتقاه طلحة بيده، فأصاب السهم خنصره، فشلت، وقال حين أصابته الرمية: «حس»، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لو قال: «بسم الله» ولم يقل: «حس» لدخل الجنة[2].

---

(1) الإختصاص ص61 وبحار الأنوار ج34 ص275 وج22 ص342 وج46 ص343 و 344 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص157 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص6 و (نشر مؤسسة آل البيت سنة 1404هـ) ج1 ص41 وروضة الواعظين ص282 وخاتمة المستدرك ج4 ص371 وشجرة طوبى ج1 ص78 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص465 ونهج السعادة ج8 ص128 وتفسير نور الثقلين ج5 ص210 .

(2) أنساب الأشراف ج1 ص318 وراجع: المستدرك للحاكم ج3 ص369 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص253 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص217 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص76 وإمتاع الأسماع ج1

فأولاً: إن هذه الكلمة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، تعني أن شلل أصبع طلحة لم يدخل طلحة الجنة، لأنه لم يكن مستجمعاً للشرط الذي يؤهله لذلك ألا وهو ربط ما جرى له بالله تعالى. بل دلَّ قوله حين أصيب خنصره «حس» حيث لم يذكر الله تعالى: على أنه يعيش في جو آخر، هو الذي يطفح على لسانه بعفوية وبغير قصد..

ثانياً: إنها تعطي: أن طلحة إلى تلك الساعة لم يكن قد دخل الجنة، رغم صحبته، ورغم مشاركته في حرب بدر وغيرها.. فما يقال: من أنه «صلى الله عليه وآله» قال اطلع على أهل بدر، فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، أو فقد وجبت لكم الجنة»[1]. إما لا أساس له، أو أن هذه القصة لا أساس لها.

ص157.

(1) راجع: صحيح البخاري (ط سنة 1309هـ) ج2 ص110 وج3 ص39 و 129 و (ط مشكول) كتاب المغازي، غزوة بدر وج9 ص23 وفتح الباري ج6 ص100 وج8 ص486 وج7 ص237 عن أحمد، وأبي داود، وابن أبي شيبة، والبداية والنهاية ج4 ص284 وج3 ص328 عن الخمسة، ما عدا ابن ماجة، ومجمع الزوائد ج8 ص303 وج9 ص303 و 304 وج6 ص162 و 163 عن أحمد، وأبي يعلى، والبزار، وحياة الصحابة ج2 ص463 و 364 عن بعض من تقدم، والسيرة الحلبية ج2 ص203 و 192 ومجمع البيان ج9 ص269 و 270 وتفسير القمي ج2 ص361 والإرشاد للمفيد ص33 و 34 و 69 وصحيح مسلم (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص1941 والمغازي

ج2 ص797 و 798 وأسباب النزول ص239 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص47 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص58 وج17 ص266 وسنن أبي داود ج3 ص44 و 45 و 48 والتبيان للطوسي ج9 ص296 وأسد الغابة ج1 ص361 والدر المنثور ج6 ص203 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص93 و 439 و 440 والسنن الكبرى للبيهقي ج9 ص146 والسيرة النبوية لابن هشام ج4 ص39 و 41 ودلائل النبوة للبيهقي ج2 ص421 و 422 والجامع الصحيح ج5 ص409 و 410 ومسند الشافعي ص316 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص97 وتفسير فرات ص183 و 184 ولسان العرب ج4 ص557 والمبسوط للشيخ الطوسي ج2 ص15 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص48 و 49 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص143 و 144 وكنز العمال ج17 ص59 وتهذيب تاريخ دمشق ج6 ص371 وبحار الأنوار (ط بيروت) ج72 ص388 وج21 ص125 و 119 و 120 و 136 و 137 و (ط حجرية) ج8 ص643 عن إرشاد المفيد، وإعلام الورى، وتفسير القمي، وتفسير فرات، وعون المعبود ج7 ص310 و 313 والدرجات الرفيعة ص336 وزاد المعاد ج3 ص115 وعمدة القاري ج14 ص254 وتاريخ الخميس ج2 ص79 وترتيب مسند الشافعي ج1 ص197 والمحلى لابن حزم ج7 ص333 والجامع لأحكام القرآن ج18 ص50 و 51 وأحكام القرآن للجصاص ج5 ص325 وجامع البيان ج28 ص38 ـ40 والكامل في التاريخ ج2 ص242 وكشف الغمة ج1 ص180 والإصابة ج1 ص300 والبرهان في تفسير القرآن ج4 ص323 والإعتصام بحبل الله المتين ج5 ص500 و 501 والصافي (تفسير) ج5 ص161 ونهج السعادة ج4 ص28 ومعجم البلدان ج2 ص335 والمواهب اللدينة ج1 ص149 وبهجة المحافل ج1

ب: إن روايات إصابة يد طلحة مختلفة: فهل شلت إصبعه، أو إصبعاه، أو يده، أو قطعت أصبعه..

ج: قال الشعبي: «وزعم أن طلحة وقى رسول الله بيده، فضرب فشلت»[1].

وهذا يشير إلى أن الشعبي يشك في صحة هذا الزعم.

د: زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مسح جسد طلحة، ودعا له بالشفاء والقوة[2].

فلماذا لم تشف يده بدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

الإعتزال خطأ:

إن ما استند إليه ذلك الشاب السعدي ـ أي من بني سعد ـ في قرار اعتزال الفريقين لا يكفي لتبرير اعتزاله الفريقين معاً، بل هو يكفي إلزامه باعتزال فريق الناكثيين فإذا اعتزل الفريق الآخر أيضاً، فإنه قد يكون ظالماً وخاذلاً للحق، الذي يجب عليه نصرته..

وهذا التصرف إن دلّ على شيء، فهو يدل على:

ص188 و 400. وعن المصنف لابن أبي شيبة ج15 ص69، وعن تفسير الثعالبي ج4 ص289 وعن منهاج البراعة ج5 ص106.

(1) تاريخ الخميس ج1 ص431 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج10 ص438 عن الشعبي وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص490.

(2) دلائل الصدق ج3 ق1 ص259.

إما جهل هذا الشاب، وقلة تدبره في الأمور..

وأما على أنه جبن عن مواجهة هذا الموقف الصعب، الذي تزل فيه الأقدام، وتزهق فيه الأرواح والنفوس، فأراد التملص، والتخلص بهذه الطريقة..

محمد بن طلحة رجل عابد:

وقد تضمن النص المتقدم: أن محمد بن طلحة كان رجلاً عابداً..

ونقول:

إن عبادته لم تنفعه، فإنه نكث بيعة إمامه، وخرج إليه يحاربه، قال ابن سعد: إنه قاتل قتالاً شديداً[1].

حتى قتل وكان على الرجالة يوم الجمل[2].

وقال ابن قتيبة: وعلى القلب محمد بن طلحة[3].

وقد كذب حين ادعى: أن ثلث دم عثمان يقع على علي «عليه السلام»[4].

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص54.

(2) الجمل للمفيد ص343.

(3) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص66 و (تحقيق الشيري) ج1 ص89.

(4) تاريخ الأمم والملوك ج3 ص482 و 483 والفتنة ووقعة الجمل ص125 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص342 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4

وسيأتي بعض الحديث عنه، حين ذكر مقتله إن شاء الله تعالى..

نصيب علي × من دم عثمان:

وقد زعم محمد بن طلحة: أن ثلث دم عثمان على علي «عليه السلام»..

وهذا كلام باطل بلا ريب يصدر من شخص يدعون أنه كان عابداً، فما معنى أن ينطق هذا المتظاهر بالعبادة بغير الحق، وبخلاف الصدق؟!

بل ما معنى أن يجعل هذا الرجل ثلث دم عثمان على عائشة وعلى أبيه، ثم يدخل جيشهما، ويكون على الرجالة فيه، ويقاتل إمامه؟! أو فقل: يقاتل من يدعي هو أنه ليس عليه من دم عثمان إلا الثلث مع من يعترف هو أن عليهم ثلثي دم عثمان.. فأي إنصاف هذا؟! وأي عبادة تلك التي تجعل الإنسان يضع لنفسه معايير خاطئة إلى هذا الحد؟! بل مناقضة لما أمر الله تعالى ورسوله به من لزوم طاعته لا طاعة الهوى، ولا طاعة البشر فيما يخالف أمر الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تعالى..

ص1173 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص467 والنص والإجتهاد ص438 والغدير ج9 ص80 عن الطبري، وابن قتيبة. وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص62 و (تحقيق الشيري) ج1 ص84.

وهل البر بالوالدين يبيح للإنسان قتل الناس، والمشاركة في إثارة الفتنة بين المسلمين؟!

أو نكث البيعة والخروج على الإمام؟!

لماذا المطاولة، والتكرار؟!:

لعل الهدف من المطاولة، وعدم المبادرة للحرب، وتكرار النصيحة مرة بعد أخرى هو ما يلي:

1 ـ إن هذاالوقوف الطويل، قد يؤدي إلى الملل لدى بعض الناس، فيؤثر الإنصراف.

كما أن طول المكث هذا يبرِّد أجواء الإنفعال، والإندفاع تحت تأثير الخطب الحماسية، وإطلاق الشعارات البراقة، أو المثيرة لحمية الجاهلية.

2 ـ إن تكرار الحجة التي كان علي «عليه السلام» يواجه بها الناكثين، يمنح الفرصة لجميع من حضر وسمع، ليتأمل ويفكر، ويراجع حساباته، وقد يبصر بعضهم الحق، فيؤثره على الباطل.

3 ـ إن هذه المطاولة وذلك التكرار، من علي «عليه السلام»، ومواصلة الإصرار على الحرب من الناكثين، لا بد أن يقنع الكثيرين: بأن فريق الناكثين هو الساعي للحرب، والحريص على إثارة الفتنة، وأن علياً «عليه السلام» هو الذي يريد وأدها وإخمادها.. وتلافي حصولها..

4 - إن هذه المطاولة تمنح الفرصة للناس، لأن يرى بعضهم بعضاً، وربما كان بعضهم جيران بعض من في المعسكر الآخر.. وقد يخجل بعضهم من بعض، ويحرج بعضهم بعضاً.. فيوجب ذلك شعورهم بصعوبة ما يقدمون عليه، ويتبلور لديهم الإحساس بثقل هذا الأمر على نفوسهم.

5 - وربما يظهر طول المكث فرصاً للتخلص والتملص، ما يساعدهم على ابتكار وسائل تسهل عليهم الخروج من المأزق.

6 - ولعل هذه المطاولة تعطي قادة جيش علي «عليه السلام» الفرصة لرصد الثغرات في الجيش الآخر.. وتمكنهم من تقدير أعدادهم وإمكاناتهم، ومعرفة قادتهم، وتاريخهم، ودراسة حالتهم النفسية، بالنحو الذي يفيد في تحقيق النصر عليهم بأدنى الخسائر.

ألف: حجة علي × على عائشة:

وقد رأينا: كيف أن حجة علي «عليه السلام» كانت تركز على شقين:

أحدهما: يوجهه لعائشة، ويكتفي فيه بالإشارة إلى أن موقفها هذا يتضمن مخالفة لآية قرآنية صريحة، تأمرها بالقرار في بيتها..

ولم يشر إلى شيء يرتبط بظلمها له، ومشاركتها في التحريض على عثمان، وأمرها الناس بقتله..

ولعل سبب ذلك: أن ذكر هذه الأمور في مثل هذا الجو قد يبلبل

الأفكار، ويعطي الفرصة للناكثين للضرب على وتر العصبيات، وإطلاق الشعارات الرنانة حول عثمان وما جرى له..

كما أنه يفسح المجال للجدال العقيم في المبررات، وفي صحة ذلك أو عدم صحته..

والأهم من ذلك: أنه قد يفسح المجال للترويج: بأن دوافع علي «عليه السلام» للحرب شخصية، وانتقامية، وليس بصدد الدفاع عن حق وقضية ودين وإيمان..

فآثر «عليه السلام» أن يحصر الأمر في موضوع لا يمكن النقاش فيه، ولا التلاعب في دلالته..

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لا يزيد على الطلب منها أن تتقي الله تعالى، وأن ترجع إلى البيت الذي أمرها الله بالقرار فيه.. فلا يصرِّح لها بما يثير غضبها، ولو بأن يقول لها: لقد عصيت الله مثلاً..

بل هو يلوح في كلامه مع طلحة والزبير بما يشير إلى التخفيف من مسؤوليتهما، حين يلومهما على أنهما هما قد أخرجاها، وخبَّآ نساءهما، بل هو يصرح لهما بأنهما هما اللذان استفزاها..

وبذلك يكون قد مهد السبيل أمام كثير من أنصار عائشة لإدراك ضعف موقف عائشة من جهتين:

إحداهما: أنها امرأة تضعف أمام رأي الرجال، وتخضع لإرادتهم..

الثاني: أنها لم تنطلق في موقفها من رؤية واضحة، وفكر ثاقب، وإنما من استجابة لمشاعرها التي استفزها وأثارها الآخرون..

الثالث: إنما تطيع من لا يهتم لشأنها، أو يغار عليها، ويسعى لحفظ كرامتها.. وفي هذا تعريف لها: بأن عليها أن لا تثق بمن منطقه الكيل بمكيالين.. أو أنها على الأقل يجب عليها أن تعيد النظر في الأمور، وأن تدخل عناصر جديدة في حساباتها..

كما أن ذلك يفتح أعين الناس على مدى إمكانية الوثوق بمن يغرر ويغامر حتى بزوجة نبيهم، ولا يهتم لصون كرامتها، فهل يتوقع منه لو ظفر بما أراد أن يصون كرامة من ليس لهم موقع زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

فلماذا إذن يقتل الناس أنفسهم من أجلها، إذا كان هذا هو حجم الموضوع، وهذه هي آفاقه، ومبتدؤه ومنتهاه؟!

ب: حجة علي × على طلحة والزبير:

أما حجته «عليه السلام»، فكانت ترتكز هنا على أمرين:

أولهما: أمر أخلاقي، من حيث مجانبته لما يتوقع من أهل الكرامة من الغيرة على الأعراض، فكيف إذا وصل الأمر إلى هتك حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أكثر الأشياء حساسية له، ويتضمن ذلك له أذى وجرحاً روحياً بالغ الألم والعمق؟! ولعل هذه الخصوصية لا يفهمها الهمج الرعاع الذين جاء بهم الناكثون لحربه،

ولا سيما في مثل هذه اللحظات الحرجة التي تهيمن عليها الإنفعالات، والتشنجات العاطفية، ومعاني الشهامة والغيرة، والشمم والكرامة..

الثاني: الإشارة إلى أن طلحة والزبير قد مارسا الخداع واللعب على العواطف حتى مع زوجة نبيهم.. ومن شأن هذا أن يوقظ إحساس الناس بإمكان أن يكونوا هم أيضاً قد استُفزوا، وأُهيجوا، فإن من يستعمل هذا الأسلوب مع زوجة أقدس الخلق، هل يؤمن من أن يكون قد استعمل نفس هذا الأسلوب مع سائر الناس، لكي يوصلوه إلى أغراضه؟!

حجة الناكثين:

ويلاحظ هنا: أن الناقلين لم يذكروا لنا أن عائشة قد واجهت هذه الحجة العلوية بشيء، بل ران عليهم السكوت المطبق، والعاجز..

ولكنهم ذكروا لنا جواب طلحة والزبير على حجة علي «عليه السلام».. الذي تضمن أمرين، كلاهما يدينهما، ويهيء لفضح أمرهما.

أولهما: أنهما جاءا للطلب بدم عثمان..

وهذا يفتح الطريق أمام لفت نظر الناس إلى أنهما هما اللذان سعيا في قتله، وأجلبا عليه، وكانا من أشد الناس تحريضاً عليه، وأكثرهم جداً واجتهاداً فيه.. وأنهما يمارسان التزوير والتبرير غير المنطقي، الذي يصعب إخفاؤه حتى النهاية، بل سرعان ما ينكشف زيفه لكثير

من الناس..

الثاني: أنهما يريدان ردّ الأمر شورى..

وهذا يفتح أعين الناس على التناقض الظاهر في مواقفهما، ومطالبتهما بالسبب في إصرارهما في البداية على البيعة لعلي «عليه السلام»، حتى كانا أول من بايعه، ولم يطالبا بالشورى آنئذٍ.. ثم عودتهما إلى المطالبة بها بعد أن كانا قد تجاهلاها أولاً.. فإن كان علي «عليه السلام» هو المطالب بدم عثمان، فلماذا بايعاه؟! وإن كان بريئاً منه، فلماذا نكثا البيعة؟! وإن كانت الشورى هي المعيار، فلماذا أصرَّا على تجاهلها حين بايعا علياً «عليه السلام»؟!

ومن شأن هذا: أن يفسح المجال أمام الناس ليدركوا: أن دافعهما إلى إثارة هذه الحرب هو الطمع بالحكم، وقد صرحوا بأن علياً «عليه السلام» قد تفرد بالحكم، وقالوا: لم نكن نتوقع أن يأخذ كل الأمر وحده، وبذلك يظهر أن طلبهما بدم عثمان ما هو إلا ذريعة رخيصة ومقيتة ومفضوحة إلى ذلك..

والمؤرخون وإن لم يذكروا لنا إن كان أحد من أنصار الناكثين قد تراجع عن نصرتهم.. ولكننا لا نشك في أن ذلك قد ألقى بذرة وعي في قلوب الناس، واستثار مكامن وجدانهم، وهيأهم لاكتشاف سوء ما أقدموا عليه، وسيلقي بهم من ثم في مهاوي الندم السحيق، لتعتصرهم الحسرة بين أطباقها، وتقض مضاجعهم لسبات ولسعات عقاربها وحيَّاتها. خصوصاً إذا أصروا على مواقفهم، فإن العذاب الأليم في

الآخرة ينتظرهم..

عائشة، وتطوير أمر الجاهلية:

وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب: أن جعل صفائح الحديد على هودج عائشة، وكذلك إلباس عائشة درع الحديد يشير إلى أنه قد كان من نيتها ومن خطة أتباعها جعلها في قلب المعركة، حيث ترد السهام عليها، وتصل الرماح والسيوف إليها..

وهذا يكذب دعوى أنها جاءت لأجل الصلح والسلام.

وهو يدل أيضاً: على أن المطلوب هو الإستفادة منها كأسلوب تحريضي جاهلي لم يكن جديداً على الناس، بل كان شائعاً بينهم في أيام الجاهلية، ثم عاينوا له مفردات مارسها المشركون الذين كانوا يأتون بنسائهم في بدر وأحد، وسواهما.. اللواتي كنَّ يملأن الساحة بالأهازيج ويضربن الدفوف، ليشجعنهم، وليمنعنهم من الفرار..

وهذا بالذات هو ما حصل في حرب الجمل، لكنهم طوروا هذا العرف الجاهلي، وأدخلوا عليه ما لم يكن يخطر لأهل الجاهلية على بال، وهو: أن يختاروا امرأة يعتبرونها رمزاً لما هو مقدس عندهم، وأن يجعلوها علما لجيشهم، ويوقفونها في وسط المعركة، فتكون هي المحور ونقطة الإرتكاز فيها..

الفصل الثاني:

علي × يلقى الزبير..

علي × والزبير في الميدان:

1 - قالوا: خرج علي بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا سلاح عليه، فنادى: يا زبير، اخرج إلي!؟

فخرج شاكاً سلاحه.

فقيل لعائشة، فقالت: واحرباه بأسماء؟!

فقيل لها: إن علياً حاسر، فاطمأنت.

واعتنق كل واحد منهما صاحبه.

فقال له علي: ويحك يا زبير؟! ما الذي أخرجك؟!

قال: دم عثمان.

قال: قتل الله أولانا بدم عثمان.

أما تذكر يوم لقيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بني بياضة (في بني غنم) وهو راكب حماره، فضحك إليَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: ما يدع ابن أبي طالب زهوه.

فقال لك: ليس به زهو. أتحبه يا زبير؟!

فقلت: والله إني لأحبه.

فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم.

فقال الزبير: أستغفر الله، ولو ذكرتها ما خرجت.

فقال: يا زبير!؟ ارجع.

فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟! هذا والله العار الذي لا يغسل؟!

فقال «عليه السلام»: يا زبير! ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار..

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقلت حسبك من عذلٍ أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

فقال ابنه عبد الله: أين تدعنا؟!

فقال: يا بني ذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته.

فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب، فإنها

طوال حداد، تحملها فتية أنجاد.

زاد في رواية ابن أعثم وشرح نهج البلاغة بعده: فقال الزبير: ما لك؟! أخزاك الله من ولد! ما أشأمك!

وفي رواية المسعودي:

قال الزبير: لا والله، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار. أبالجبن تعيِّرني؟! لا أبالك!! ثم أمال سنانه، وشد في الميمنة.

فقال علي: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسرة، ثم رجع، فشد في القلب، ثم عاد إلى ابنه فقال: أيفعل هذا جبان؟! ثم مضى منصرفاً[1].

2 ـ عن الزهري قال: خرج علي على فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال علي للزبير: ما جاء بك؟!

---

(1) مروج الذهب ج2 ص371 و (ط بيروت سنة 1982م) ج1 ص652 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص31 و 32 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص51 والفتوح لابن أعثم ج2 ص469 و 470 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص68 و (تحقيق الشيري) ج1 ص92 والمناقب للخوارزمي ص179 ـ 180 و 216 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص182 وتذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص70 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص166 والجمل لابن شدقم ص130 ـ 132 والنصائح الكافية ص48.

قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا.

فقال علي: لست له أهلا بعد عثمان! قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء، ففرق بيننا وبينك.

وعظم عليه أشياء، فذكر أن النبي «صلى الله عليه وآله» مر عليهما، فقال لعلي «عليه السلام»: ما يقول ابن عمتك؟! ليقاتلنك وهو لك ظالم.

فانصرف عنه الزبير، وقال: فإني لا أقاتلك.

فرجع إلى ابنه عبد الله، فقال: ما لي في هذه الحرب بصيرة.

فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أن تحتها الموت، فجبنت.

فأحفظه حتى أرعد وغضب، وقال: ويحك؟! إني قد حلفت له ألا أقاتله.

فقال له ابنه: كفِّر عن يمينك بعتق غلامك سرجس، فأعتقه، وقام في الصف معهم.

وكان علي قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته؟! سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره[1].

---

(1) الغدير ج9 ص102 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص204 و (ط دار المعارف سنة 1977م) ج4 ص508 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص520 والكامل في التاريخ ج2 ص335 ومروج الذهب ج2 ص10 وراجع: أسد الغابة ج2

وقول علي «عليه السلام» للزبير: أتطلب مني دم عثمان، وأنت قتلته؟! أخرجه العاصمي في زين الفتى.

3 ـ وفي رواية المفيد: أنه «عليه السلام» قال للزبير:

أما تذكر يوماً كنت مقبلاً عليّ بالمدينة تحدثني، إذ خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرآك معي وأنت تبسم إلي، فقال لك: يا زبير، أتحب علياً؟!

فقلت: وكيف لا أحبه وبيني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره؟!

[وفي نص آخر: وما لي لا أحبه، وهو أخي، وابن خالي؟!]

فقال: إنك ستقاتله وأنت له ظالم.

فقلت: أعوذ بالله من ذلك؟!

فنكس الزبير رأسه، ثم قال: إني أنسيت هذا المقام.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: دع هذا، أفلست بايعتني طائعاً؟!

قال: بلى.

ص310 ومسند أبي يعلى ج1 ص320 والبداية والنهاية ج7 ص241 والامالي للطوسي ص137 والصراط المستقيم ج3 ص120 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص215 عنهم، وراجع: تذكرة الخواص (ط النجف) ص71 ومروج الذهب ج2 ص380.

قال: فوجدت مني حدثاً يوجب مفارقتي؟!

فسكت ثم قال: لا جرم والله لا قاتلتك، ورجع متوجهاً نحو البصرة.

[وحسب نص ابن مردويه: ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: دع هذا، بايعتني طائعاً، ثم جئت محارباً؟! ما عدا مما بدا؟!

فقال: لا جرم والله لا أقاتلك](1).

فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟! تنصرف عنا؟! سحرك ابن أبي طالب؟!

فقال: لا، ولكن ذكَّرني ما كان أنسانيه الدهر، واحتج علي ببيعتي له.

فقال له طلحة: لا، ولكن جبنت، وانتفخ سحرك!!

فقال الزبير: لم أجبن لكن أُذكِرتُ فذكرت.

فقال له عبد الله: يا أبه، جئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب قلت: أتركهما وأنصرف، فما تقول قريش غداً بالمدينة؟! الله الله يا أبه، لا تشمت الأعداء، ولا تشين نفسك بالهزيمة قبل القتال.

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص172 و 173 و 204 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص340 والأمالي للطوسي ص137 وحلية الأبرار ج2 ص347 و 348.

قال: يا بني ما أصنع وقد حلفت له بالله ألا أقاتله؟!

قال له: فكفر عن يمينك ولا تفسد أمرنا.

فقال الزبير: عبدي مكحول حرٌّ لوجه الله كفارة يميني. ثم عاد معهم للقتال.

فقال همام الثقفي في فعل الزبير وما فعل، وعتقه عبده في قتال علي «عليه السلام»:

أيعتق مكحولا ويعصي نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

أينوي بهذا الصدق والبر والتقى سيعلم يوماً من يبر ويصدق

لشتان ما بين الضلالة والهدى وشتان من يعصي النبي ويعتق

ومن هو في ذات الاله مشمر يكبِّر براً ربه ويصدق

أفي الحق أن يعصى النبي سفاهة ويعتق عن عصيانه ويطلق

كدافق ماءٍ للسراب يؤمه ألا في ضلال ما يصب ويدفق(1)

---

(1) الأمالي للشيخ الطوسي ص137- 139 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص340 وحلية الأبرار ج2 ص347 - 349 وبحار الأنوار ج32 ص204

وروى نصر بن مزاحم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين وقع القتال وقتل طلحة تقدم على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الشهباء بين الصفين، فدعا الزبير، فدنا إليه حتى اختلف أعناق دابتيهما، فقال: يا زبير، أنشدك بالله أسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم؟!

قال: اللهم نعم.

قال: فلم جئت؟!

قال: جئت لأصلح بين الناس.

فأدبر الزبير وهو يقول:

تَرْكُ الأمور التي تخشى عواقبها لله أجمل في الدنيا وفي الدين

نادى علي بأمر لست أذكره إذ كان عمرو أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني

فاخترت عاراً على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين

أخاك طلحة وسط القوم منجدلاً ركن الضعيف ومأوى كل

و 205 عن الأمالي ص172 وبشارة المصطفى ص379 - 381.

مسكين

قد كنت أنصر أحياناً وينصرني في النائبات ويرمي من يراميني

حتى ابتلينا بأمر ضاق مصدره فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال: فأقبل الزبير على عائشة، فقال: يا أمه، والله ما لي في هذا بصيرة، وأنا منصرف.

قالت عائشة: أبا عبد الله، أفررت من سيوف ابن أبي طالب؟!

فقال: إنها والله طوال حداد، تحملها فتية أنجاد.

ثم خرج [الزبير] راجعاً، فمر بوادي السباع، وفيه: الأحنف بن قيس قد اعتزل في بني تميم.

فأخبر الأحنف بانصرافه، فقال: ما أصنع به إن كان الزبير لف بين غارين من المسلمين، وقتل أحدهما بالآخر، ثم هو يريد اللحاق بأهله؟!

فسمعه ابن جرموز، فخرج هو ورجلان معه، وقد كان لحق بالزبير رجل من كلب ومعه غلامه.

فلما أشرف ابن جرموز وصاحباه على الزبير حرك الرجلان رواحلهما، وخلّفا الزبير وحده، فقال لهما الزبير: ما لكما؟! هم ثلاثة ونحن ثلاثة.

فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير: إليك عني..

فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله، إنني جئتك أسألك عن أمور الناس؟!

قال: تركت الناس على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف.

قال ابن جرموز: يا أبا عبد الله، أخبرني عن أشياء أسألك عنها.

قال: هات.

قال: أخبرني عن خذلك عثمان، وعن بيعتك علياً، وعن نقضك بيعته، وعن إخراجك أم المؤمنين، وعن صلاتك خلف ابنك، وعن هذه الحرب الذي جنيتها [لعل الصحيح: التي جنيتها]، وعن لحوقك بأهلك؟!

قال: أما خذلي عثمان، فأمر قدم الله فيه الخطيئة، وأخر فيه التوبة.

وأما بيعتي علياً، فلم أجد منها بداً، إذ بايعه المهاجرون والأنصار.

وأما نقضي بيعته، فإنما بايعته بيدي دون قلبي.

وأما إخراجي أم المؤمنين، فأردنا أمراً وأراد الله غيره.

وأما صلاتي خلف ابني، فإن خالته قدمته.

فتنحى ابن جرموز وقال: قتلني الله إن لم أقتلك(1).

4 - وقال الأربلي «رحمه الله»:

فلما رأى أنه لم يبق إلا مصافحة الصفاح، والمطاعنة بالرماح، صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام، فليخرج إلي؟!

فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر، وهو مدجج في الحديد؟!

فقال «عليه السلام»: ليس علي منه بأس.

ثم نادى ثانية، فخرج إليه [الزبير] ودنا منه حتى واقفه، فقال له علي: يا أبا عبد الله، ما حملك على ما صنعت؟!

فقال: الطلب بدم عثمان!!

فقال: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك!! ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، أما تذكر يوماً قال لك رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا زبير أتحب علياً؟!

فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي؟!

فقال لك: أما أنت فستخرج عليه يوماً، وأنت له ظالم.

---

(1) رسائل المرتضى ج4 ص71 - 73 والإحتجاج ج1 ص237 - 239 وبحار الأنوار ج32 ص198 و 199.

فقال الزبير: اللهم بلى، فقد كان ذلك.

فقال علي «عليه السلام»: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، أما تذكر يوماً جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عند ابن عوف وأنت معه، وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلمت عليه، فضحك في وجهي، فضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً.

فقال لك النبي «صلى الله عليه وآله»: مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له!!

فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن أنسيت، فأما إذا ذكرتني ذلك، فلأنصرفن عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثم رجع إلى عائشة، فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟!

فقال الزبير: والله، ورائي أني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

ثم شق الصفوف وخرج من بينهم، ونزل على قوم من بني تميم.

فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي، فقتله حين نام، وكان في ضيافته، فنفذت دعوة أمير المؤمنين «عليه السلام» فيه.

وأما طلحة، فجاءه سهم وهو قائم للقتال، فقتله ثم التحم القتال(1).

طلحة والزبير يواجهان علياً ×:

قال أبان: قال سليم: لما التقى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل البصرة يوم الجمل نادى [علي «عليه السلام» الزبير]: يا أبا عبد الله، اخرج إليَّ.

فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، تخرج إلى الزبير الناكث بيعته وهو على فرس شاك في السلاح وأنت على بغلة بلا سلاح؟!

فقال علي «عليه السلام»: إن علي [من الله] جنة واقية، لن يستطيع أحد فراراً من أجله، وإني لا أموت ولا أقتل إلا على يدي أشقاها كما عقر ناقة الله أشقى ثمود.

فخرج [إليه] الزبير، فقال: أين طلحة ليخرج؟!

فخرج [طلحة]، فقال: نشدتكما بالله، أتعلمان [في الإحتجاج: والله إنكما لتعلمان] وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر: أن أصحاب الجمل وأهل النهر ملعونون على لسان محمد، وقد خاب من افترى؟!

فقال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من [أصحاب بدر]،

---

(1) كشف الغمة ج1 ص 241 و 242 وبحار الأنوار ج32 ص189 و 190 ومطالب السؤول ص214 و 215.

وأهل الجنة؟!

فقال علي «عليه السلام»: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم.

فقال الزبير: أما سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول يوم أحد: «أوجب طلحة الجنة، ومن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض حياً فلينظر إلى طلحة»؟!

أوما سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «عشرة من قريش في الجنة»؟!

[في الإحتجاج: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «عشرة من قريش في الجنة»؟!]

قال علي «عليه السلام»: سمعته يحدِّث بذلك عثمان في خلافته.

فقال الزبير: أفتراه يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال علي «عليه السلام»: لست أخبرك بشيء حتى تسميهم.

فقال علي «عليه السلام» فسمِّهم!

فقال: فلان، وفلان، وفلان، حتى عدَّ تسعة فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

[في الإحتجاج: قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة،

والزبير، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل].

فقال علي «عليه السلام»: عددت تسعة، فمن العاشر؟!

قال الزبير: أنت.

فقال: أما أنت فقد أقررت أني من أهل الجنة.. وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك، فإني به لمن الجاحدين.. والله إن بعض من سميت لفى تابوت في جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة فأسعرت جهنم..

سمعت ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإلا فأظفرك الله بي، وسفك دمي بيدك، وإلا فأظفرني الله بك وبأصحابك.

[في الإحتجاج: وإلا أظفرني الله عليك وعلى أصحابك، وسفك دمائكم على يدي، وعجل أرواحكم إلى النار].

فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

ثم أقبل على طلحة، فقال: يا طلحة، معكما نساؤكما؟!

قال: لا.

قال: عمدتما إلى امرأة موضعها في كتاب الله القعود في بيتها، فأبرزتماها وصنتما حلائلكما في الخيام والحجال؟!

ما أنصفتما رسول الله «صلى الله عليه وآله» [من أنفسكم، حيث أجلستما نساءكما في البيوت، وأخرجتما زوجة رسول الله «صلى الله

عليه وآله»]، وقد أمر الله أن لا يُكَلَّمْن إلا من وراء حجاب..

أخبرني عن صلاة [عبد الله] ابن الزبير بكما، أما يرضى أحدكما بصاحبه؟!

أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ما يحملكما على ذلك؟!

فقال طلحة: يا هذا، كنا في الشورى ستة مات منا واحد، وقتل آخر، فنحن اليوم أربعة، كلنا لك كاره!!

فقال له علي «عليه السلام»: ليس ذاك علي. قد كنا في الشورى والأمر في يد غيرنا، وهو اليوم في يدي. أرأيت لو أردت بعدما بايعت عثمان أن أرد هذا الأمر شورى أكان ذلك لي؟!

قال: لا.

[قال:] ولم؟!

قال: لأنك بايعت طائعاً.

فقال علي «عليه السلام»: وكيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة يقولون: لئن فرغتم وبايعتم واحداً منكم، وإلا ضربنا أعناقكم أجمعين؟!

فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتماني؟!

وحجتي في الإستكراه في البيعة أوضح من حجتك، وقد بايعتني وأصحابك طائعين غير مكرهين. وكنتما أول من فعل ذلك.. ولم يقل أحد: لتبايعان أو لنقتلكما؟!

فانصرف طلحة، ونشب القتال، فقتل طلحة وانهزم الزبير(1).

طلحة وعلي × مطالبات في الميدان:

1 ـ قال المسعودي: ثم نادى علي طلحة بعد أن رجع الزبير، فقال له: يا أبا محمد ما الذي أخرجك؟!

قال: الطلب بدم عثمان.

قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.. أما سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وأنت أول من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: (**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**)(2).

فقال: استغفر الله، ثم رجع.

فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحة(3).

---

(1) كتاب سليم بن قيس ج2 ص798 و 799 و 800 و (الطبعة المختصرة ـ مجلد واحد) ص327 ـ 329 وبحار الأنوار ج32 ص216 و 217 وص196 و 197 عن سليم بن قيس، وعن الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص24 و 25 وعن الإحتجاج. وراجع: الإحتجاج ج1 ص237 ورواه في الكافئة عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي «عليهما السلام».

(2) الآية 10 من سورة الفتح.

(3) مروج الذهب ج2 ص11 والنصائح الكافية لابن عقيل ص49 والغدير ج1

ما أبالي رميت ها هنا، أم ها هنا!! فرماه في أكحله، فقتله الخ..(1).

وفي نص آخر: قال: نعم.. وذكره.

قال: فلم تقاتلني(2).

وفي نص آخر: أن علياً «عليه السلام» قال لطلحة:

نشدتك الله، ألم تسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟!

فقال: بلى والله. ثم انصرف عنه(3).

2 ـ وعن ابن قتيبة أن طلحة قال لعلي «عليه السلام»: اعتزل هذا الأمر، ونجعله شورى بين المسلمين، فإن رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن رضوا غيرك كنت رجلاً من المسلمين.

ص186.

(1) مروج الذهب ج2 ص364 وراجع: المستدرك للحاكم ج3 ص419 والمناقب للخوارزمي ص182 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص204 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص219 عنهم، وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص108 والنصائح الكافية لابن عقيل ص49.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج25 ص180 والمستدرك للحاكم ج3 ص371 وتخريج الأحاديث والآثار ج2 ص235 وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص332 والمناقب للخوارزمي ص182 .

(3) تذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص72 و (ط أخرى) ص42.

قال علي: أولم تبايعني يا أبا محمد طائعاً غير مكره؟! فما كنت لأترك بيعتي.

قال طلحة: بايعتك والسيف في عنقي.

قال: ألم تعلم أني ما أكرهت أحداً على البيعة؟! ولو كنت مكرهاً أحداً لأكرهت سعداً، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة. أبوا البيعة واعتزلوا، فتركتهم.

قال طلحة: كنا في الشورى ستة، فمات اثنان وقد كرهناك، ونحن ثلاثة.

قال علي: إنما كان لكما ألا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة، وأما الآن فليس لكما غير ما رضيتما به، إلا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث، فإن كنت أحدثت حدثاً فسموه لي..

وأخرجتم أمكم عائشة، وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أَرِضىً هذا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تهتكوا ستراً ضربه عليها، وتخرجوها منه؟!

فقال طلحة: إنما جاءت للإصلاح.

قال علي «عليه السلام»: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج.

أيها الشيخ، اقبل النصح، وارض بالتوبة مع العار، قبل أن يكون

العار والنار[1].

3 - وفي رواية: ثم قال علي «عليه السلام» لطلحة: ما أنصفت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، جئت بعرسه تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت[2].

4 - قال الطبري: حدثنا عمر قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن قتادة قال: سار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة. وساروا من الفرضة يريدون علياً، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة 36 يوم الخميس.

فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح. فقيل لعلي: هذا الزبير.

قال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكِّر بالله أن يذكر.

وخرج طلحة، فخرج إليهما علي، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما

---

(1) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص70 و (تحقيق الشيري) ج1 ص95 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص219 و 220.

(2) تذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص71 وراجع: النص والإجتهاد ص447 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص63 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص520 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص439.

أعددتما عند الله عذراً، فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما؟! فهل من حدث أحل لكما دمي؟!

قال طلحة: ألبت الناس على عثمان رضي الله عنه.

قال علي: **(يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ)**(1).

يا طلحة، تطلب بدم عثمان «رضي الله عنه»، فلعن الله قتلة عثمان..

يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بني غنم، فنظر إليَّ فضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه.

إلى أن قال:

فدعا بغلام له يقال له: مكحول، فأعتقه.

فقال: عبد الرحمن بن سليمان التميمي:

لـم أر كـاليوم أخـا إخـوان   أعجب من مكـفـر الأيـمـان
بـالـعتق في مـعصية الـرحمن

---

(1) الآية 25 من سورة النور.

وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولاً لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه(1)

وفي نص آخر: أن ابنه قال له: والله لقد فضحتنا، لا نغسل رؤوسنا منها أبداً.

إلى أن قال: فقال له عبد الله: ما أراك إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد تحملها فتية أمجاد (أو أنجاد).

فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربه؟! أما إني قد حلفت أن لا أحاربه.

قال: كفِّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حرٌّ كفارة عن يميني الخ..(2).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص501 و 502 والكامل في التاريخ ج2 ص334 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج5 ص216 وتذكرة الخواص (ط النجف ـ العراق) ص69 و 70 والبداية والنهاية ج7 ص241.

(2) هذا النص ذكره بعضهم ملحقاً بالنص المتقدم، الذي ذكر أنه «عليه السلام» خاطب طلحة والزبير معاً.. وبعضهم لم يذكر فيه طلحة، بل اقتصر على ذكر الزبير. وبعضهم ذكر ذلك بصياغة أخرى، وتتضح الفروق بمراجعة المصادر التالية: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1

5 - وفي رواية: أنه لما رجع الزبير، وذكر لهم: أن علياً «عليه السلام» ذكَّره بكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قالت عائشة:

«لا والله، بل خفت سيوف ابن أبي طالب، فإنها طوال حداد، تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك الخ..»[1].

ونقول:

إن هذه النصوص تحتاج إلى مناقشة في فصل مستقل هو التالي.

ص233 و 234 والأخبار الطوال ص147 والفصول المختارة ص142 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص71 والأمالي للطوسي ص137 وبشارة المصطفى ص247 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص216 و 217 و 218 عنهم، ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص340 وبحار الأنوار ج32 ص173 عن حلية الأولياء، وعن ابن مردويه، من ثمانية طرق، وعن ابن شهرآشوب ص204 عن الأمالي. وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص182 و 183.

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص340 وبحار الأنوار ج32 ص174 عنه.

الفصل الثالث:

وقفات مع لقاء علي × والزبير..

تقديم وبيان:

قد يتخيل متخيل: أن الروايات التي ذكرناها في الفصل السابق متضاربة ومختلفة، مما يعني: أن بعضها مكذوب أو محرف.. غير أن الأمر ليس بهذه المثابة، فربما يكون الحوار قد امتد بين الرجلين، فذكر كل راو منه ما لفت نظره، واختار ما وجد أنه أكثر حساسية وأهمية مما عداه. ومن المحتمل أن يتكون لدينا من مجموع نصوصها ما يحكي جانباً كبيراً مما حصل.. ولذلك يصبح التعامل مع جميعها على قدم المساواة هو الأجدر والأولى.

ويؤكد ذلك: أن بعض النصوص يشير إلى أن الرواة قد اختصروا الحديث، والرواية المتقدمة برقم [2] تصرح: بأنه «عليه السلام» عظَّم على الزبير أشياء لم تذكرها الرواية. غير أن من الضروري أن لا يصرف النظر عن الرصد الواعي للنصوص، لكي لا يتسلل إليها بعض ما يحاول المغرضون دسَّه، أو التحريف فيه لأهداف دنيئة ورخيصة، فإن هؤلاء المغرضين فرضوا علينا أن نكون حذرين في أي موقع كنا فيه، ونريد التعامل مع نصوصه.

كلام المجلسي &:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

واعلم: أن الدلائل على بطلان ما ادعوا من ورود الحديث ببشارة العشرة أنهم من أهل الجنة كثيرة، قد مر بعضها. وكفى بإنكاره «عليه السلام» وردَّه في بطلانه، ومقاتلة بعضهم معه «عليه السلام» أدل دليل على بطلانه، للأخبار المتواترة بين الفريقين عن النبي «صلى الله عليه وآله». كقوله «عليه السلام»: «لا يبغضك إلا منافق». وقوله: «حربك حربي» وغير ذلك(1).

أبو الصلاح وطلحة بن عبيد الله:

قال أبو الصلاح «رحمه الله» في تقريب المعارف بعد أن ذكر بعض ما قدمناه عن طلحة:

«وقول عثمان لطلحة وقد تنازعا: والله، إنك أول أصحاب محمد تزوج بيهودية.

فقال طلحة: وأنت والله لقد قلت: ما يحبسنا ها هنا! ألا نلحق بقومنا؟!

وقد روي من طريق موثوق به ما يصحح قول عثمان لطلحة، فروي أن طلحة عشق يهودية، فخطبها ليتزوجها، فأبت إلا أن يتهود،

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج32 ص217.

ففعل!!

وفيه قال الشاعر:

يــهــودية قـالت وأومت بكفها حـــرام عليـــك الـدهر حتـى تـهودا

وقدحوا في نسبه: بأن أباه عبيد الله كان عبداً راعياً بالبلقاء، فلحق بمكة، فادعاه عثمان بن عمرو بن كعب التيمي، فنكح الصعبة بنت دُزَّمِهْرٍ الفارسي وكان بعث به كسرى إلى اليمن، فكان بحضرموت خرّازاً.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

ألم تـر أن طلحــة فــي قــريـش بــه مَــنُّ الــغطــارفة العظام
وكــان أبــوه بـالـبلقــاء عبداً فــي يـده[1] الشـوك فـي جـنح الظـلام
هو العبد الذي جلب ابن سـعـد وعـثـمـان مـن البـلد الشـآم

وقول الآخر:

بـني دُزَّمِهْرٍ والـدعي أبــوهــم رجيع قد ألصقت بالأكارع (كذا)
بنـــي . . . فـــي أبـــوكم . . . فــي الــوادي يــفتق الضــفادع (كذا)
وأنتم ببيع اللحم أحذق مـنـكـم بقـــرع الكمـــاة بـــالسيوف

---

(1) كذا في المصدر

القواطع(1)

وقال العلامة «قدس الله روحه» في كشف الحق، ومؤلف كتاب إلزام النواصب، وصاحب كتاب تحفة الطالب: ذكر أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي من علماء الجمهور: أن من جملة البغايا وذوات الرايات: صعبة بنت الحضرمي، كانت لها راية بمكة، واستبضعت بأبي سفيان، فوقع عليها أبو سفيان، وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة، فجعلا أمرهما إلى صعبة. فألحقته بعبيد الله.

فقيل لها: كيف تركت أبا سفيان؟!

فقالت: يد عبيد الله طلقة، ويد أبي سفيان نكرة(2).

وقال [العلامة] في كشف الحق أيضاً: وممن كان يلعب به ويتخنث عبيد الله أبو طلحة، فهل يحل لعاقل المخاصمة مع هؤلاء لعلي «عليه السلام»؟! انتهى(3).

---

(1) تقريب المعارف ص357 - 359 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص118 عنه.

(2) بحار الأنوار ج32 ص218 و 219 وج31 ص647 وكشف الحق ونهج الصدق (ط بيروت) ص356.

(3) كشف الحق ونهج الصدق (ط بيروت) ص356 وبحار الأنوار ج31 ص647 و 648 وج32 ص219.

الزبير بن العوام:

وقال أبو الصلاح الحلبي عن الزبير: وأما الزبير، فكان أبوه ملاحاً بجدة، وكان جميلاً، فادعاه خويلد، وزوجه عبد المطلب صفية(1)

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

وقال مؤلف كتاب إلزام النواصب، وصاحب تحفة الطالب: قد ورد (فقد رووا): أن العوام كان عبداً لخويلد، ثم أعتقه وتبناه، ولم يكن من قريش. وذلك أن العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسب (ينسبه) إلى نفسه ويلحق به نسبه (ويلحقه بنسبه)، أعتقه وزوجه كريمة من العرب، فيلحق بنسبه. وكان هذا من سنن العرب (الجاهلية)(2).

ويصدق ذلك: شعر عدي بن حاتم في عبد الله بن الزبير بحضرة معاوية، وعنده جماعة من قريش، وفيهم: عبد الله بن الزبير، فقال عبد الله لمعاوية: يا أمير المؤمنين، ذرنا نكلم عدياً، فقد زعم أن عنده جواباً.

فقال: إني أحذركموه.

---

(1) تقريب المعارف ص359 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص118 عنه، ومستدرك سفينة البحار ج10 ص36.

(2) بحار الأنوار ج32 ص219 وراجع: إلزام النواصب ص174.

فقال: لا عليك دعنا وإياه. [فرضي معاوية].

فقال: يا أبا طريف، متى فقئت عينك؟!

فقال: يوم فرَّ أبوك، وقتل شر قتلة، وضربك الأشتر على أستك فوقعت هارباً من الزحف، وأنشد يقول:

أما وأبي يا ابن الزبير لو أنني لقيتك يوم الزحف رمت مدى شحطا

وكان أبي في طيء وأبو أبي صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا(1)

قال معاوية: قد حذرتكموه فأبيتم.

وقوله: «صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا»، تعريض بابن الزبير: بأن أباه، وأبا أبيه ليسا بصحيحي النسب، وأنهما من القبط. ولم يستطع ابن الزبير إنكار ذلك في مجلس معاوية.

أقول: وروى صاحب كتاب تحفة الطالب الأبيات هكذا:

أما وأبي يا ابن الزبير لو أنني لقيتك يوم الزحف ما رمت لي سخطا

ولو رمت شقى عند عدل قضاؤه لرمت به يا بن الزبير مدى

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص219 و 220 وج3 ص251 و 252 والدرجات الرفيعة ص360 وكشف الغمة ج1 ص244 و 245 وراجع: إلزام النواصب ص177 و 178.

شحطا(1)

متى التقى الزبير بعلي ×؟!:

أكثر الروايات تذكر: أن لقاء علي «عليه السلام» بالزبير وطلحة كان قبل بدء القتال الشامل..

ولكن البلاذري يروي عن قتادة، قال: «لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى علي «عليه السلام» إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه قال له: يا أبا عبد الله، أتقاتلني بعد بيعتي، وبعد ما سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قتالك لي ظالماً؟!

فاستحيا الزبير، وانسل على فرسه منصرفاً إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع، يقال له: النعر بن زمام، فقال له: أجرني.

فقال له: أنت في جواري يا حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال الأحنف: يا عجباً! الزبير لف بين غارين من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه، وهو الآن يريد أهله.

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص220 والدرجات الرفيعة ص360 وإلزام النواصب ص177.

فاتبعه ابن جرموز وأصحابه وهو يقول: أذكركم الله أن يفوتكم.

فشدوا عليه فقتلوه، وأتى ابن جرموز علياً برأسه، فأمر أن يدفن مع جسده بوادي السباع»(1).

ونلاحظ ما يلي:

1 - إن هذا النص لا ينافي النصوص التي ذكرت أن لقاء الزبير بعلي «عليه السلام» كان قبل بدء المعركة، وأن أصحابه، لم يرضوا منه بقرار الإنصراف عن الحرب، وأزعجوه عنه، واقترحوا عليه أن يعتق عبده مكحول كفارة عن يمينه، وقرَّر الإستمرار في الحرب.

فهنا لقاءان:

أحدهما: قبل شروع المعركة..

واقتصر الثاني على هذا التذكير العابر للزبير، فاستحيا الزبير..

2 - إن دعوى: أن الزبير قد استحيا من علي «عليه السلام»، فانسل بفرسه من ساحة القتال، وسار نحو المدينة غير مقبولة، فإن المفروض: أن هذا اللقاء قد حصل لحظة هزيمة جيش عائشة.. فلماذا لا يفسر هذا التحرك من الزبير بأنه كان على سبيل الهزيمة، مع سائر من انهزم؟! فإن هذا هو ما صرحت به النصوص الكثيرة.. التي ذكرنا طائفة كبيرة منها في هذا الكتاب..

---

(1) أنساب الأشراف للبلاذري (بتحقيق المحمودي، ط سنة 1961م) ص168 و 169 و (ط مؤسسة الأعلمي سنة 1394هـ) ص258.

ويشهد لذلك: إلتجاؤه إلى النعر بن زمام المجاشعي وطلبه منه أن يجيره، فأجاره.. فإنه لو كان قد انصرف عن الحرب فعلاً، فلماذا احتاج إلى الجوار، فإن علياً «عليه السلام» سيحميه، وسيمنع من التعرُّض له؟!

بل كان بإمكانه أن يخبر علياً «عليه السلام» بقراره، وسيرى أنه «عليه السلام» لن يمكِّن أحداً من إيصال أي أذى له..

وذهابه إلى المدينة لن يجعله في مأمن من أن يأخذه واليها ويسلمه إلى علي «عليه السلام».

إلا إن كان المطلوب: هو أن يكافئوا الزبير على قتاله لعلي «عليه السلام» إلى جانب عائشة، فلا يبوء الزبير بعار الهزيمة، مع سعيهم للحفاظ على ماء وجه ولده عبد الله، الذي صار خليفة في الحجاز والعراق عدة سنوات، ثم قتله الأمويون..

كما أن المطلوب: هو أن يموت الزبير تائباً، وشهيد الغدر الذي مارسه عليه ابن جرموز وأصحابه.. بدل أن يموت باغياً على إمامه، يتحمل وزر قتل عشرات الألوف بلا سبب إلا الطمع بالأموال والمناصب.

عتق مكحول لا يحل المشكلة:

وقد أعتق الزبير عبده مكحولاً, زاعماً: أن هذا العتق يجعله في حلٍ من اليمين الذي حلفه لعلي «عليه السلام»، مع أن من المعلوم: أن

امتثال أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» واجب عقلاً وشرعاً، واجتناب ما حذره منه، وتجنب قتال علي «عليه السلام» على سبيل الظلم والتعدي كما اخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الأولى والأجدر بأهل الدين، والحكمة والتعقل والإلتزام كما أن عتق مكحول، لا يحل مشكلة الإقدام على نكث البيعة, والبغي على الإمام, والإيغال في الفتنة وقتل النّفوس المحترمة، وانتهاب بيوت الأموال.. وما إلى ذلك.

فإذا حلف على امتثال حكم الله ورسوله, وعدم الدخول في المعصية, فإن حلفه هذا يزيد في إلزامه بما أوجبه الله عليه, وذلك ظاهر.

وا حرباه بأسماء:

قالوا: إن عائشة حين أخبرت بلقاء علي «عليه السلام» بالزبير قالت «وا ثكل أسماء» أو قالت: «وا حرباه بأسماء»، فهنا ملاحظات:

أولاها: إن قولها: «وا ثكل أسماء» يدل على أنها على يقين بأن أختها ستثكل بزوجها، لأنه لن ينجو من علي «عليه السلام».

أما قولها: «وا حرباه بأسماء»، فيشير إلى أن الزبير سوف يقتل، وأن أسماء ستموت أيضاً حزناً عليه. فتصبح عائشة مثكولة بأختها أيضاً.

وهذا يشير إلى شدة علاقة أسماء بزوجها، وتفانيها فيه..

وربما تكون عائشة قد قالت كلتا الكلمتين على التعاقب، فأطلقت قولها: «وا ثكل أسماء» أولاً، ثم إنها بعد أن تأملت بالأمر وآثاره أطلقت كلمتها الثانية، ولكن الأحداث بينت: أن أسماء لم تحقق ظن عائشة فيها، فقد قتل زوجها، ثم قتل ولدها عبد الله، وبقيت هي على قيد الحياة.

الثانية: إن هذا اليقين المستقر في قلب عائشة بأن مواجهة الزبير لعلي «عليه السلام» في الميدان تعني قتل الزبير، والمباشرة بإقامة مناحة عليه قبل قتله، من دون أن تفسح المجال حتى للصدفة، أو لاحتمال عقلي مجرد لحدوث ما هو خلاف المألوف يعطي: أنها لا ترى أن الأمر مرتبط بالمسار الطبيعي للأمور. لأن هذا المسار لا ينفك عن احتمال قيام الخلاف.

وعلى هذا.. فإن كانت ترى الأمر مرتبطاً بخصوصية غيبية لعلي «عليه السلام» عمَّقت يقينها بنصرته على أعدائه، وهذا يفتح أمامنا باب التساؤل عن سبب دخولها في الحرب مع شخص ترى أن هذا هو حاله. وأن أحداً لن يثبت أمامه..

وإن كانت ترى أن الذي يحسم الحرب مع علي «عليه السلام» هو الكثرة الكاثرة التي تغلب الشجاعة، فإن جيش علي «عليه السلام»، وإن كان أقل من جيش عائشة.

ولكن هذا الأمر أيضاً لا يخرج مجيئها لحربه عن دائرة المجازفة بأرواح الناس بلا مبرر، لا سيما وأنها تعرف بأن الله تعالى يقول: **(كَمْ**

مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ)(1). وقد شهدت حروب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان النصر فيها يأتيه على يد قلة قليلة في مقابل كثرة هائلة، بل كان النصر يتحقق على يد علي «عليه السلام» بالذات في أكثر الأحيان، بل في أشدها خطورة وحساسية..

وعلى هذا الأساس نقول:

لعلها ظنت أن علياً «عليه السلام» سوف يتراجع ويستسلم للأمر الواقع إذا رأى أن دماء الآلاف ستراق وأرواحهم ستزهق.

ولعلها ربما تكون قد قاست الأمر على ما جرى يوم السقيفة والشورى، غافلة عن أن التكليف الإلهي قد اختلف بسبب اختلاف الظروف، وقيام الحجة عليه «عليه السلام» بوجود الناصر.

الثالثة: إن الزبير خرج شاكاً سلاحه، مع أن علياً «عليه السلام» حاسر، وقد رضيت عائشة هذه الحالة، ولم تبد أي قلق بعد هذا، مع أن كون الزبير شاكاً سلاحه لم يكن يمنع علياً «عليه السلام» من الإستيلاء على سلاحه، وقتله به. وله سابقة في ذلك حين هاجمه بعض أعدائه في عهد عمر، وكذلك حين هوجم ليلة الهجرة، فثار على المهاجمين، وأخذ سلاح بعضهم، وواثبهم به، وطردهم.

الرابعة: لا شك في أن الزبير كان ناكثاً لبيعته، وغادراً كما صرح به «عليه السلام»، حيث أخبر بأنه كان يعرف الغدر بوجه

---

(1) الآية 149 من سورة البقرة.

طلحة والزبير، وأنهما حين استأذناه بالعمرة، قال لهما: ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة.

فكيف لم يحتط «عليه السلام» من غدر الزبير، وخرج إليه حاسراً، والزبير شاكاً سلاحه؟!

ألا يدل ذلك على أنه كان يعرف أنه أجبن من أن يبدأه بقتال وجهاً لوجه؟!

وربما يشير إلى جبن الزبير هذا: ما روي من أنه دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبيده سفرجلة، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذه بيدك؟!

قال: يا رسول الله، هذه سفرجلة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: كُل السفرجل، فإن فيه ثلاث خصال.

قال: وما هن يا رسول الله؟!

قال: يجم الفؤاد، ويسخي البخيل، ويشجع الجبان(1).

فإن للسفرجل خصوصيات عديدة، وقد اختار «صلى الله عليه

---

(1) المحاسن للبرقي (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج2 ص550 والخصال للصدوق ص157 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج25 ص165 و 168 و(الإسلامية) ج17 ص129 و 131 وبحار الأنوار ج63 ص166 و 167 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص171 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص63.

وآله» ثلاثة منها.. أحدها: أنه علاج لعاهة الجبن..

فلعله «صلى الله عليه وآله» أراد التنبيه بذلك على أن الزبير، يعاني من هذه العاهة..

ويؤكد ما قلناه: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وجد علياً «عليه السلام» يأكل السفرجل أيضاً، فذكر خصوصيات السفرجل. ولكن ليس من بينها هذه العاهة، ولا أي شيء آخر فيه توهين وانتقاص.

بل فيه كل الفضل والكرامة له «عليه السلام»، فراجع[1].

أما ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى جعفر بن أبي طالب سفرجلة، وقال له نحو ما قاله للزبير[2]، فقد روي بنحو آخر ليس فيه ذلك أيضاً، بل فيه: أنه قال له: إنه يصفي اللون، ويحسِّن

(1) بحار الأنوار ج39 ص12 وج63 ص167 و 168 عن عيون أخبار الرضا ج2 رقم 73 و (ط أخرى) ص229 و 230 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص78 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج25 ص169و (الإسلامية) ج17 ص132 ومدينة المعاجز ج1 ص374 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص341.

(2) المحاسن للبرقي (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج2 ص549 و 550 وبحار الأنوار ج63 ص169 و 170 و 177 و 178 وعن مكارم الأخلاق ص195 وعن دعائم الإسلام ج2 رقم 113 والكافي ج6 ص357 ومستدرك الوسائل ج16 ص399.

الولد(1).

هل اعتنق الزبير علياً ×؟!:

وما ذكرته الرواية رقم [1] من أن عناقاً جرى بين علي «عليه السلام» والزبير في الميدان، حيث قالت الرواية: «واعتنق كل واحد منهما صاحبه».

غير دقيق، بل هو تحريف سيء، لعبارة: «اختلفت أعناق فرسيهما»، التي وردت في سائر الروايات الأخرى. أي أنهما قد اقتربا من بعضهما البعض حتى أصبح عنق فرس علي «عليه السلام» في موازاة عنق فرس الزبير.

قتل الله أولانا بدم عثمان:

وحين ادَّعى الزبير: أنه جاء ليطلب بدم عثمان، فإنه قد عبَّر عن وقاحة متناهية، لا ينفع معها الحِجاج والاحتجاج، بعد أن تجاوز حدود إنكار البديهيات، ليصل إلى حد قلب الحقائق.. فلم يعد ينفع معه في هذه الحال الإستدلال، وتلاشى الأمل بأن يجد لديه من الإنصاف، ما ينفع النفي والإثبات، فاختار «عليه السلام» طريقة تضمنت أموراً

(1) المحاسن للبرقي (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج2 ص549 وبحار الأنوار ج63 ص170 عنه، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج25 ص167 و (الإسلامية) ج17 ص131.

أربعة هي:

1 ـ عدم نفي هذا الأمر عن نفسه صراحة، وعدم الإشارة إلى القاتل الحقيقي باسمه وشخصه.. لكي لا يغتنم الزبير وغيره الفرصة ليحول النزاع إلى أمر شخصي، وخصوصاً إذا كان ذلك سوف يعني بصورة عفوية وتلقائية أن عثمان قد قتل مظلوماً.. وهم مختلفون في تحديد القاتل. وبذلك يتم صرف النظر عن المطلب الأساس، وهو أنه لا يريد أن يكرس مظلوميته في موضوع قتله، ولا يريد أن يجعل السجال شخصياً يمكن معه تعمد البهتان والإفتراء عليه..

كما أنه يريد أن يركز على الأمر الأساس، وهو خروج هؤلاء على إمام زمانهم بعد بيعتهم له. ولهذا أحكامه الإسلامية التي كانوا يحاولون تجاهلها والتملص منها.

2 ـ إن بغي الزبير عليه لم يخرجه عن حالة الإعتدال، بل دعاه لأن يختار طريقة هي الغاية في العدل والإنصاف.

3 ـ إنه اختار طريقة تخاطب الروح والوجدان الإنساني.

4 ـ إنه أراد أن تكون هذه الطريقة دافعاً للناس للبحث بأنفسهم عن قاتل عثمان.. وبذلك يكون قد دلَّل على مدى حرصه على تعريفهم بالقاتل، وعلى أنه لا يخشى هذا الأمر، بل هو سيكون لمصلحته.

وهذه الطريقة هي قوله «عليه السلام»: «قتل الله أولانا بدم عثمان» التي تعتمد على مخاطبة وجدان الناس، الذي يفرق بين من

يتهم جزافاً، وبين من يجعل نفسه أمام القضاء الحق مساوياً بين نفسه وبين خصمه في التعرض للعقاب إن كان قد فعل ما يقربه من مورد التهمة.

زهو علي ×:

وقد ذكرت الرواية: أن الزبير قد اعتبر أن علياً «عليه السلام» مصاب بالزهو المذموم، لمجرد أنه ضحك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين لقيه..

مع أن هذا لو صح لتوجهت التهمة بالزهو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، فقد ضحك لعلي «عليه السلام» كما ضحك علي له.

وأي زهو ظهر للزبير من مجرد ضحك علي «عليه السلام» لمن ضحك له. والزهو هو شعور داخلي بالعظمة والرضا، والإعجاب بالنفس يظهر على حركات الشخص وفي تصرفاته.. وليس منها أن يضحك الإنسان سروراً بمن يضحك له.

ألا يعد الاتهام بهذا الأمر مجازفة غير مسؤولة من قبل شخص ينقاد لدواعي الحسد المتغلغلة في صدره ويستجيب لها، ولا يبالي بما صدر منه، ولا يشعر بالمسؤولية عنه؟!

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي ربى علياً «عليه السلام»، كان يعرف علياً «عليه السلام» في روحياته وصفاته

وميزاته.. وأنه يضع نفسه دائماً بالموضع اللائق بها، وينظر إليها ويتعامل معا بصورة صحيحة وقويمة، فلا يتيه، ولا يزهو، ولا يتعاظم، ولا يخرج عن طوره، فبادر «صلى الله عليه وآله» إلى إظهار كلمة الحق، وصدم بها الزبير، ولم يترك له سبيلاً، حين بادر إلى نفي الزهو عن علي «عليه السلام»، عن علم ومعرفة دقيقة به.. فقال: ليس به زهو.

النبي ' يقرر الزبير ثم يحكم عليه:

ثم بادر «صلى الله عليه وآله» فسأل الزبير: أتحبه يا زبير؟!

فقال: «والله إني لأحبه».

ولا أدري أي حب هذا الذي لا يمنعه من أن يتهمه بالباطل؟! ومن دون أي مبرر أو دليل؟! وكيف يقسم بالله على صحة حبه هذا، ثم يؤكده باللام؟!

وكيف نفهم سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» إياه عن خصوص هذا الأمر، وهو حبه له؟!

ألا يمكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يظهر تناقض الزبير في مواقفه، وأنه لا يتورع عن الكذب والكيد مرة بعد أخرى؟!

ويدلنا على ذلك: أنه بعد أن كذَّبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما ادعاه لم يتورع عن إطلاق كذبة أخرى مدعمة بقسم

كاذب، هي ادِّعاؤه حب علي «عليه السلام»، فمهد بذلك مرة أخرى لمعاودة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تكذيبه، وليجد المبرر لتقديم الشاهد على ذلك: بأنه سيقاتله من دون شبهة أو مبرر. بل سيقاتله ظالماً له..

ولعل الهدف، هو البيان الحسي والعملي: أن من يحسد ويتجنى، وينقاد لحسده، فإن حسده يرديه ويفضحه، لأنه يرسخ فيه صفات سيئة، ويدعوه إلى ممارسات مشينة، فهو لا يكاد ينهض من كبوة حتى تسقطه أخرى تكون أشد وأعظم ضرراً وخطراً. فإنه «صلى الله عليه وآله» في نفس الوقت الذي نفى فيه الزهو عن علي «عليه السلام»، وعالج فيه الظلم الذي تعرض له علي «عليه السلام» من قبل الزبير، مسجلاً أنها تهمة ظالمة وعدوانية وباطلة، فإنه «صلى الله عليه وآله» أعلن أن هذه لن تكون هي المرة الأخيرة التي يتعرض فيها علي «عليه السلام» للظلم والتعدي من قبل الزبير، بل هو سيتعرض لظلم آخر على يد الزبير، لا يقتصر على مجرد التهمة والقول، بل يتعداه للقتال وشن الحرب الظالمة عليه، فقال له: لتقاتلنه وأنت له ظالم.

العار الذي لا يغسل:

هناك منطقان لا يجتمعان، وهما:

الأول: منطق أهل الحق الذي يرى أن الرجوع عن الخطأ فضيلة، وأن التزام جانب الحق، والتضحية في سبيله بالغالي،

وبالنفيس فلاح ونجاح، وأن رضا الله مقدم على رضا الخلق، على قاعدة: رضا الله رضانا أهل البيت.

الثاني: منطق أهل الباطل، الذين يشترون رضا المخلوق بسخط الخالق، فيرون أن عليهم أن يتشبثوا بباطلهم، وأن يضحوا في سبيله، وأن فواته منهم مصيبة، وخذلان، وعار، وخسران.

وقد جاءت حيرة الزبير في هذا الموقف، واعتبار رجوعه عاراً لا يغسل، لتحدد موقعه بدقة متناهية، حيث رأى أن العار الذي لا يغسل: هو الالتزام بالحق، والتراجع عن البغي والظلم الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه..

والغريب في الأمر: أن معرفته بهذا الحق لم تأت عن طريق الحِجاج والاستدلال وحسب، لكي يتوهم ـ ولو بنسبة واحد إلى مئات الملايين من الاحتمالات ـ أن يكون له بعض الحق في أن يتوهم خلافه، بل جاءت هذه المعرفة من خلال أظهر وأصح الدلائل والشواهد التي تضافرت على إبراز باطله وظلمه، وتجسيده له، ليتلمسه بفكره وبعقله، ووجدانه، وبكل وجوده، وبكل وسائل الإثبات التي يمكن تصورها، حتى إن الغيب والوحي الإلهي قد تدخل فيه، فقد أخبره به النبي «صلى الله عليه وآله» قبل أكثر من ربع قرن، حيث قال له: «لتقاتلنه وأنت له ظالم» في وقت كان يعلن فيه حبه لعلي «عليه السلام»، ويقسم على هذا الحب، ويؤكده بما توفر لديه من وسائل تأكيد..

فكيف يصح بعد هذا أن يعتبر الزبير رجوعه عن الظلم عاراً لا يغسل، ولا يعتبر نفس ظلمه عاراً لا يغسل؟! فإن هذا إن دل على شيء، فهو يدل على سقوط معنى الإنسانية والقيم الإيمانية في نفسه، وعلى أن جاهليته قد استيقظت من سباتها، لتكون هي التي تمسك بقياده، وتحركه في الإتجاه الذي يناسبها.

من أضله الله على علم:

لقد كان الزبير بصدد ارتكاب جريمة عظمى، ويسعى لهدم أحد أهم دعائم الدين، وهي الإمامة من خلال قتل الإمام، وطمس الحقائق وتزويرها، ويريد خيانة الأمة في أهم مرتكزات سعادتها ونجاتها، وأن يفرض عليها التيه والضلال إلى يوم القيامة، وذلك بقتل أخي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، واستئصال أهل بيت النبوة، وارتكاب مجزرة هائلة بحق المسلمين تحصد عشرات الألوف منهم، وإظهاره بمظهر المعتدي الظالم، الذي لا أهلية له للإمامة..

وهذا يحتم على أهل العقل والدين، والحكمة: أن يكشفوا نوايا هذا الرجل، ويعملوا على تعريته، وإظهاره على حقيقته، والتعريف بألاعيبه ومكائده، وأنه يستأكل الدنيا بالدين، ولا يتورع عن سفك دماء المؤمنين، وتمزيق أوصالهم، وهتك حرمة نبيهم، واستغلال قدسيته بتحريض زوجته على مخالفة أمر الله تعالى لها بالقرار في بيتها، وإخراجها لتقود الجحافل، ولتجعل من نفسها ـ وهي على جملها

ـ علماً للعسكر الذي يريد أن يفتك بأهل الصلاح في هذه الأمة..

وقد كان لهذه المواجهة الميدانية بين علي «عليه السلام» والزبير أثراً عظيماً في فضح الزبير، فإن نفس اعتراف الزبير بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأنه سيقاتل علياً «عليه السلام» وهو له ظالم، وإظهار أنه لا يريد الإنصياع لأمر العقل والدين والوجدان، ولما اخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قبوله بالإنصراف عن الحرب، وإنشاده الشعر الذي يعلن فيه ذلك، وأنه قد اختار عاراً على نار مؤججة.

ثم تملصه من قراره هذا بما كشف به عن باطن شيطاني بشع وخبيث، ينضح بالقذارات والمخزيات، مفعم بالروائح الكريهة، نضاح بالصنان المؤذية، والرواشح التي تضج بالمؤذيات المهلكات.

ولم يقتصر الأمر في ذلك على الزبير، بل تعداه إلى كل من أسدى له النصائح بالعودة إلى القتال، فإنها كانت لأصحابها من أقبح الفضائح.

أسباب عودة الزبير للقتال:

ثم إن ما قاله له ولده عبد الله، وعائشة، وطلحة، فيما يرتبط بلزوم عودته للقتال ـ كما ورد في الروايات المختلفة ـ يرجع إلى ما يلي:

1 ـ اتهامه بالجبن والخوف من سيوف بني عبد المطلب.

2 ـ إن نساء قريش ستتحدثن بأنه قد جبن.

3 ـ تخويفه مما ستقوله عنه قريش غداً.

4 ـ إن ذلك يشمت بهم الأعداء.

أضاف طلحة إلى اتهامه إياه بالجبن قوله: سحرك ابن أبي طالب؟!

وكل هذه الأمور يجمعها قول الزبير لعلي «عليه السلام»:

«كيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان. هذا ـ والله ـ العار الذي لا يغسل».

ونستطيع أن نستشف من أقوالهم هذه أموراً عديدة، نذكر منها:

1 ـ إنهم كانوا يدركون ما كان يتمتع به علي «عليه السلام» من قدرة على الإقناع، لأنهم يعرفون: أن الحق دائماً معه وإلى جانبه، وأنه من الوضوح بحيث لا يستطيع أحد مقاومته، أو التملص منه، مهما كان مغرقاً في الباطل، وممعناً في الضلال، ولن ينفعه تزويق الكلام، والتلاعب والتحايل، وإن ذهب بعيداً في الوقاحة والجرأة.

ولكنهم يخشون من الإعتراف بهذه الحقيقة، فيسمونها بالسحر، لخداع العامة، وتخويفهم من الإقتراب منه، والتعاطي معه «عليه السلام».

2 ـ إنهم يسعون إلى إثارة العصبية العشائرية، العمياء، من خلال نسبة السيوف التي يواجهونها إلى بني عبد المطلب، مع أن أهل الدين، والملتزمين بالقيم والأخلاق وذوي العقول، وأهل البصائر، يرون: أن بني عبد المطلب لا يعلنون حرباً عشائرية، وإنما هم

يدافعون عن حق جعله الله تعالى لهم، لمصلحة الناس في دنياهم وفي آخرتهم..

والواجب يقضي على كل عاقل يملك قدراً من العقل والحكمة، ويلتزم جانب الحق والعدل والشرع بأن ينصر بني عبد المطلب في هذا الأمر، ويكون معهم وإلى جانبهم، لأن في ذلك نصرة الله ورسوله، ودينه وحقه ضد المعتدين والظالمين.

فالإنتساب إلى بني عبد المطلب شرف وكرامة، وصواب، وليس مما ينتقص به ويعاب.

3 ـ قد أظهرت كلماتهم المتقدمة: أن قريشاً هي التي تشن الحرب على علي «عليه السلام»، وقد ذكَّروا الزبير: بأن انسحابه هذا سوف يزعج قريشاً، وسيكون لها منه موقف بعد وضع الحرب أوزارها..

وهذا يذكرنا بموقف قريش من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حال حياته، حيث أصرت على مواجهته بالحرب والأذى منذ بعثته «صلى الله عليه وآله»، ولم تستسلم إلا قبيل وفاته في فتح مكة، وكان استسلامها ظاهرياً كما أكدته سائر مواقفها بعد الفتح، حتى كانت واقعة كربلاء، فصبت جام حقدها على الإمام الحسين «عليه السلام»، وارتكبت أبشع جريمة في حقه وفي حق أهل بيته واصحابه.. مصرحين له: بأنهم إنما يقاتلونه بغضاً منهم لأبيه علي بن أبي طالب

«عليه السلام»(1).

وقد أعلم النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بأمرهم:

تارة: بأنه سيقاتلهم على التأويل كما قاتلهم على التنزيل..

وتارة: بأنه سيقاتلهم مفتونين كما قاتلهم كافرين.

ولم تبغض قريش علياً إلا لما فعله بأشياخها في بدر، وأحد، والخندق، وحنين، وغيرها. كما دل عليه الشعر الذي تمثل به يزيد وهو ينكت ثنايا أبي عبد الله الحسين «عليه السلام» بمخصرته، فقد قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي هنيئاً لا تشل
حين حكّت بفناء بركها واستحر القتل في عبد الأسل
قد قتلنا الضعف من أشرافكم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

---

(1) راجع: مقتل الحسين «عليه السلام» ومصرع أهل بيته ص132 وينابيع المودة ص416 مع اختلاف يسير، ومعالي السبطين ج2 ص12 عن أبي مخنف.

وفي نص آخر:

فجزيناهم ببدر مثلها وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لست من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل(1)

وهذا يدل على أن بغض قريش لعلي «عليه السلام» ناشئ عن

---

(1) راجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص187 ومناقب آل أبي طالب (ط مكتبة مصطفوي - قم - إيران) ج4 ص114 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص261 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج5 ص129 والمنتظم ج5 ص343 وتذكرة الخواص ص261 و 262 وآثار الجاحظ ص130 وسؤال في يزيد ص14 فما بعدها، ومقتل الحسين للمقرم ص449 و 450 واللهوف لابن طاووس ص75 و 76 و (ط أنوار الهدى - قم) ص105 وروضة الواعظين ص191 والمسترشد ص510 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص34 والخرائج والجرائح ج2 ص580 ومدينة المعاجز ج4 ص140 وبحار الأنوار ج45 ص133 و 157 و 167 و 186 والعوالم (الإمام الحسين «عليه السلام») للبحراني ص397 و 401 و 403 و 433 ولواعج الأشجان ص226 والغدير ج3 ص260 وتفسير القمي ج2 ص86 والصافي (تفسير) ج3 ص388 ونور الثقلين ج3 ص518 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص115 وتاريخ الأمم والملوك ج8 ص187 وبلاغات النساء لابن طيفور ص21 وينابيع المودة ج3 ص31 و 42 و 244 والنصائح الكافية ص263 وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج2 ص187 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص680 ومصادر ذلك لا تكاد تحصى.

بغضها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ورفضها لدينه، لأن علياً «عليه السلام» إنما قتل أشياخهم تحت رايته.

وهو «عليه السلام» أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل هو نفسه ـ كما دلت عليه آية المباهلة ـ ولكنهم لم يكونوا قادرين على أن يقولوا للإمام الحسين «عليه السلام»: إنما نقاتلك بغضاً برسول الله «صلى الله عليه وآله».. فاستعاضوا عنه بأخيه، ونفسه، علي «عليه السلام».

وقد أشار «عليه السلام» إلى موقف قريش منه، في العديد من الموارد، ومنها قوله: «اللهم عليك بقريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وصغَّروا عظيم منزلتي»(1).

4 ـ لست أدري ما قيمة حديث نساء قريش عن جبن الرجال وشجاعتهم في محاربة الحق وأهله، إذا كان في مقابل الحقائق التي قررها الأنبياء والأوصياء، والكمَّل من النساء، مثل فاطمة «عليها

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص85 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص175 والغارات للثقفي ج1 ص308 وج2 ص570 و 767 والمسترشد ص416 وكتاب الأربعين للشيرازي ص172 و 186 وبحار الأنوار ج29 ص605 وج33 ص569 والمراجعات ص390 والنص والإجتهاد ص444 ونهج السعادة ج6 ص327 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص103 وج6 ص96 وج9 ص305 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص134 و (تحقيق الشيري) ج1 ص176.

السلام»، وخديجة بنت خويلد، وحديث أم سلمة، وزينب، وسائر الصالحات من نساء المؤمنين في الثناء على الرجل في دينه وورعه، واستقامته، ونصرته للحق، وعن سيطرته على شهواته، وعن مواقعه الرسالية؟!

أخزاك الله من ولد ما أشأمك؟!:

ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ: بأن ابن الزبير قد جمع بين أنواع من العظائم والمآثم التي تفرقت في غيره من الناس، فهو ناكث لبيعته، خارج إلى إمامه ناصب للعداء لسيد الأوصياء، ولسيدي شباب أهل الجنة «عليهم السلام».. قاتل للنفس المحترمة، ورأس في الفتنة، ومتوثب على ما ليس له، ومشارك في اتهام أبرأ الناس من دم عثمان، أعني علياً «عليه السلام»، إلى غير ذلك مما شاركه فيه أبوه وطلحة وغيرهما من رؤساء الناكثين..

ولا نريد أن نتحدث عن رذيلتي اللؤم والبخل فيه، ولا عن مدى جهله بالدين وأحكامه، وما إلى ذلك.. ولكننا نود لفت نظر القارئ إلى أمرين ظهرا لنا جلياً في سلوكه تجاه أبيه، وهما:

الأول: أنه قد تغاير في غير موضع الغيرة، حين منع أباه من وطء أمه، محتجاً عليه بقوله: «مثلي لا توطأ أمه»[1]. فدل بذلك على:

____

(1) راجع: أسد الغابة ج5 ص392 والكامل في التاريخ ج4 ص364 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص183 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث

1 - على غروره الفارغ الأجوف، وشدة ضجيج الأنا في داخله. وإلا فكيف ولد هو وأخوته؟! وهل امتنع هو عن إتيان النساء، أو التغوط؟!

2 - إنه قد أساء بذلك إلى أبيه وأمه، وآذاهما وأحرجهما في أمر مخجل لهما.

3 - إنه منعه من حقه وظلمه فيه، وحرمه مما أحله الله تعالى له، بسبب عقدة حقارة في داخله أراد أن يسترها بإظهار تكبر وعنجهية مفتعلة ومصطنعة، وتعاظم مفضوح.

4 - إنه إنما فعل ذلك بتوهم ساذج وسخيف أن وطء الأم يسيء إلى مكانة الرجل السري والشريف، وليس الأمر كذلك، وإلا لكان قد طالب أي كان من الشرفاء آباءهم بذلك.

الثاني: إنه خاطب أباه بصورة مسيئة ومؤذية ومهينة حين اتهمه بالجبن، وبأنه يجلب له العار، وبغير ذلك من تعابير، بعيدة عن الأدب، ومنافية للخلق الكريم.. وهذه رذيلة مخزية لا يرضاها أهل الشرف لأنفسهم، فكيف يرضاها من يدَّعي أنه أهل لمنصب الخلافة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!

والأغرب من ذلك: أن نرى عائشة من أشد الناس إعجاباً ومحبة لابن أختها هذا، وقد فوضت إليه أمر الصلاة بالناس حين اختلف

العربي) ج8 ص381.

طلحة والزبير على هذا الأمر.

ولست أدري ما الذي أثار أعجابها به، وأوجب محبتها له؟! أبخله، أم شؤمه، أم سوء أدبه مع والديه، أم شدة بغضه لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وبني هاشم الذي صرح هو نفسه بأنه كان يخفيه منذ أربعين سنة، حتى لقد ترك الصلاة على النبي «صلى الله عليه وآله» أربعين جمعة، ولما عوتب على ذلك ادعى: أن هذا الحي من بني هاشم إذا سمعوا ذكره «صلى الله عليه وآله» اشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم. وفي رواية: إن له أهيل سوء الخ؟![1].

وحسبه قول أبيه فيه كما ورد في رواية ابن أعثم: أخزاك الله من ولد! ما أشأمك![2].

وقول محمد بن أبي بكر حين جاء به إلى عائشة وهو جريح: اجلس يا ميشوم.

(1) راجع المصادر التالية: العقد الفريد (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص413 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص128 وأنساب الأشراف ج4 ص28 وقاموس الرجال ج5 ص452 ومقاتل الطالبيين ص474 .

(2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص166 والشافي في الإمامة ج4 ص325.

أبالجبن تعيرني؟!:

والأغرب من ذلك والأعجب: أن نجد الزبير الذي كان لا يزال يتمضمض بقوله:

اخترت عارا على نار مؤججة أنى يقوم بها خلق من الطين؟!

والذي أقسم لتوه لعلي «عليه السلام» أنه سيرجع عن حربه، لأنه ذكره قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إن هذا الرجل قد نُكِسَ على رأسه من فوره، لمجرد سماعه بضع كلمات من ولده دغدغ بها خاطره حين اتهمه بالجبن والخوف من بني عبد المطلب، فنسي الله ورسوله، والجنة والنار، والقسم وكل شيء قاله وسمعه، وبادر إلى إثبات شجاعته لابنه بهجوم قتالي عدواني على علي «عليه السلام» وعلى المؤمنين معه، يبرهن به عملياً أنه لا يقيم وزناً، لدماء المؤمنين، ولا لِقَسَم تبرع به، ولا لعهد أعطاه، أو وعد قطعه على نفسه. غير مبال بالتحذير الذي تذكَّر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجهه إليه.

الزبير لم ينصرف عن الحرب:

وزعمت بعض الروايات المتقدمة: أن الزبير بعد أن أثبت لولده أنه ليس بجبان مضى منصرفاً عن الحرب، حتى لقيه عمرو بن جرموز في وادي السباع فقتله غيلة.

وزعمت المعتزلة: أنه تاب ورجع(1).

غير أننا نقول:

إن ذلك غير صحيح، فإن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لتقاتلنه وأنت له ظالم يدل على عدم انصرافه عن القتال.

وستأتي نصوص كثيرة أيضاً تصرح: بأنه قد حارب وانهزم، فقتل وهو منهزم على يد عمرو بن جرموز.

فلعل قول الرواية المتقدمة برقم[1]: «ثم مضى منصرفاً» ليس هو الإنصراف عن الحرب، وإنما انصرف إلى أصحابه بعد أن قضى هجمته، فكان معهم إلى أن باشر الحرب معهم، ثم انهزم فقتل.

بل إن نفس الروايات المتقدمة قد صرح بعضها، وهي الرواية رقم [2]: بأنه قام في صف المقاتلين بعد أن كفَّر عن يمينه بعتق غلامه سرجس.

وفي نص آخر أنه أعتق غلامه مكحولاً.

وفي نص ثالث، وهو الذي نقلناه عن سليم يقول: فقتل طلحة، وانهزم الزبير.

وأما الرواية المتقدمة التي تقول بأن الزبير قال لعلي «عليه السلام»: لا جرم والله لا قاتلتك. ورجع متوجهاً نحو البصرة، فلعله أراد منها: أنه توجه نحو البصرة ثم ردُّوه بكلامهم الذي تضمن اتهامه

(1) الفصول المختارة ص41.

بالجبن، وبغير ذلك.. ثم أقنعوه بعتق غلامه مكحول كفارة عن يمينه، فعاد إلى القتال فقاتل وانهزم.

المفيد & وتوبة الزبير:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله» ما ملخصه: إن الزبير قتل وهو منهزم بلا ندم ولا توبة، ولو كان قد تاب لكان قد صار إلى علي «عليه السلام»، وأظهر نصرته ومعونته.

ولو جاز القطع بأنه تاب، لوجب على المسلمين القول بتوبة كل من حارب النبي «صلى الله عليه وآله» ثم انهزم عنه، وإن لم يلجأ إليه «صلى الله عليه وآله»، ولم يظهر الإقرار بنبوته[1].

وقد استدلوا على توبته بدليلين:

الدليل الأول:

إن الروايات تصرح بتوبته ورجوعه، ولكن ولده اتهمه بالجبن، فرجع وكرَّ على أصحاب علي «عليه السلام»، فقال «عليه السلام»: افرجوا للشيخ، فإنه محرج.

فقول علي «عليه السلام» هذا، ومنعه أصحابه من قتله يدل على ندمه وتوبته.

ويجاب:

(1) الفصول المختارة ص142 - 149.

أولاً: بأنه إن كان رجوعه منصرفاً توبة، فإن كرته على أصحاب علي «عليه السلام» بعد تحريض ابنه نقض للتوبة.

ثانياً: إن هذا أسوأ حالاً، لأن تذكير علي «عليه السلام» قد أزال الشبهة عنه، ولأنه ترك أمر الله للحمية والعصبية، ومحبة الرياسة.

ثالثاً: قول علي «عليه السلام»: فإن الشيخ محرج لا بد أن يكون على سبيل السخرية منه، لأن الحرج لا يدعو إلى الفسق.

وحتى لو كان الزبير محرجاً، فإن إحراجه لا يجيز لعلي «عليه السلام» تمكينه من حربه، وتسويغه إظهار خلافه.

وهذا يوجب الشك في صحة هذه الرواية من الأساس.

رابعاً: إن ما قاله ابن الزبير لأبيه، ليس مما يوجب الحرج لأهل الدين، ولا يلجئهم لارتكاب المعاصي والطغيان، وإنما أمرهم «عليه السلام» بتركه تفضلاً منه، ومنة منه «عليه السلام» بهدف استصلاحه.

والعفو عن الجاني لا يدل على الرضا بجنايته.

الدليل الثاني:

واستدلوا أيضاً بقوله «عليه السلام» لابن جرموز، لمَّا جاءه برأس الزبير وسيفه: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول:

بشر قاتل ابن صفية بالنار[1].

فلو لم يكن الزبير تائباً ومن أهل الجنة لما كان قاتله من أهل النار.

ويجاب:

أولاً: إن وجوب النار بقتل نفس لا يدل على أن النفس المقتولة من أهل الجنة. فقتل المعاهد، وقتل الغيلة، وقتل الكافر بشفاء الغيظ أو للرياء، أو للعبث، أو نحو ذلك يوجب للقاتل النار، ويكون المقتول في النار أيضاً.

ثانياً: إن ابن جرموز كان يوم الجمل مع عائشة في جماعة من بني سعد، فَقَتَل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم انهزم ولحق بالأحنف، فلما علم أن الزبير بوادي السباع في طريقه إلى المدينة، وعلم رغبة الأحنف بقتل الزبير قام ابن جرموز ومعه رجلان من بني عوف بن سعد. أحدهما: فضالة بن حابس، والآخر: جميع بن عمير، وتوجهوا نحو الزبير، فسبقهم إليه عمرو بن جرموز، فتحذَّر منه الزبير، فقال له ابن جرموز لا بأس عليك، فأنا

(1) مسند أحمد ج4 ص198 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص261 ومختصر تاريخ دمشق ج18 ص219 والجوهرة ج2 ص261 وتاريخ الإسلام للذهبي ص582 ومجمع الزوائد ج9 ص297 وكنز العمال ج11 ص724 والغدير ج9 ص27.

منطلق في طريقي ومصاحبك.

ثم غدر به ابن جرموز، وطعنه بالرمح فقتله.

ثم جاء برأسه وسيفه إلى علي «عليه السلام»، متقرباً به إليه، يريد الخروج مما صنع في قتاله وقتل أصحابه.

ولم يقتله تديناً ولا بصيرة في الدين، وكان ذلك معلوماً لأمير المؤمنين «عليه السلام» بما سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبر «عليه السلام» بما سمع. ولا يدل ذلك على استحقاق الزبير الجنة، ولا على توبته.

ثالثاً: إنه استحق النار بإعطائه الأمان للزبير، ثم قتله بعد الأمان، ثم استحقها بقتله إياه غيلة.

رابعاً: إن ابن جرموز خرج على علي «عليه السلام» بعد ذلك مع الخوارج، وكان حامل رايتهم، فقتل معهم.

وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن عاقبة أمره، لئلا يلتبس أمره، فيظن أن قتله الزبير عاصم له عن استحقاق العقاب.

ويشبه هذا قصة قزمان الذي قاتل يوم أحد، فقتل ستة من المشركين، فقيل لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنه من أهل النار.

ثم جرح قزمان، وأخبرهم بأنه إنما قاتل عن أحساب قومه، ثم اشتد به ألم الجراح فقتل نفسه.

وإنما أخبرهم «صلى الله عليه وآله» بأمر قزمان لئلا يشتبه أمره، فيعتقد الناس أنه مؤمن بالرغم من أنه قاتل نفسه.

خامساً: إن علياً «عليه السلام» نادى يوم الجمل: ألا لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، فخالفه ابن جرموز فيما فعله بالزبير. فاستحق ابن جرموز النار لمخالفته لإمامه. ولا ربط لهذا بمصير الزبير، هل هو إلى الجنة؟! أم إلى النار؟!

ولعلك تقول:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن ابن جرموز: إنه من أهل النار، إنما هو للإشارة إلى أنه استحق النار، لأجل أنه قتل رجلاً من أهل الجنة.

ويجاب:

أولاً: بأن الأمر لا ينحصر بما ذكر، فهناك وجه آخر، وهو أنه بما أن الزبير كان رأس الفتنة، وأمير أهل الضلالة، وقائد الناكثين، فقد يظن ظانٌّ: أن قتله يوجب لقاتله المقام المحمود عند الله.. وحيث إن الأمر هنا ليس كما يظن فيه، لأن ابن جرموز كان من أهل النار، فقد نبَّه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» على هذه الحقيقة، وأنه من أهل النار، ليزيل الشبهة فيه.

وهذا كقول النبي «صلى الله عليه وآله» في حق من يرونهم عُبَّاداً وزهاداً، ويحقرون صلاتهم إلى صلاتهم ـ كالخوارج ـ: إنهم من أهل

النار، لكي لا ينخدع الناس بهم(1).

ثانياً: إن ابن جرموز سيكون في جملة الخوارج الذين يخرجون على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويقتلون. ولا ريب في أن الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

بين رواية الأربلي، ورواية البلاذري:

وبعدما تقدم يتضح: أن الرواية التي نقلها الأربلي، المصرحة بخروج الزبير من الحرب طوعاً إلى وادي السباع، قد جاءت لتزوير الحقيقة، التي لا مهرب منها.. ولكنها حين بدت وحيدة فريدة، وقد تضافرت الروايات على معارضتها، وإسقاط مضمونها عن الإعتبار جاءت رواية البلاذري لتدَّعي: أن علياً «عليه السلام» قد التقى بالزبير لقاء آخر غير اللقاء الذي كان قبل بدء القتال، حيث حلف الزبير لعلي «عليه السلام» بأن لا يقاتله، ثم أقنعوه بعتق غلامه مكحولٍ كفارة عن يمينه، فأعتقه ثم عاد إلى القتال.

فادعى قتادة: أن علياً «عليه السلام» التقى بالزبير بعد وقوع الهزيمة على جيش الناكثين، فعاتبه «عليه السلام»، فاستحيا الزبير، وانسل على فرسه منصرفاً إلى المدينة.

ونحن لا نمنع من حدوث هذا اللقاء، ولكننا نقول:

---

(1) راجع ما تقدم في الفصول المختارة ص142 - 149.

إن تصويرهم للأمر، وما رتبوه عليه غريب وعجيب، فـ:

أولاً: إن هذا اللقاء إن كان قد حصل بعد هزيمة أصحاب الجمل، فمعنى ذلك: أنه لقيه وهو منهزم، فما معنى قول الراوي: إنه انسل منصرفاً إلى المدينة؟! أليس هذا من التدليس المفضوح، الذي لا معنى له إلا ذر الرماد في العيون، بوقاحة لا نظير لها، ولا تنتهي إلى حد..

ثانياً: إذا كان الزبير قد انصرف عن الحرب، وندم على ما كان منه، فإن قتل ابن جرموز له يجعل ابن جرموز مجرماً وقاتلاً لرجل مسلم غيلة وغدراً، ويحتِّم على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يعاقب قاتله، أو أن يحبسه إلى أن ينجلي الأمر، ويتوقع في هذه الحال أن يستفهم من قاتله عن مبرر قتله، وعن سبب غدره به.

ثالثاً: كيف رضي النعر بن زمام الذي استجار به الزبير فأجاره حسب ما ذكرته الرواية ـ كيف رضي ـ بما فعله عمرو بن جرموز؟! ولماذا لم يحم رجلاً لجأ إليه، واستجار به؟! ولماذا لم يلاحق قتلته، ولم يشكهم إلى علي «عليه السلام»، أو إلى غيره؟! إلا إن كان ابن زمام هذا يخشى من أن يعاتبه علي «عليه السلام» على تخلفه عنه..

اللقاء بالزبير أكثر من مرة:

ولكننا مع ذلك نقول:

إنه لا مانع من تكرر لقاء الزبير بعلي «عليه السلام»، وتكرر إظهاره الندم، ثم عودته إلى القتال، حتى انهزم، وقتله عمرو بن

جرموز غيلة بعد ذلك، فإن الروايات قد صرحت بلقائه هو وطلحة بعلي «عليه السلام» قبل القتال، كما أن الرواية عن سليم بن قيس تشير إلى أن أحد اللقاءات بين الزبير وبين علي «عليه السلام» قد كان بعد قتل طلحة، ويدل على ذلك: رثاء الزبير لطلحة حين أدبر عن علي «عليه السلام» فقد قال:

فاخترت عاراً على نار مؤججة أنى يقوم لها خلق من الطين

نبئت طلحة وسط القوم منجدلاً ركن الضعيف ومأوى كل مسكين

قد كنت انصره حينا وينصرني في النائبات ويرمي من يراميني(1)

وهذا يؤيد: أن يكون «عليه السلام» قد واجه الزبير في تلك الحرب هو وطلحة تارة، فقرر الزبير الرجوع، ثم عدل عنه.. ثم واجهه بعد قتل طلحة. ولعل المواجهة الثانية كانت حين كان الزبير في حال الفرار إلى وادي السباع، فزعموا: أنه انصرف عن الحرب.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص234 ورسائل المرتضى ج4 ص72 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص238 وحلية الأبرار ج2 ص352 وبحار الأنوار ج32 ص198 والوافي بالوفيات ج14 ص122 وفضائل أمير المؤمنين للكوفي ص167 والمناقب للخوارزمي ص180.

الزبير جاء ليصلح بين الناس:

ولا نكاد نصدق ما زعمته رواية سليم: من أن الزبير قال لعلي «عليه السلام»: جئت لأصلح بين الناس، فإن من جاء ليصلح لا يقول: جئت للطلب بدم عثمان، ولا يجمع الجيوش الجرارة التي تعد بعشرات الألوف، ولا ينكث بيعته، ولا يطلب من إمامه أن يعتزل ليرد الأمر شورى، ولا يقتل المئات في البصرة، ولا ينهب بيت مال المسلمين، ولا يقتل من كان في المسجد، ولا يقتل السبابجة، ولم يكن هناك خلاف بين أحد سوى الخلاف الذي أثاره هو على إمامه.. إلى غير ذلك مما يعلم بمراجعة الأحداث التي عرفنا شطراً منها في هذا الكتاب.

لا يرى علياً أهلاً، ولا أولى بالأمر:

والذي أذهلنا حقاً أن نجد الزبير يقول لعلي «عليه السلام»: «ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا».

وهو كلام يثير الأسئلة في أكثر من اتجاه، فلاحظ ما يلي:

أولاً: إن الله سبحانه هو الذي اختار علياً «عليه السلام» للإمامة والخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمر رسوله بنصبه إماماً يوم الغدير، وقد نفَّذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر الله، فأخذ له البيعة من عشرات الألوف من الصحابة في يوم الغدير، قبل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً.

وقد أعلن هذا الإختيار بصورة صريحة في أكثر من آية قرآنية، ومنها قوله تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)[1].

وقد أكد رسول الله «صلى الله عليه وآله» اختيار الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» له «عليه السلام» في عشرات النصوص على إمامته وخلافته من بعده.

فما قيمة أن يرى الناكثون العاصون لله ولرسوله أنه «عليه السلام» أهل للخلافة، أو ليس أهلاً لها؟!

ثانياً: إن الزبير نفسه، ومعه طلحة وسائر المسلمين، هم الذين أصروا عليه بقبول بيعتهم له، وأعلنوا أنه أهل لهذا الأمر قولاً وعملاً، وبقي عدة أيام يمتنع عن قبول البيعة، وهم يلاحقونه من موضع إلى موضع، ويلحون عليه بالقبول، وهو يأبى ذلك.

فلما لم يجد بداً من القبول كان طلحة والزبير أول من بايعه، ثم كانا من المسلمين أول من نكث بيعته، غير مبالين بالأيمان التي أقسموها، والعهود التي أخذوها وقطعوها على أنفسهم. فكيف يكون الناكث لبيعته، الناقض لأيمانه، المخلف لوعوده وعهوده أولى ممن لم يزل على ما كان عليه في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يغيِّر ولم يبدل؟!

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

ثالثاً: إن طلحة والزبير كانا من أشد الناس على عثمان، وقد شاركا في قتله، والتحريض عليه بكل ما أمكنهم، وكان علي «عليه السلام» هو الذي يحاول أن يدفع القتل عنه. وقد أرسل ولديه إليه لهذا الغرض. وها هو الزبير يدَّعي أنه جاء ليطالب بدم عثمان، مما يعني: أنه ممن قال الله فيهم **(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)(1)**. فكيف يصير البريء من دمه، الملتزم بعهوده، ليس أهلاً للإمامة، ويصير المشارك في التحريض، وفي الهجوم، وفي القتل، ثم يرمي الأبرياء بما اقترفت يداه من آثام ـ يصير ـ أهلاً للإمامة والخلافة؟!

رابعاً: إذا لم يكن علي «عليه السلام» أهلاً للخلافة، فهل صار الزبير أو طلحة أهلاً لها.. إن الزبير حتى في هذا الموقف لم يستطع أن يدَّعي أنه أولى من علي بالخلافة، ولا سيما مع تصريحه «عليه السلام» له بقوله في نفس الرواية المتقدمة برقم [2]: أتطلب مني بدم عثمان، وأنت قتلته؟! فكيف سوَّغ لنفسه نكث بيعته، والخروج لحربه؟!

---

(1) الآية 112 من سورة النساء.

الفصل الرابع:

نظرة في لقاء علي × مع طلحة والزبير..

أحرى الرجلين إن ذكر أن يذكر:

إن معرفة الإنسان بطبائع عدوه ومزاياه وأخلاقه لها أثر عظيم في صناعة المفاجأة، وتحقيق النصر، وتوجيه مسار الأمور. وهذا ما دعا علياً «عليه السلام» لاختيار الزبير لخطابه، وتذكيره ببعض ما يزلزل موقفه، ويغير في مسار الأمور على الصعيد النفسي على أقل تقدير.

لقد عرف «عليه السلام»: أن في الزبير ما يدعوه إلى الإعتراف بالحق، ولعله استفاد من أخواله بني هاشم بعض الخصال النفسية، وبعض السلوكيات.. فإن الزبير كان ألين عريكة، وأشد حياءً. ولم يكن فيه بأو ولا كبر طلحة، ولا صلافته وجرأته.

وقد بدأ «عليه السلام» أسئلته للزبير بما يفترض بالزبير أن يتحرج منه وجدانياً، ويجد في نفسه الرغبة بعدم معاندة علي «عليه السلام»، فأقر له بما سأله عنه، مدَّعياً أنه قد أنسي هذا المقام.

وإقرار الزبير بما قاله له رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي هيأه للإقرار الآخر بعده، بأنه قد بايع علياً «عليه السلام»

طائعاً.. مع أنه كان لا يزال إلى هذا الوقت يكابر ويدَّعي للناس: أنه قد بايع علياً «عليه السلام» واللج (يعني السيف) على عنقه..

ولعل نفس وقوفه وجهاً لوجه مع علي «عليه السلام» قد أيقظ بعضاً من كبريائه، وصعَّب عليه السقوط أمامه في حمأة الكذب الفاضح، فاعترف له بما طلب منه الإقرار به..

ولعله ظن أنه سيتمكن من التعويض عن هذا الإقرار بادِّعاءات أو مطالبات أخرى تأتي بعده، ولكن علياً «عليه السلام» عاجله بأسئلته المحرجة، التي قادته من إقرار إلى آخر يجعله صفر اليدين من أي شيء يمكنه أن يناور به، ويقطع الطريق عليه في أي عمل يمكن أن يتوهم أنه يفيده في توجيه خروجه عليه وحربه له.. وبذلك استطاع «عليه السلام» أن يجعل كل جهد الزبير، وكل مساعيه التي بلغ بها إلى هذا الموقف هباءً منثوراً.

فقد قادته أسئلة علي «عليه السلام» إلى الاعتراف بأنه لم ير منه أي حدث يوجب مفارقته له.

فلما بلغ الأمر بالزبير إلى هذا الحد وجد أن حربه له أصبحت بلا معنى ولا مبرر، فأعلن قراره بالإنصراف عنه. وأقسم على ذلك، ثم نكث بعهده وحنث بقسمه، ففضح بذلك نفسه.

غِيرة، أم أنانية؟!:

وقد وقع الناكثان طلحة والزبير في تناقض كبير حين أظهرا

حرصهما على إبعاد نسائهما عن الظهور بين الرجال، وصاناهما عن مواطن الخطر في ساحات القتال، وإظهارهما الغيرة عليهن بأن خبآ نساءهما في البيوت..

ولكنهما أظهرا عكس ذلك حين رضيا بإبراز زوجة الرسول الأكرم والأعظم «صلى الله عليه وآله» إلى الرجال، حيث جاءا بها إلى ساحة الحرب ليقاتلا بها، وجعلاها علماً للجيش، فدلا بذلك على أن تغايرهما على نسائهما لا لأنهما يرون لزوم صون الأعراض، وحفظ الكرامات.. ولا لأجل حفظ كرامة المرأة وصونها، من حيث هي مخلوق له حقوقه، وله كرامته عند الله. بل من منطلق الأنا الطاغية عليهما، ومن موقع جاهلي بغيض هما اللذان سوَّغا لهما حفظ زوجتيهما إيثاراً منهما لأنفسهما.

كما أنهما حين رضيا بإظهار عرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أسوأ الحالات، وأبشع المناظر، وابعد المواضع عن الصون والحفظ، وحيث تهتك الحرمات، وتزهق الأرواح، وتقطع الرؤوس، وتتطاير الأيدي والأرجل، وتبقر البطون، ولم يرعيا حرمة أقدس المخلوقات وأشرف الموجودات.. فإنما فعلا ذلك بدافع من أنانيتهما الطاغية، وشهوتهما الجامحة إلى الملك، والمال، والجاه والسلطان.

بماذا وعظهما علي ×؟!:

ونلاحظ:

1 - أنه حين تواقف طلحة والزبير، وعلي، فإنه «عليه السلام»

قد بذل محاولة فريدة، ورائدة تنطلق من معرفته بطموحات هذين الرجلين، وتحاكي في شكلها صورتهما النفسية، فقد تضمنت في البداية ملاحظة سجلها في وصف ما أعدَّاه من رجال وخيل وسلاح لقتاله، وأنه يلفت النظر في نوعه وحجمه، ليشعرا بالرضا عن الجهد الذي بذلاه، أي أنه «عليه السلام» لم يحقر جمعهما ولا استهزأ، ولا استهان به، فقال لهما: «لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً، ورجالاً».

والرجل الطامح الأناني والمصاب بداء الكبر، يشعر بالزهو بشهادة كهذه، ولا سيما إذا أتته من عدوه، لأن المعيار عند أصحاب الأطماع هو القوة المادية، والإعتماد على الكثرات والمظاهر.

أما أهل المعرفة بالله، وخصوصاً علي «عليه السلام»، فإنهم يعرفون أن الكثرات ليست هي التي تأتي بالنصر، بل ربما جاءت بالهزيمة، وهذا ما حصل لمن اغتر بها في حرب حنين، كما أن القلة هي التي انتصرت في حنين بعد هزيمة الكثرة.. كما أن القلة هي التي انتصرت في بدر وأحد، والخندق، وخيبر، وهزم أهل الكثرات في هذه المواقع بالذات أيضاً.

2 ـ ثم إنه «عليه السلام» قد انطلق من هذه الملاحظة التي سجلها حول كثرة الرجال، وجودة السلاح الذي أعده الناكثون ليقول لهما:

إن مقومات النصر لا تنحصر بالعدة والعدد، بل تحتاج إلى أمر يكمن في داخل الإنسان، ليكون هو الذي يعطي الخيل والسلاح والرجال الفاعلية والتأثير، ألا وهو القيادة الصالحة التي تضمن رضا

الله تعالى في كل ما تخطط له، وما تقدم عليه. ولذلك قال لهما «عليه السلام»: «لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً، ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً»، إذ بدون رضا الله، فإن السلاح والخيل والرجال لن تأتي بالفلاح والنجاح، بل تأتي بالخسران والخذلان على كل حال، إن لم نقل: إن الخذلان والخسران في صورة الإنتصار سيكون آكد وأشد، لأن النصر الذي يكون ثمنه خذلان الحق وأهله، وهيمنة الباطل وأهله سيكون أعظم، سواء في الدنيا أو في الآخرة، حيث سيشتد غضب الله سبحانه، وسيكون الله تعالى على أهل الباطل أشد بأساً، وأشد تنكيلاً.

3 - ثم جاءت النصيحة الأخيرة منه «عليه السلام» لهما متلائمة مع ما يسعيان إليه من جر النار إلى قرصهما، حيث تضمنت: الإشارة لهما إلى أن من المفترض بهما أن يحفظا تاريخهما الطويل، وأن يكونا قد وفرا فيه لأنفسهما الكثير من الأعمال التي يعتبرونها صالحة، ويرون أنها قد هيأت لهما مكانة مرموقة، ورصدت لهما سجلاً حافلاً بالمعطيات التي يعتمدان عليها كركيزة صالحة للبناء عليها، وتكريس نتائجها الإيجابية، في رسم مستقبلهما الذي يحلمان به..

وأرشدهما إلى لزوم حفظ ذلك، وعدم التفريط به، لأن ضرر هذا التفريط يعود عليهما. فلا معنى لأن يتوهما أن يكون «عليه السلام» قد قال لهم هذا بدافع الخوف من مواجهتهم، أو أن تكون كثرة ما

جمعاه من سلاح وخيل ورجال قد دعته إلى التماس لطائف الحيل لصدهما عما يريدان..

وأوضح «عليه السلام» ذلك كله بمثال ظاهر البداهة يدلل على قبح ما يقدمان عليه، من حيث إنه يتضمن التفريط بهذا الرصيد الذي أنفقا زهرة العمر في جمعه، وتهيئته، وحفظه.. فقد مثَّل لهما بتلك التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً..

وهذه طريقة رائعة وفريدة في محاورة العدو، وفي سوقه إلى محكمة الوجدان ليعيش الصراع في داخل نفسه. ويُهزم من الداخل أولاً، ثم تلحقها هزيمة حاسمة ونهائية على أرض الواقع العملي..

ألم أكن أخاكما؟!:

ثم بادر «عليه السلام» إلى توجيه سؤال وجداني آخر لهما، لا يخرج عن دائرة المنطق والعقل، والإنصاف. مستفيداً في تقرير سؤاله من كلمات حميمة، تلامس المشاعر، وتثير فيها نسيمات الحنين الصافي والبريء من كل غرض شخصي أو دنيوي، حين قال لهما:

«ألم أكن أخاكما في دينكما، تحرمان دمي وأحرم دمكما»؟!

فلاحظ كلمة «أخاكما»، وما فيها من وداد وحنين، وإلى كلمة: «في دينكما» التي تبعد عن واهمتهما كل أثر للأنا وللهوى، وللعصبية العشائرية وسواها. وذلك ليمهد السبيل بذلك لاستلال اعتراف آخر، من شأنه أن يقوض الركائز التي يعتمدان عليها في كل ما بذلاه من

جهد لإعداد ما أعدَّاه من سلاح، وخيل ورجال.. حيث قال لهما:

«فهل حدث من حدث أحل لكما دمي»؟!

وكان طلحة هو المبادر للجواب هنا، لأنه الأكثر جفاء وجرأة، ولا يدعه بأوه ولا كبره أن يتواضع للحق، أو ينقاد للمنطق.. فاتهمه بالتأليب على عثمان..

فأسقط بجوابه هذا منطق العقل، وجانب طريق الإنصاف.

فلم يكن أمام علي «عليه السلام» إلا أن يرجعهما إلى ما لا يمكنهما التخلص منه، وهو الرقابة الإلهية، التي لا تحابي ولا تجامل أحداً.. وأوكل الأمر إليه تعالى، وقطع بذلك على طلحة طريق المكابرة، وأكد ذلك بطلبه من الله طرد قتلة عثمان من رحمته، ثم توجه بالحديث إلى الزبير، فانتهى الأمر بإقراره له، ولزمته الحجة، وأخرج نفسه من الحرب، ثم نُكس على رأسه، ونكث يمينه، وعاد إلى الحرب من جديد. كما أوضحته الروايات المتقدمة..

الإحتجاج بحديث الغدير:

ولأجل التمهيد لما نرمي إليه نشير إلى أن التأمل في ما طرحه «عليه السلام» على طلحة، وعلى الزبير يعطي: أن ثمة أمراً يشتركان فيه، وهو الإحتجاج عليهما بالنكث للبيعة.. أما سائر ما قاله لهما فقد راعى فيه حيثيات وظروفاً أخرى تناسب كل واحد منهما، وقد لا تناسب الآخر..

والدخول في تفاصيل ودقائق ذلك يخرجنا عن السياق الذي وضعناه، فليلاحظ ذلك.

1 ـ قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» احتج على طلحة بحديث: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، وأقر طلحة بأنه قد سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهذا هو حديث الغدير، الذي أعقبته بيعة يوم الغدير المعروفة لدى القاصي والداني.

وسؤالنا هو:

لماذا اقتصر «عليه السلام» في مخاطبته طلحة على خصوص هذه الفقرة، ولم يذكر بيعته يوم الغدير، ولا ذكر نكثه لها، بل اقتصر على الإشارة إلى نكثه بيعته بعد قتل عثمان.

ونجيب:

أولاً: إن الإحتجاج عليه بذلك سيكون غير ذي أثر، لأن طلحة سيجيبه: بأنه لم يكن هو الذي نقض بيعته يوم الغدير، بل الذين استولوا على الخلافة هم الذين أطاحوا بتلك البيعة، وعطلوها، وأذهبوا أثرها.

ثانياً: إنه «عليه السلام» إنما أراد أن يجعل كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» منطلقاً ومرتكزاً للحكم على طلحة ومن معه، بأنهم ممن يعاديهم الله سبحانه.. فما معنى تأييد الناس لهم، وانضوائهم تحت لوائهم، وجعلهم أنفسهم في موضع غضب الله سبحانه وتعالى:

وهنا سؤال آخر:

وهو أنه لماذا طلب «عليه السلام» من طلحة أن يعترف بحديث الغدير، لا من الزبير؟!

ونجيب:

أولاً: لأن الزبير كان سيجيبه: بأنني قد ناصرتك وكنت معك حين أرادوا الإستيلاء على الأمر منك يوم السقيفة، فلماذا تحتج عليّ وتقررني بهذا الحديث؟!

ثانياً: إن طلحة من بني تيم، ومن قوم أبي بكر، الذي كان أول من عدا على علي «عليه السلام»، وأخذ الخلافة منه، فكان إقراره بحديث الغدير مهم جداً.

أما الزبير، فلم يكن لإقراره أية أهمية تذكر، لإمكان الطعن به، بأنه إنما يقرّ لأهل قرابته، فإن بني هاشم أخواله، ولأنه قد ناصر علياً «عليه السلام» في يوم السقيفة. فلم يكن لينقض أمراً قد شارك في تأييده وتأكيده.

2 - ذكرت الرواية أيضاً: أنه «عليه السلام» قد عقب هذا الشاهد بالطعن بصلاحية طلحة لقيادة الناس قيادة صالحة، فإن من يكون أول من بايع، ثم ينكث بيعته لإمامه لا يصلح لأن يؤتمن على دماء الناس وأديانهم، وأعراضهم، ومستقبلهم، ومصالحهم. فكيف إذا كان قد وضعهم في موضع من يعاديه الله ورسوله؟!

3 - وقد استشهد «عليه السلام» بالآية القرآنية ليفيد ما يلي:

ألف: إن هذا الرجل ـ يعني طلحة ـ إذا كان يجرؤ على مخالفة آيات القرآن الصريحة والواضحة، فما الذي يضمن أن لا يدفعهم إلى أعظم العظائم، ويرتكب بهم أعظم الجرائم.

ب: إن الآية تبين لهم عاقبة فعلهم هذا، وهو أن يعود بغيهم عليهم، وان لا يحققوا فيه فلاحاً ولا نجاحاً. بسبب خذلان الله تعالى لهم.

طلحة لم يرجع عن الحرب:

ثم زعمت نفس الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها: أن طلحة لما سمع كلام علي «عليه السلام» قال: «أستغفر الله، ثم رجع».

فقال مروان: رجع الزبير، ويرجع طلحة.. ثم رماه فقتله.

ونقول:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله» ما ملخصه:

إن طلحة قتل بين الصفين، وهو مصمم على الحرب، ومن ادَّعى غير هذا فهو يدعي علم غيب، لا يقبل منه إلا ببرهان، وهو مفقود.

مع أن الأخبار المستفيضة كقول: إن علياً «عليه السلام» مر به وهو قتيل، فقال لأصحابه: أجلسوه، فأجلسوه فقال: هل وجدت ما وعدك ربك حقاً، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، ثم قال: أضجعوا

طلحة(1).

وقال في موضع آخر: لقد كان لك برسول الله صحبة، لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار(2).

وكتب «عليه السلام» إلى عماله بالفتح، وفيه: «إن الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما وشقاقهما، ونكثهما، وهزم جمعهما، ورد عائشة خاسرة».

وهذا يدل على عدم توبة طلحة والزبير. والمعتزلة هم الذين يدَّعون توبتهما(3).

وفي نص لكتابه «عليه السلام» لأهل الكوفة:

«فقتل طلحة والزبير، وقد تقدمت إليهما بالمعذرة، وأقبلت إليهما بالنصيحة، واستشهدت عليهما صلحاء الأمة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين»(4).

---

(1) راجع: الفصول المختارة ص142 والكافئة ص26 وبحار الأنوار ج32 ص210 والإرشاد ص136 و 137 والجمل للشيخ المفيد ص209 و 210 والإحتجاج ج1 ص239 وتصحيح الإعتقاد ص72 و 73 والشافي ج4 ص344 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص248.

(2) راجع: الفصول المختارة ص141 و 142 والكافئة ص25 و 26 والإحتجاج ج1 ص239 وبحار الأنوار ج32 ص201.

(3) راجع: الفصول المختارة ص141 و 142.

(4) راجع: الفصول المختارة ص141 و 142 والكافئة ص28 وبحار الأنوار

والخلاصة: إننا نعتقد: أن حديث رجوع طلحة عن الحرب، وتوبته، مخترع من محبيه، أو من الذين يريدون تبرير عمل الصحابة، حتى لا تلحق بهم تهمة خروجهم على إمامهم، وقتالهم له، وبغيهم عليه، فإن مروان هو الذي قتل طلحة، لأنه كان يرى أنه هو الذي قتل عثمان، ولا بد أن يقتل به.. ومروان باعتقادهم هو من الصحابة الذين لا يروق لهم نسبة المعصية إليهم.

ويبدو لنا: أن مروان قد عرف أن نجاح طلحة والزبير في الوصول إلى الحكم لن يكون في صالحه. وأدرك أن علياً «عليه السلام» هو الرابح في هذه الحرب، فآثر أن ينتقم لعثمان، ويبقى مستظلاً بظل عائشة، ومتكلاً على حلم علي «عليه السلام»، وعفوه.

طلحة يعود للشورى العمرية:

ورغم أن طلحة قد شارك في قتل الخليفة الذي أنتجته الشورى التي اخترعها عمر بن الخطاب، ورغم أنه لا شيء يعطي الشرعية لهذه الشورى، لأنها مجرد اختراع وانتقاء عُمري بحت، لا يستند إلى أي أساس ديني، يمكن الأخذ به، أو الإعتماد عليه.

ورغم أن عمر نفسه لم يكن قادراً على إثبات الشرعية لنفسه،

ج32 ص252 و 253 و 333 ونهج السعادة ج4 ص76 والجمل للشيخ المفيد ص215 و 216 والشافي ج4 ص330 و 331 وتلخيص الشافي ج4 ص136 و 137 ومستدرك الوسائل ج11 ص52.

لأن مجرد إيصاء أبي بكر له لا يعطيه الحق في التسلط على رقاب المسلمين.

فضلاً عن الكلام الذي لا مجال للنقاش فيه حول عدم مشروعية خلافة أبي بكر.

وبالرغم من أن جميع الناس بما فيهم طلحة والزبير قد أجمعوا على البيعة لعلي «عليه السلام» بعد قتل عثمان؛ فلا عبرة بنكث طلحة والزبير لبيعتهما، لأن هذا النكث من الباطل، والباطل لا ينتج عنه إلا الباطل.

وبالرغم من أن سعد بن أبي وقاص قد اكتفى بالإعتزال، ولم يعلن بطلان خلافة علي «عليه السلام». ولم يشارك الناكثين في الخروج على علي «عليه السلام».

نعم، بالرغم من ذلك كله نلاحظ: أن طلحة قد ضم سعداً هذا إليه وإلى الزبير حتى صاروا ثلاثة مقابل واحد، وهو علي «عليه السلام»!!

فجاءه الرد العلوي الصاعق ليقول له: إنه بعد عقد البيعة، فإن النكث لا ينقضها، بل الذي ينقضها هو أن لا يفي الإمام بتعهداته التي بويع عليها. وقد طالبهما «عليه السلام» بأن يسموا له حدثاً واحداً أحدثه، وخالف فيه ما بايعوه عليه.. فلم يجد لديهم شيئاً من ذلك..

ولكنه «عليه السلام» قد ذكر لهما حدثاً يسقطهما عن الصلاحية لما يطمحان إليه، وهو إخراجهما عائشة إلى ساحات الحرب،

وتركهما نساءهما.. وقد اعتبر «عليه السلام» هذا أعظم الحدث منهما. لأنهما أقدما على ما لا يرضاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أحد في حق زوجته.. فكيف إذا كانا قد رضيا بهتك سترها، الذي حرمه الله عليها، مع مبالغتهم في ستر نسائهم؟! فإن ذلك يدل على أنهما مدركان لقبح ما يأتيانه في حق الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأنهما لم يفعلا ذلك غفلة عن حقيقة الحال.

فاعتذر طلحة: بأنها إنما جاءت للإصلاح. وهو اعتذار لا يحل المشكلة لأن الإصلاح لا يكون بالتخلي عن أمر الله تعالى، ومخالفة آياته..

ولو جاز لها ذلك، لجاز لكل النساء أن يبرزن من خدورهن ويأتين إلى ساحات القتال، بحجة الإصلاح، ولم يعد لأمر الله تعالى لنساء النبي «صلى الله عليه وآله» بالقرار في بيوتهن مورد ولا معنى.

على أن الله تعالى علام الغيوب، فكيف أمرهن بما يعلم أنه سينقض في موارد الإصلاح وما أكثرها؟! وهل أمر الله شيء لا بد من نقضه مرة بعد أخرى؟!

ولماذا لم تأت أم سلمة ولا غيرها من نساء النبي «صلى الله عليه وآله» للقيام بهذا الإصلاح.

وهل الإصلاح يكون بجمع الجيوش، وبالأمر بقتل المسلمين في البصرة قبل وصول علي «عليه السلام»، وبهتك حرمة عثمان بن

حنيف، والعدوان على بيت مال المسلمين، وبالكون مع فريق بعينه؟! وبغير ذلك من أمور؟!

إرجاع الأمر شورى لماذا؟!:

لقد قال طلحة لعلي: اعتزل الأمر، ونجعله شورى بين المسلمين، فإن رضوا بك دخلت فيما دخل به الناس الخ..

ونقول:

أولاً: إن الإمامة إن كانت بالنصب من الله تعالى، فقد تحقق ذلك في يوم الغدير، وقد بايع طلحة في ذلك اليوم، وكذلك سائر الصحابة علياً «عليه السلام»، بأمر من الله ورسوله.. ولم يرد شيء يوجب نقض هذه البيعة.

وإن كانت الإمامة تأتي من خلال رضا المسلمين، فقد بايع الناس كلهم علياً «عليه السلام» أيضاً بعد قتل عثمان، بعد إلحاح شديد عليه، وبعد مضي عدة أيام كانوا هم الذين يلاحقونه، ويصرون عليه فيها بقبول هذا الأمر، فأي شورى أعظم من هذه الشورى؟!

ونكث بعض الناس ببيعتهم بعد ذلك لا يعني بطلان تلك البيعة، لأن النكث ليس من موجبات بطلانها.. بل هو معصية عظيمة لله تعالى، يستحق فاعلها العقاب العظيم عليها، ولا يلحق الإمام بمعصية الناس أي ضير أو وهن، أو نقص، ولا يغير شيئاً من إمامته ولزوم طاعته..

ثانياً: لنفترض: أن طلحة والزبير يريدان إرجاع الأمر شورى، فإنما هما رجلان من عشرات ألوف الرجال من هذه الأمة، فمن الذي خولهما الحديث باسم سائر الناس، فلعل تلك الألوف لا تريد هذه الشورى ولا ترضاها؟!

فإن احتجا بفعل عمر، فيجاب: بأن عمر إنما استفاد من سلطانه ومن القوة المسلحة التي كانت تأتمر بأمره. وهي لا تعطي مشروعية لشيء، ولا تصوب فعل أحد من الناس..

ثالثاً: ما ادعاه طلحة من الإكراه على البيعة تكذبه الوقائع التي رآها الناس كلهم، وقد فندها علي «عليه السلام» بصورة لا تقبل الشك، حيث قدم دليلاً حسياً حياً يمكن لكل أحد أن يرجع إليه، ويتأكد منه، وهو: أن هناك ثلاثة أشخاص أبو البيعة، واعتزلوا، فتركهم..

ولعلك تقول:

قد تقدم ما يدل على أن هؤلاء الثلاثة أيضاً قد بايعوه «عليه السلام». وأنهم إنما امتنعوا عن نصرته وعن المشاركة في الحرب ضد الناكثين، والقاسطين والمارقين!!

ونجيب:

أولاً: يمكن أن يكونوا قد امتنعوا عن البيعة مدة، ثم بايعوه بعد ذلك رغبة وطوعاً، حين علموا أنه لن يجبرهم على الخروج معه إلى حرب أعدائه..

ثانياً: حتى لو كانوا قد استمروا على الامتناع عن بيعته، فإن

ضرر ذلك يعود عليهم، لأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.. وهناك أحاديث كثيرة تذكر حال من مات وليس في عنقه بيعة. أوليس له إمام..

ولا ضير في ذلك على علي «عليه السلام»، إذ لا يمكن أن يترك الأمة بلا راع لأجل ثلاثة أشخاص.

ثالثاً: قلنا فيما سبق: إن عدم بيعة هؤلاء لا تضر، وقد ذكر «عليه السلام»: أن سبب امتناعهم هو: أن سعد بن أبي وقاص حسود، وأما محمد بن مسلمة، فذنبه إليه أنه قتل أخاه مرحباً يوم خيبر..

وأما ابن عمر، فلا ضير في عدم بيعته، وهو الذي يقول أبوه عنه: إنه لم يحسن أن يطلق امرأته..

كما أنه في حين يمتنع عن بيعة علي «عليه السلام» فإنه يبايع حتى يزيد بن معاوية قاتل الحسين «عليه السلام»، ثم يبايع رِجل الحجاج، كما ذكرنا في موضع آخر في هذا الكتاب..

أصحاب الجمل والنهروان ملعونون؟!:

وقد ناشد علي «عليه السلام» طلحة والزبير لكي يسمع الناس في الجيشين إقرارهما بأنهما يعلمان: بأن أصحاب الجمل والنهروان ملعونون على لسان النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وقد خاب من افترى.. إلى آخر ما جرى..

ونلاحظ في هذه المناشدة أموراً عديدة، نذكر منها ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» قد طلب في هذا المورد انضمام طلحة والزبير، وخاطبهما بخطاب واحد..

2 - إنه «عليه السلام» لم يقتصر أيضاً على طلحة والزبير، بل ضم إليهما عائشة بنت أبي بكر..

3 - إنه يؤكد على عِلم هؤلاء الثلاثة: طلحة، والزبير، وعائشة، وأضاف إليهم أهل العلم من آل محمد بما يطلب من طلحة والزبير الإقرار به، ويؤكد ذلك: بـ «إن» وبـ «اللام» وبـ «الدعاء على المفتري في هذا الأمر بالخيبة والخسران»، حيث قال «عليه السلام»: **(وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)**(1). وقد جعل نفسه أيضاً في جملة من يشمله هذا الدعاء، إن كان يفتري هذا الأمر.. وهذا يدل على مدى ثقته بصحة ما يقول..

4 - إن إضافة آل محمد مع وصفهم بأنهم أهل العلم يدل:

أولاً: على أن ما يذكره عن آل محمد «عليهم السلام» معروف وموصوف.

ثانياً: إنه يدل على أن آل محمد على قسمين:

الأول: ليس من أهل العلم.

والثاني: من لهم ميزة تخصهم، وهي: أنهم أهل العلم..

---

(1) الآية 61 من سورة طه.

فدلنا بذلك: على أنه «عليه السلام» أراد بكلمة آل محمد المعنى العام الذي يستعمله عامة الناس لا المعنى الخاص الذي قرره رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقصدته آية التطهير..

والمراد بـ «العلم» الذين هم أهله هو: العلم الخاص الذي خصهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون كل من عداهم..

وهذا يعني: أنهم بهذا العلم يشاركون غيرهم فيما يعلمهم به النبي «صلى الله عليه وآله» حتى لو لم يحضروا مجلس الخطاب..

5 - إنه «عليه السلام» لم يقتصر في إثبات اللعن على لسان محمد «صلى الله عليه وآله» على خصوص أهل الجمل، بل ذكر معهم فريقاً لا يزال أمره في ضمير الغيب، ولم تظهر أية إشارات أو إرهاصات لوجوده، وهم أهل النهروان.. ليؤكد بذلك: على أنه إنما يخبر عن غيب خاص تلقاه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الله سبحانه..

وتكون هذه آية أخرى للناكثين كان يفترض بهم أن ينصاعوا لها، ويرتدعوا بها عن غيِّهم.

الزبير يتملص ويكابر:

وقد لوحظ: أن الزبير لم يجرؤ على إنكار ما قاله علي «عليه السلام» مباشرة، بل حاول اللف والدوران، فواجه المناشدة بطرح أسئلة من شأنها أن تعفيه من الجواب الصريح بالتصديق أو بالتكذيب، وكأنه

يريد أن يدعي أن أسئلته إن لم توجب رد كلام علي «عليه السلام»، فإنها توجب التوقف والحيرة.

ولكنه «عليه السلام» قد نقض كل ما تشبث به الزبير، ولم يستطع أن يخرج الزبير من دائرة اللعنة التي وضعه «عليه السلام» فيها..

حجج الزبير في مهب الريح:

وقد تشبث الزبير بعدة أمور، جعلتها حجج علي «عليه السلام» الدامغة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.. وهي التالية:

ألف: من أهل بدر:

قال الزبير: إنه هو وطلحة من أصحاب بدر، ومن أهل الجنة، فكيف يكونون ملعونين؟!

وقد أبطل علي «عليه السلام» قوله هذا بصورة فيها الكثير من الرفق والمراعاة، حيث اكتفى بنفي علمه بأنه من أهل الجنة.. ولعله رأى: أن ذلك يكفي ليفهم الزبير وغيره: أن حديث: « إن الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم..» لا يفيدهم، إما لأن هذا التعبير لم يصدر عنه «صلى الله عليه وآله»..

وإما لأن معنى هذا الكلمة: أن المغفرة إنما تعلقت بأعمالهم السابقة، وعليهم أن يستأنفوا العمل، وسيحاسبون على ما يستجد من أفعالهم. فإن أحسنوا فلهم المثوبة والمقام المحمود، وإن أساؤا عوقبوا

بما يستحقونه..

ب: أوجب طلحة:

واحتج الزبير لإثبات أنهم من أهل الجنة بحديث: «أوجب طلحة (الجنة)»[1]، ومن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص216 وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري ـ بمجلد واحد) ص327 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص226 والثقات لابن حبان ج1 ص230 وتفسير الثعلبي ج3 ص146 وج8 ص24 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص70 و 68 وراجع: مسند أحمد ج1 ص165 وسنن الترمذي ج3 ص119 وج5 ص307 والمستدرك للحاكم ج3 ص25 و 374 و 376 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص370 وج9 ص46 وفتح الباري ج7 ص278 والجهاد لابن المبارك ص108 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص509 ومسند سعد بن أبي وقاص ص152 والشمائل المحمدية ص63 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص598 ومسند أبي يعلى ج2 ص33 وصحيح ابن حبان ج15 ص436 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص765 وموارد الظمآن ج7 ص152 وتفسير البغوي ج1 ص357 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص218 وتهذيب الكمال ج13 ص417 وسير أعلام النبلاء ج1 ص26 والمعارف لابن قتيبة ص228 والعثمانية للجاحظ ص333 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص203 والكامل في التاريخ ج2 ص158 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص184 وج3 ص524 والوافي بالوفيات ج16 ص272 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص275 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص210 وج11 ص309 والسيرة

(حياً)، فلينظر إلى طلحة»[1].

وهذا الاستدلال لم يعد له معنى، بعد أن أعلن علي «عليه السلام»: أنه لا علم له بما يخبر الزبير عنه، بأنهم من أهل الجنة..

يضاف إلى ذلك: أنه لا معنى لهذا الوسام الذي يزعمون أن طلحة قد حصل عليه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن طلحة لم يفعل شيئاً يمتاز به على غيره سوى أنه قد فرَّ من الزحف مع الفارين..

النبوية لابن هشام ج3 ص603 وسيرة ابن إسحاق ج3 ص311.

(1) بحار الأنوار ج32 ص216 وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري ـ بمجلد واحد) ص327 وراجع: سنن الترمذي ج5 ص307 والمستدرك للحاكم ج3 ص376 ومجمع الزوائد ج9 ص149 والمعجم الكبير ج1 ص117 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص766 وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص100 والجامع الصغير ج2 ص554 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص696 وفيض القدير ج6 ص43 وتفسير الثعلبي ج8 ص24 وتفسير أبي السعود ج7 ص99 وتاريخ مدينة دمشق ج24 ص196 وج25 ص86 و 87 وتهذيب الكمال ج13 ص98 وتهذيب الكمال ج13 ص98 وتذكرة الحفاظ ج1 ص366 وسير أعلام النبلاء ج1 ص25 و 26 و 29 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص524 والوافي بالوفيات ج16 ص273 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص276 والسيرة النبوية لابن هشام ج3 ص598 وعيون الأثر ج1 ص418 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص400 وتاريخ الخميس ج1 ص430.

بل روي إنه قال يوم أحد: لألحقن بالشام، فإن لي بها صديقاً نصرانياً، فأنزل الله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)**[1]»[2].

وهو الذي آذى النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر نسائه، حيث قال: لو قد مات محمد، لأجلنا على نسائه بالسهام.

أو قال: لنجلسنّ بين خلاخيلهن.

أو لأتزوجن أم سلمة..

أو نحو ذلك..

فأنزل الله: **(وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا)**[3]»[4].

بل لقد عدَّ الرواة طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمان بن عوف، وغيرهم في جملة من نفَّر الناقة برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة، بهدف قتله[5].

---

(1) الآية 51 من سورة المائدة.

(2) تقريب المعارف ص357 و 358 وبحار الأنوار ج31 ص311.

(3) الآية 53 من سورة الأحزاب.

(4) تقريب المعارف ص357 و 358 وعين العبرة في غبن العترة ص29 وبحار الأنوار ج32 ص218.

(5) تقريب المعارف ص357 و 358 وبحار الأنوار ج82 ص267.

وهو الذي نكث بيعته، وخرج على إمامه، وقُتل وهو على حالة البغي، وقتل في البصرة المئات، ثم تسبب في قتل عشرات الألوف من الناس في حرب الجمل..

وهذا كله يدلنا: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يكون قد منح طلحة الجنة، والشهادة.. وما إلى ذلك..

ج: العشرة المبشرة:

ثم استدل الزبير على أنه من أهل الجنة بحديث سعيد بن عمرو بن نفيل عن العشرة المبشرين بالجنة. وكلهم من قريش.

وقد رأينا أن علياً «عليه السلام» قد استدرجه، ليقول كل ما عنده فيه حيث جاراه، فذكر له: أنه قد سمع سعيد بن عمرو يرويه لعثمان في أيام خلافته..

وكأن الزبير قد توهم أنه قد قارب الوصول إلى ما يريد.. فبادر إلى التأسيس لما يريد، فقال: أفتراه يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فإن أجاب «عليه السلام» بالنفي، فقد أبلغه مراده، فيقرر الزبير الحديث الذي يثبت أنه من أهل الجنة، ولا يبقى مجال للنقاش، ولن تُسمع بعد هذا دعوى الإشتباه أو الغلط، أو ما إلى ذلك..

وإن أجاب «عليه السلام» بالإثبات، وحكم على سعيد بن عمرو بأنه كاذب، فسيواجه عاصفة من الإستنكار لهذا الطعن برجل لم

يظهر منه ما يوجب ذلك. بل قد يتعدى الأمر ذلك إلى الإتهام بأنه ينطلق في موقفه هذا من الرغبة في تكذيب الخبر بأي نحو كان، ولو بالخروج على الضوابط والمعايير الدينية والعقلائية.

فآثر «عليه السلام» أن لا يتعرض للشخص، بل يعالج الحديث نفسه، بأن يثبت كذب الحديث بالدليل القاطع، فجرت المحاورة على النحو التالي:

قال الزبير لعلي «عليه السلام» عن راوي الحديث: أفتراه يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال «عليه السلام»: لست أخبرك بشيء حتى تسميهم ـ يعني العشرة ـ.

فيلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يَعِد الزبير بأن يخبره برأيه في ذلك الرجل، فلم يقل: لست أخبرك برأيي فيه.. بل قال: لست أخبرك بشيء، ولم يذكر له نوع ما سيخبره به.. هل يرتبط بالراوي؟! أو يرتبط بخبره؟! أو بأي شيء آخر؟!

فسماهم الزبير له، وكتم اسم العاشر..

وكان هذا استدراجاً منه «عليه السلام» ليظهر خيانة الزبير، ليدفعه إلى أن يسجل على نفسه اعترافاً صريحاً أمام الناس كلهم: بأنه يقاتل رجلاً يعرف هو أنه من أهل الجنة، ويسعى في قتله..

ولكن علياً «عليه السلام» لا يعترف له، ولا لطلحة بأنهما من

أهل الجنة، بل هو يضعهما في دائرة الذين يحتمل أن يكونا ممن إذا أراد الله تسعير جهنم رفع الصخرة عن الجب الذي فيه تابوته، فتستعر جهنم به.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد استدرج عدوه ليعترف له بما يدينه به أعظم إدانة..

صلاة ابن الزبير بالجيش:

وقد فتح «عليه السلام» عيون الناس وخصوصاً الذين جاء بهم طلحة والزبير ليحاربوه ـ فتح أعينهم ـ على أمر يرونه صبح مساء، ولهم نوع مشاركة فيه. وهو صلاتهم التي يفترض بأمرائهم أن يتعاملوا مع بعضهم فيها بروح الورع والتقوى، وأن تكون سبباً في تذكرهم لله، واعتصامهم به، ولجوئهم إليه، وأن تنسيهم الدنيا، وتبعدهم عن التفكير فيها..

وإذ بصلاتهم هذه بالذات تصبح مسرحاً للتنافس على الدنيا، وعلى ما فيها من جاه، وسلطان.. وتصبح هذه الصلاة من أسباب ظهور عدم ثقتهم ببعضهم، حتى انتهى الأمر بهم إلى التدافع والتخاصم على إمامتها، حتى تدخلت عائشة، وحسمت الأمر، ونصبت أحد أبنائهم لها، وألزمت الآباء بالصلاة خلف الأبناء، فصار طلحة يأتم بابن منافسه، وصار الزبير يأتم أيضاً بابن منافسه.

وهذا أمر يعاينه الناس كل يوم، ويمارسونه معهما(1).

قاعدة الإلزام:

وقد اتضح: أن طلحة والزبير قد بايعا، ثم نكثا، وصارا يطالبان علياً «عليه السلام» بالإعتزال، ليعيدا الأمر شورى.

وقد نقض عليهما علي «عليه السلام» بما أظهر سخافة هذا الطلب، فقد ذكر لهما صورة ما لو فعل هو مع عثمان نفس ما يطالبانه.. بأن طلب منه أن يعتزل لكي يرجع الأمر شورى..

فاعترضا عليه: بأنه ليس له ذلك.. بحجة أنه قد بايع طائعاً..

فبين لهما: أنه لم يبايع طائعاً، بل تحت وطأة التهديد بالقتل، حيث كانت هناك جماعة قد سلَّت سيوفها، وطالبتهم بحسم الأمر أو القتل.

فلو أن علياً «عليه السلام» قد طالب عثمان ـ والحالة هذه ـ بالإعتزال لم يكن ملوماً، ولكان له الحق في ذلك..

أما طلحة والزبير، فقد بايعا علياً «عليه السلام» طائعين، بل إن

---

(1) راجع: تاريخ اليعقوبي (ط صادر) ج2 ص181 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص110 وراجع: والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص39 و (ط دار صادر) ج5 ص54 والجمل للشيخ المفيد ص281 و 282 و (ط مكتبة الداوري ـ قم ـ إيران) ص151 و 152 والجمل لابن شدقم ص39 و 40 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص468 و 469 ومروج الذهب ج2 ص358 والنص والإجتهاد ص445 و 446.

كان أحد يمكن أن يدعي الإكراه، فإن طلحة والزبير لا يمكنهما ذلك.. بدليل: أنهما بقيا أياماً عديدة يلاحقانه من مكان إلى مكان ليبايعاه، وهو يأبى عليهما، فلما رضي بذلك كانا أول من بايع..

والمكره إنما يؤتى به بعد أن تسبقه بيعة الذين أكرهوه..

وهذه حجة بالغة، لا مناص لهم منها، ولا محيد عنها كما هو ظاهر..

الفصل

قتل الزبير: حدث ودلالة..

الزبير يفتتح القتال:

روى الحاكم: أن الزبير قال للأساورة الذين كانوا معه: ارموهم برشق. وكأنه أراد أن ينشب القتال، فلما نظر أصحابه إلى الإنتشاب لم ينتظروا وحملوا، فهزمهم الله(1).

ونقول:

1 ـ الأساورة جمع أسوار، والأسوار، بفتح الهمزة وكسرها: قائد الفرس، والفارس المقاتل منهم. والأساورة قوم من العجم بالبصرة قديماً، كالأحامرة بالكوفة(2).

2 ـ إن مسار الأحداث يعطي: أن زعماء الناكثين لم يكن لديهم مطالب من علي «عليه السلام» يريدون منه أن يعطيهم إياها، حتى إذا

---

(1) المستدرك على الصحيحين ج3 ص371 وتلخيصه للذهبي (بهامش نفس الجزء والصفحة).

(2) لسان العرب ج4 ص388. وراجع: الصحاح للجوهري ج2 ص690 والقاموس المحيط ج2 ص54 وتاج العروس ج6 ص556.

فشلوا في الوصول إليها أنشبوا الحرب.. بل كانت الحرب نفسها هي مطلبهم وغايتهم، ولا شيء غير الحرب، لأنها هي التي تؤدي إلى إسقاط حكومة علي «عليه السلام»..

ويمكن تقريب الصورة إلى الأذهان بالبيان التالي: لو أن علياً «عليه السلام» سلم بأن للناكثين الحق في قتل قتلة عثمان، وبقتل حراس بيت المال، وبأن لهم أن يأخذوا من بيت المال ما شأوا، ثم سلَّم إليهم جميع الذين يتهمونهم بقتل عثمان، ولو كانوا نصف جيشه ليقتلوهم بعثمان. بما فيهم الأشتر، وعمار بن ياسر، وأبناء صوحان وغيرهم.. فإنهم سوف يقتلون جميع هؤلاء ثم يطالبون بالباقين، حتى إذا قتلوهم أيضاً طالبوه بتسليم كل من يمت له بصلة قربى، أو صداقة، أو محبة، أو مودة ليقتلوهم.. فإذا فرغوا منهم طالبوه بتسليم نفسه للقتل، ليحلوا هم محله، ويقوموا مقامه براحة بال، وسلام واطمينان. وكأنهم لم يفعلوا شيئاً.

فالمطلوب إذن: هو اقتلاع علي «عليه السلام» وأهل بيته، وكل من يمت إليه بصلة من الجذور، والتخلص منهم إلى الأبد..

3 - وكان علي «عليه السلام» يعرف تماماً هذا الأمر، ويعرف نتائجه، وقد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب: تصريحه «عليه السلام»: بأن عائشة أرادت قتله، فراجع.

ولأجل ذلك: كان يهتم بالمطاولة، ويسعى لمنع الحرب، وإبعاد من يمكن إبعاده عنها، لأن حرباً يكون هذا هو هدفها سوف تكلف

غالياً، وغالياً جداً. وهذا ما حصل بالفعل.

عمار لا يريد قتل الزبير:

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: حمل عمار على الزبير يوم الجمل، فجعل يحوزه بالرمح، فقال: أتريد أن تقتلني؟!

قال: لا، انصرف.

وقال عامر بن حفص: أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح.

فقال: أتقتلني يا أبا اليقظان؟!

قال: لا يا أبا عبد الله(1).

ونقول:

1 - إن الزبير الذي كان يسعى لقتل ابن خاله، ووصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخيه، وابن عمه، وأفضل الخلق بعده، لا يتورع عن قتل عمار لو قدر على ذلك.. فإذا لم يبادر إلى قتل عمار هنا، وهو يد علي «عليه السلام»، والمتفاني في نصرته.. فلا بد أن

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص512 و (ط الأعلمي) ج3 ص522. وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص243 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص267 وإمتاع الأسماع ج13 ص243 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص479.

يكون ذلك لأحد سببين أو كليهما معاً:

أولهما: خوفه من مؤاخذة الناس له، ووضعهم علامات استفهام حوله، وحول ما يدعيه من الدين.

الثاني: إنه كان عاجزاً عن قتله، بسبب فروسية عمار، وتفوقه عليه في فنون القتال..

ولعل هذا السبب الثاني هو الأقرب والأصوب، كما يدل عليه ما يذكرونه عن قتال عمار، وعن مبارزاته في حرب الجمل، وعن قتله أقرانه، ومنهم عمرو بن يثربي، الذي كان فارس أصحاب الجمل، وقد تحاماه الناس، واتقوا بأسه..

أما الزبير، فلم نسمع عنه إلا الإطراء من محبيه، من دون أن يكون لأقوالهم وادعاءاتهم ما يثبت صحتها..

2 ـ إننا على هذا الأساس نقول:

إن عماراً قد تحدى الزبير بصورة مباشرة حين حمل عليه وجعل يحوزه برمحه.. فلما قال له: أتريد أن تقتلني؟!

قال: لا، إنصرف..

وقد أثبت له بذلك ـ بصورة عملية ـ: أنه قادر على قتله. وأنه سيفعل ذلك إن لزم الأمر.

ولعله قال له ذلك، إقامة للحجة عليه بإعطاء المزيد من الفرصة لكي لا يتوهم أحد أنه قد تعرض لنوع من الإحراج والإستعجال في

أمره. فلعله يتوب، ولعله يتراجع.. وإن كان عمار يعلم أن الذي سيقتل الزبير رجل من أهل النار كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولعل عماراً أراد أن يدلنا بفعله هذا على أنه لا يرى للزبير حرمة، وأنه لم يكن يتحاشى حربه لصحابيته، أو لقرابة من علي «عليه السلام»، وإنما هو يمهله ما دام بالإمكان ممارسة هذا الإمهال، أو أنه ينفذ فيه أمر علي «عليه السلام».. ولكنه لن يكون بمنأى عن العقاب والقتل إذا بلغ الحزام الطبيين، وأصبح المؤمنون في خطر شديد وأكيد من قبله..

مقتل الزبير بن العوام:

1 ـ قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

روى المفضل بن فضالة عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم قال: هرب الزبير على فرس له يدعى بذي الخمار حتى وقع بسفوان (على أربعة أميال من البصرة)، فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي، وابن مُطَرِّح السعدي، فقالا له: يا حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد.

فأقبل معهما، فهو يسير مع الرجلين إذ أتى الأحنف بن قيس رجل، فقال له: أريد أن أُسِّر إليك سراً.

فقال: ادن مني.

فدنا منه، فقال: هذا الزبير قد هرب، وإني رأيته بين رجلين من

بني مجاشع ومنقر، أظنه يريد التوجه إلى المدينة.

فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع إن كان الزبير ألقى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضاً؛ ثم هو يريد أن يرجع إلى أهله بالمدينة سالماً.

فسمعه ابن جرموز، فنهض ومعه رجل يقال له: فضالة بن حابس(1)، وعلما أن الأحنف إنما رفع صوته يذكر الزبير لكراهته أن يسلم، وإيثاره أن يقتل. فاتبعاه جميعاً.

فلما رآهما من كان مع الزبير قالوا له: هذا ابن جرموز! وإنَّا نخافه عليك.

فقال لهم الزبير: أنا أكفيكم ابن جرموز، فاكفوني ابن حابس.

[وفي مصادر أخرى: أنه لما لحق ابن جرموز وصاحباه بالزبير، خرج الذين أجاروا الزبير هاربين، فقال لهما الزبير: إلى أين؟! إلي!! إنما هم ثلاثة ونحن ثلاثة. فأسلماه ولحقه القوم](2).

فحمل عمرو على الزبير، فعطف عليه، فقال: يا فضالة أعِنِّي.

---

(1) أضافت بعض المصادر: نفيل بن حابس أيضاً.. فراجع: أنساب الأشراف (ط سنة 1416هـ) ج2 ص164 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص254 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص112 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص418.

(2) أنساب الأشراف للبلاذري ص254 وراجع: الدر النظيم ص356.

فإن الرجل قاتلي. فأعانه، وحمل ابن جرموز فقتله واحتز رأسه وأتى به إلى الأحنف، فبعثه الأحنف إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».

فلما رآه العسكر أنكروه وقالوا له: من أنت؟!

قال: أنا رسول الأحنف بن قيس.

فمن قائل يقول: مرحباً بك، وبمن جئت من عنده، ومن قائل يقول: لا مرحباً بك، ولا بمن جئت من عنده؛ حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين «عليه السلام».

فخرج إليه رجل ضخم طوال، عليه درع، يتجسس، فإذا هو الأشتر، فقال: من أنت؟!

قال: أنا رسول الأحنف بن قيس.

فقال: مكانك حتى أستأذن لك.

فاستأذن له، فدخل، وأمير المؤمنين «عليه السلام» متكئ، وبين يديه ترس عليه أقراص من طعام الشعير، فسلَّم عليه، وهنَّأه بالفتح عن الأحنف، فقال: أنا رسوله إليك، وقد قتلت الزبير، وهذا رأسه وسيفه! فألقاهما بين يديه.

فقال «عليه السلام»: كيف قتلته وما كان من أمره؟!

فحدثته كيف صنعت به.

فقال: ناولني سيفه. فناولته إياه، فتناوله واستله قال: سيفه، أعرفه! أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»

غير مرة، ولكنه الحين ومصارع السوء[1].

زاد في نص آخر قوله: «وأمر علي برأسه، فحمل إلى وادي السباع، فدفن مع بدنه»[2].

2 - روى منصور بن أبي الأسود، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري قال: «لما بعث الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» برأس الزبير وسيفه، وجاءه الرسول يهنئه بالفتح، تلا عليه: (**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**)[3]»[4].

3 - روي عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال: لما قتل الزبير وجيء برأسه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: أما والله لولا ما كان من أمر حاطب بن أبي بلتعة ما اجترأ طلحة والزبير على

---

(1) الجمل للمفيد ص387 - 389 و (ط الداوري) ص207 - 208 وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص110 - 112 وأنساب الأشراف ص254 - 258 والعقد الفريد ج4 ص323 ومروج الذهب ج2 ص372 - 373 والفصول المختارة ص108. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج7 ص541 ونهاية الأرب ج20 ص94.

(2) راجع: أنساب الأشراف (ط سنة 1416هـ ق) ج2 ص164 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص254.

(3) الآية 141 من سورة النساء.

(4) الجمل للمفيد ص389 و (ط الداوري) ص208 .

قتالي.

وإن الزبير كان أقرب إلي من طلحة، وما زال منَّا أهل البيت حتى بلغ ابنه، فقطع بيننا(1).

4 - روى عبد الله بن جعفر، عن ابن أبي عون قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: لما كان يوم الجمل قلت: والله لأدركن ثأر عثمان، فرميت طلحة بسهم فقطعت نساه، وكان كلما شد الموضع غلب الدم عليه وألمه، فقال لغلامه: دعه فهو سهم أرسله الله إلي.

ثم قال له: ويلك! أطلب لي موضعاً أحترز فيه، فلم يجد له مكاناً. فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله بيت أعرابية، ثم ذهب فصبر هنيَّة ورجع فوجده قد مات.

وهرب الزبير فاراً إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع، فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع بالزبير قد لف بين غارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضاً؛ ثم هو يريد اللحاق بأهله؟!

فسمع ذلك ابن جرموز، فخرج في طلبه، واتَّبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه، فلما رآهما الزبير حَذِرهما. فقالا: يا حواري رسول الله! أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد؛ وسايره ابن جرموز، فبينا هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه، قال: يا أبا عبد الله، انزع درعك واجعلها على فرسك، فإنها تثقلك وتعييك.

---

(1) الجمل للمفيد ص389 و (ط الداوري) ص208 .

فنزعها الزبير.

وجعل عمرو بن جرموز ينكص ويتأخر، والزبير يناديه أن يلحقه وهو يجري بفرسه؛ ثم ينحاز عنه حتى اطمأن إليه، ولم ينكر تأخره عنه.

فحمل عليه وطعنه بين كتفيه، فأخرج السنان من بين ثدييه، ونزل فاحتز رأسه، وجاء به إلى الأحنف، فأنفذه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».

فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال: ناولني السيف. فناوله، فهزه وقال: سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن الحين ومصارع السوء!

ثم تفرس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله «صلى الله عليه وآله» صحبة، ومنه قرابة، ولكن الشيطان دخل منخريك، فأوردك هذا المورد(1).

---

(1) الجمل للمفيد ص389 و 390 و (ط الداوري) ص208 و 209 وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص111 ـ 112 وأنساب الأشراف ص232 و 233 وص254 ـ 258 ومروج الذهب ج2 ص372 ـ 373 والفصول المختارة ص108 وتلخيص الشافي ج4 ص137 والإحتجاج ج1 ص238 ـ 239 والكامل في التاريخ ج2 ص338 وتذكرة الخواص ص77 ـ 78 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص235 ـ 236 والتمهيد والبيان ص224 ـ 225 والمطالب العالية ج4 ص299 ـ 300.

5 ـ لما انصرف الزبير عن حرب علي «عليه السلام»، مر بوادي السباع، والأحنف بن قيس هناك في جمع من بنى تميم قد اعتزل الفريقين، فأخبر الأحنف بمرور الزبير، فقال رافعاً صوته: ما أصنع بالزبير! لف غارين من المسلمين، حتى أخذت السيوف منهما مأخذها، انسل وتركهم. أما إنه لخليق بالقتل، قتله الله!

فاتبعه عمرو بن جرموز ـ وكان فاتكاً ـ فلما قرب منه وقف الزبير، وقال: ما شأنك؟!

قال: جئت لأسألك عن أمر الناس.

قال الزبير: إني تركتهم قياماً في الركب، يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف.

فسار ابن جرموز معه، وكل واحد منهما يتقى الآخر.

فلما حضرت الصلاة ، قال الزبير: يا هذا، إنا نريد أن نصلى.

فقال ابن جرموز: وأنا أريد ذلك.

فقال الزبير: فتؤمني وأؤمنك؟!

قال: نعم، فثنى الزبير رجله، وأخذ وضوءه. فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه، وحثا عليه تراباً يسيراً، ورجع إلى الأحنف، فأخبره، فقال: والله ما أدرى أسأت أم أحسنت؟! اذهب إلى علي «عليه السلام» فأخبره.

فجاء إلى علي «عليه السلام»، فقال للآذن: قل له: عمرو بن

جرموز بالباب، ومعه رأس الزبير وسيفه، فأدخله.

وفي كثير من الروايات: أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف.

فقال له: أنت قتلته؟!

قال: نعم.

قال: والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لئيماً، ولكن الحين ومصارع السوء.

ثم قال: ناولني سيفه، فناوله فهزه، وقال: سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

[أضاف الطبري في روايته عن سيف قوله: وبعث بذلك إلى عائشة](1).

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين.

فقال: أما إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

فخرج ابن جرموز خائباً، وقال:

أتيت علياً برأس الزبير أبغي به عنده الزلفة

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص235 و 236 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص534 و 535 و (ط الأعلمي) ج3 ص540 والفتنة ووقعة الجمل ص174 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص419 والأغاني ج16 ص126 ومروج الذهب ج2 ص362 و (ط أخرى) ج1 ص373.

فبشر بالنار يوم الحساب فبئست بشارة ذي التحفة
فقلت له: إن قتل الزبير لولا رضاك من الكلفة
فإن ترض ذاك فمنك الرضا وإلا فدونك لي حلفة
ورب المحلين والمحرمين ورب الجماعة والألفة
لسيان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذي الجحفة

ثم خرج ابن جرموز على علي «عليه السلام»، مع أهل النهر، فقتله معهم فيمن قتل(1).

ونقول:

هنا أمور كثيرة يحسن التوقف عندها، غير أننا نقتصر منها على ما يلي:

إختلاف الروايات:

كنا وما زلنا نقول: إن اختلاف الروايات لا يدل على كذب جميعها، ولا على أن الواقعة مختلقة من الأساس، بل هو يدل على أن ثمة يداً قد لعبت، وحرفت وزورت، أو اختلقت وابتدعت.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص235 و 236 وشجرة طوبى ج2 ص319 و 320 وأعيان الشيعة ج1 ص456 وراجع: الجمل لابن شدقم ص137 ومروج الذهب ج2 ص362 و (ط أخرى) ج1 ص373. وستأتي مصادر كثيرة أخرى.

ويبقى احتمال أن يكون للواقعة أصل. وتكون إحدى الروايات هي الصحيحة دون سواها ـ يبقى ـ قائماً.. كما أن احتمال أن تكون الواقعة مختلقة من أصلها لا يندفع، ولا يتلاشى.. فلا بد من البحث والتقصي عن هذا الأمر.

ونحن هنا نقطع بأصل الواقعة، وهي: أن الزبير قد قُتل، وأن قاتله هو عمرو بن جرموز، وكان ذلك في وادي السباع، وتحتاج باقي الأمور إلى بحث وتدقيق.

من الذي أجار الزبير؟!:

وقد ذكر المفيد: أن عبد الله بن سعيد المجاشعي، وابن مطرَّح السعدي قد أجارا الزبير، لكن رواية أبي مخنف تقول: إن الذي أجاره هو النعر بن زمام المجاشعي، ورجل من بني سعد يكنَّى: أبا المضرحي (أو المضرجي)(1).

يا حواري رسول الله ′ :

تقدم وصف الزبير: بأنه حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد قلنا أكثر من مرة:

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص254 وراجع: العقد الفريد ج4 ص323 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص110 ومروج الذهب ج2 ص372 والفصول المختارة ص108.

أولاً: إن هذا الوصف قد استلب من أهله الحقيقيين، ومنح لغير أهله، فقد روى الكشي بسنده عن أسباط بن سالم قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر «عليهما السلام»: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريُّ محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟!

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر الخ..(1).

ثانياً: كيف نثبت، وما الدليل على أن لكل نبي حوارياً؟! ولماذا لم نسمع بحواريين لغير عيسى «عليه السلام»، ونبينا محمد «صلى الله عليه وآله»؟!

ثالثاً: بماذا استحق الزبير أن يكون حواري رسول الله «صلى الله

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص6 و (نشر مؤسسة آل البيت 1404هـ) ج1 ص41 وسفينة البحار ج2 ص194 عنه، وبحار الأنوار ج34 ص275 وج22 ص342 والإختصاص ص61 و (ط النجف) ص55 وروضة الواعظين (ط سنة 1386هـ) ص282 وراجع: شجرة طوبى ج1 ص78 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص465 ونهج السعادة ج8 ص128 وتفسير نور الثقلين ج5 ص210 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص110 و 545 والدرجات الرفيعة ص432 وطرائف المقال ج2 ص340 و 593 ومعجم رجال الحديث ج4 ص156 وج9 ص197 وج20 ص109 وتهذيب المقال ج4 ص200 والشيعة في أحاديث الفريقين ص518.

عليه وآله» دون سائر الصحابة، وفيهم من هو أفضل منه، وأقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

رابعاً: روى هشام بن زيد، عن أنس، قال: سألت النبي «صلى الله عليه وآله»: من حواريُّك يا رسول الله؟!

فقال: الأئمة بعدي اثنا عشر، من صلب علي وفاطمة «عليهما السلام». وهم حواريي، وأنصار ديني**(1)**.

عليهم من الله التحية والسلام..

وهناك دلائل كثيرة على انحراف الزبير عن جادة الحق والصواب، ومن يكون كذلك لا يمكن أن يكون من حواريي الأنبياء.

فقد روي: أن ابن الزبير ممن أعير الإيمان، وكان إيمانه مستودعاً، فمشى في ضوء نوره، ثم سلبه الله إياه**(2)**.

وقد روى الشعبي عن علي «عليه السلام» أنه قال: ألا إن أئمة الكفر في الإسلام خمسة: طلحة، والزبير، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري.

---

(1) بحار الأنوار ج36 ص271 و 309 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص213 وكفاية الأثر ص10 و 69.

(2) بحار الأنوار ج32 ص122 وج66 ص223 وتفسير العياشي ج1 ص371 والبرهان (تفسير) ج1 ص544.

وروي نحوه عن ابن مسعود(1).

والدلائل على هذا الأمر كثيرة. فراجع ترجمة الزبير في قاموس الرجال وغيره.

قطع رأس الزبير!!:

وذكرت بعض الروايات: أن عمرو بن جرموز قد قطع رأس الزبير وحمله إلى علي «عليه السلام». وصرحت رواية البلاذري: بأن علياً «عليه السلام» قد أعاد الرأس إلى وادي السباع ليدفن مع الجثة(2).

ونقول:

أولاً: إن بعض الروايات ذكرت: أن ابن جرموز جاء إلى علي «عليه السلام» بفرس الزبير وسلاحه وخاتمه، ولم تذكر مجيئه إليه برأسه، ولو كان ذلك قد حصل لكان الأولى ذكره، لأنه الحدث الأهم.. بل قال المعتزلي: «في كثير من الروايات: أنه لم يأت بالرأس، بل بالسيف»(3).

ثانياً: لو صح هذا وذاك، فقد كان من المتوقع: أن يعترض «عليه

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص335 والشافي في الإمامة ج4 ص331.

(2) أنساب الأشراف (ط سنة 1416هـ) ج2 ص164 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص254.

(3) شرح نهج البلاغة ج1 ص235 و 236.

السلام» على ابن جرموز ما فعله، وأن يؤنبه على حمل الرأس إليه. ولم نر في الروايات التي بين أيدينا ما يشير إلى شيء من ذلك..

وذلك لأن قطع الرأس يعتبر من المثلة التي نهى عنها النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا يرضاها علي «عليه السلام».

سيف الزبير:

زعمت بعض الروايات: أن علياً «عليه السلام» قال عن سيف الزبير: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ونحن نشك كثيراً في صحة هذا الأمر لسببين:

أحدهما: أن الروايات الأخرى، حتى رواية مروان بن الحكم لم تذكر تجلية الكرب عن وجه الرسول «صلى الله عليه وآله»، بل اكتفت بالقول: «أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير مرة، ولكنه الحين، ومصارع السوء»[2].

وفي نص آخر: «سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله «صلى

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص235 و 236 وشجرة طوبى ج2 ص319 و 320 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص534 و 535 و (ط الأعلمي) ج3 ص540 والفتنة ووقعة الجمل ص174 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص419 والأغاني ج16 ص126 ومروج الذهب ج2.

(2) الجمل للمفيد 387 و (ط الداوري) ص208.

الله عليه وآله»، ولكن الحين[1] ومصارع السوء»[2].

الثاني: إن الزبير كان من الفارين من الزحف في أحد، وخيبر، وحنين، وغيرها. وإنما كان الذي طالما جلى عن الكرب عن وجه الرسول «صلى الله عليه وآله» في بدر وأحد، والخندق، وقريظة، وخيبر، وذات السلاسل، وسائر المواقف هو علي «عليه السلام» وحده. فما معنى نسبة ذلك، أوبعضه إلى غيره؟!

وليت أحداً يذكر لنا موضعاً واحداً جلى فيه الزبير الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

هل قتل الزبير غدراً؟!:

وتزعم عاتكة بنت زيد زوجة الزبير: أن عمرو بن جرموز قد قتل زوجها غدراً، فقد قالت:

---

(1) الحين ـ بالفتح ـ: الهلاك. راجع: كتاب العين ج3 ص304 ومختار الصحاح لابن عبد القادر ص94 والقاموس المحيط ج4 ص218 وتاج العروس ج18 ص169 وخزانة الأدب ج2 ص188.

(2) الجمل للمفيد 390 و (ط الداوري) ص209 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص219 عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص111 عن خالد بن سمير. وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص498 و 534 وأنساب الأشراف ج3 ص49 ـ 54 ومروج الذهب ج2 ص372 والكامل في التاريخ ج2 ص338.

غـدر ابـن جـرموز بفارس بهمة يـــوم اللـــقاء وكـــان غيـر مسدد

يا عمرو! لـو نـبـــهـته لوجدته لا طائشـاً رعـش الجنـــان ولا اليد

الـــــــــــخ..[1].

وستأتي الأبيات مع بعض الحديث عنها.

كما أن بعض الروايات قد ذكرت: أن ابن جرموز قد غدر بالزبير وهو يصلي، بعد أن أمنه.

ونقول:

إننا نشك في ذلك، لما يلي:

أولاً: إن الروايات الأخرى، حتى رواية مروان قد صرحت بأنه قتله في ساحة النزال والقتال..

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص336 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص539 وراجع: المستدرك للحاكم ج3 ص368 والآحاد والمثاني ج1 ص161 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1879 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص112 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص435 وأسد الغابة ج5 ص499 وتهذيب الكمال ج9 ص327 وسير أعلام النبلاء ج1 ص67 وأنساب الأشراف ص260 والوافي بالوفيات ج16 ص319 والبداية والنهاية ج5 ص368 وج7 ص278 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص680 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص20 وخزانة الأدب ج10 ص403.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» ـ كما صرحت به رواية المفيد، عن محمد بن إبراهيم ـ قال لابن جرموز: «كيف قتلته، وما كان من أمره؟!

قال ابن جرموز: فحدثته كيف صنعت به، فقال: ناولني سيفه الخ..»(1).

فترى أنه «عليه السلام» لم يعترض على ابن جرموز لقتله الزبير غدراً، ولم يقل له: «إن الغدر والفجور، والخيانة في النار»(2).

ولو كان قد قتله غدراً لم يسكت علي «عليه السلام» عن بيان هذا الحكم، ولو لأجل الإرشاد والتعليم..

---

(1) الجمل للمفيد ص387 - 389 و (ط الداوري) ص207 - 208 وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص110 - 112 وأنساب الأشراف ص254 - 258 والعقد الفريد ج4 ص323 ومروج الذهب ج2 ص372 - 373 والفصول المختارة ص108. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج7 ص541 ونهاية الإرب ج20 ص94.

(2) الكافي ج2 ص338 وبحار الأنوار ج33 ص454 وج41 ص110 و 129 وج72 ص285 و 290 وثواب الأعمال للصدوق ص272 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج12 ص242 وج15 ص70 و (الإسلامية) ج8 ص571 وج11 ص52 ومستدرك الوسائل ج9 ص80 وج14 ص12 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص539 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص691 ونهج السعادة ج2 ص317.

أما ما روي عن عاتكة بنت زيد، فلا يعتد به، لأن عاتكة لم تحضر قتل الزبير، ولم تر ما جرى. وإنما سمعت بذلك من غيرها. فلعل الزبيريين كانوا يأنفون من نسبة الضعف للزبير، ويحبون تصويره على أنه فارس لا يجارى، ومبارز لا يبارى.. فزعموا: أنه قتل في الصلاة، على سبيل الخيانة والغدر، ولعل حب نسبة الفضائل إليه، قد شجعتهم على التأكيد على هذا الأمر، وتداوله ونشره.

بشِّر قاتل ابن صفية بالنار:

وقد ادعى بعضهم: أن قوله «عليه السلام»: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» يدل على أن ابن جرموز قد قتل الزبير غدراً بعد أن أعطاه الأمان، وهذه معصية تقود إلى النار. ثم استشهد برثاء عاتكة لزوجها المتقدم ذكره(1).

ونقول:

أولاً: إن ذلك لا يدل على مطلوبهم، فإن بشارته لو كانت لأجل غدره بالزبير لكان «عليه السلام» قد بين ذلك له، ولم يتركه حائراً كما دلت عليه النصوص، فقد روي: أن ابن جرموز قال: «ظننت أني قتلت عدواً، ولم أظن أني قتلت ولياً له وحميماً»(2). والأبيات

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج32 ص336 وسفينة البحار ج7 ص539 عنه.

(2) راجع: أنساب الأشراف (ط سنة 1416هـ ق) ج2 ص165 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص254.

المتقدمة التي أولها:

أتيت علياً برأس الزبير أبغي به عنده الزلفة
فبشر بالنار يوم الحساب فبئس بشارة ذي التحفة(1)

أدل دليل على تحير ابن جرموز، وعلى أنه كان يرى نفسه مصيباً فيما أقدم عليه، وأنه لم يعرف الوجه في ما قاله علي «عليه السلام» له.

ثانياً: لو كانت بشارته بالنار لأجل قتله الزبير غدراً وبغير حق لكان أقاده به، أو على الأقل عاقبه، ولو بإلزامه بالدية لو ادعى الجهل الذي يعذر به أمثاله. لأنه قتل امرأً مسلماً وهو يصلي، بعد أن كان علي «عليه السلام» قد نهى عن قتل المدبر، والإجهاز على الجريح.

ثالثاً: إن بشارته بالنار إنما كانت لأجل علمه بأنه سيكون في جملة الخوارج، وسيقتل معهم(2). فلما قتل الزبير خشي «عليه

(1) الجمل لابن شدقم ص137 وكتاب الأوائل للطبراني ص54 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص516 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص236 وأسد الغابة ج2 ص199 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص472 وتنزيه الأنبياء للشريف المرتضى ص209 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص20 وراجع: عمدة القاري ج15 ص50 وشجرة طوبى ج2 ص319 و 320.

(2) راجع: شرح نهج البلاغة ج1 ص236 وأعيان الشيعة ج1 ص456.

السلام» أن يظن الناس به الخير، وسلامة العاقبة لأجل هذا العمل العظيم، الذي صدر منه، ويكون قتله للزبير شبهة تمنع من الحكم عليه بالنار، لأجل خارجيته، فأراد «عليه السلام» أن يزيل الشبهة ويبين: أن فعله هذا ليس له أهمية في مقابل ما سيرتكبه في المستقبل.

وهذا نظير قصة قزمان الذي قتل بيده جماعة من المشركين يوم أحد، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه من أهل النار. فعجب من ذلك السامعون، فلما جرح قزمان واثنوا عليه، قال لهم: إنه لا يدري ما جنة وما نار، وإنه إنما قاتل على الأحساب، فلما وجد ألم الجراح قتل نفسه بمشقص كان معه(1).

فكانت شهادة النبي «صلى الله عليه وآله» له بالنار قبل ذلك لتزيل الشبهة في أمره، حيث قد يظن به النجاة بسبب ما فعله قبل أن يقتل نفسه.

ألم نكن معكم؟!:

وتقدم في رواية أبي البختري: أن علياً «عليه السلام» حين جاء رسول الأحنف برأس الزبير تلا قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ**

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج2 ص531 وتاريخ الخميس ج1 ص438 والسيرة النبوية لابن هشام ج3 ص94 والمغازي للواقدي ج1 ص224 و 264 والكامل في التاريخ ج2 ص162 والسيرة الحلبية ج2 ص239.

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ..)[1].

والظاهر: أن المقصود هو التعريض بالأحنف بن قيس. وأنه قد تربّص، ولم يستجب لنداء الواجب الإلهي..

ويحتمل أن يكون المقصود: هو عمرو بن جرموز نفسه، فإنه هو رسول الأحنف إليه.. غير أننا نشك في صحة ذلك، ونود أن نشير إلى النقاط التالية:

1 - إن الرواية تضمنت: أن الرسول كان يحمل معه إلى علي «عليه السلام» رأس الزبير، وقد قلنا فيما تقدم: إن ذلك موضع ريب..

2 - ذكرنا فيما تقدم أيضاً: أن الروايات تذكر: أن الأحنف إنما تخلف عنه «عليه السلام» بأمر منه، ولكي يكف عنه أربعة أو ستة آلاف سيف. حتى لا يكونوا مع عائشة[2].

---

(1) الآية 141 من سورة النساء.

(2) الجمل للمفيد ص295 و (ط الداوري) ص158 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص232 و 237 والغارات للثقفي ج2 ص754 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص338 وبحار الأنوار ج32 ص120 وكتاب الفتوح (ط دار الأضواء) ج2 ص463 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص501 و (ط الأعلمي) ج3 ص510 و 513 وأعيان الشيعة ج1 ص455 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص48 و 50 والفتنة ووقعة الجمل ص152 والكامل في التاريخ ج3 ص239 وإمتاع الأسماع ج13 ص242 ووقعة صفين للمنقري ص501 .

3 - إن الأحنف قد شارك بعد ذلك في حرب صفين. وقد طالبه معاوية بمواقفه، وباستيلائه على المشرعة، وبخذلانه لعائشة، وبموقفه من عثمان.. فأجابه بأجوبة قوية وحاسمة(1).

4 - لقد كانت للأحنف مواقف محمودة عند معاوية، ولا سيما حين أصر عليه بأن يصعد المنبر ويلعن علياً، فأخبره بأنه سيذكره هو وعلي «عليه السلام» وسيلعن الباغي والظالم لصاحبه منهما. فأعفاه معاوية من ذلك، وإنما طلب منه معاوية ذلك بعد أن اعترض على شامي لعن علياً «عليه السلام» عند معاوية(2).

5 - روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم اغفر للأحنف، فكان الأحنف يقول: فما شيء من عملي أرجى عندي من ذلك»(3).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص90 - 93 و (نشر مؤسسة آل البيت «عليه السلام») ج1 ص304 والغارات للثقفي ج2 ص754 وبحار الأنوار ج33 ص245 .

(2) العقد الفريد ج4 ص28 و 29 والغدير ج10 ص261 و 262 ووفيات الأعيان ج2 ص504 و 505 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص231 وعن نهاية الأرب ج7 ص237 وعن زهر الربيع ص81.

(3) أسد الغابة ج1 ص55 ومسند أحمد ج5 ص372 والمستدرك للحاكم ج3 ص614 ومجمع الزوائد ج10 ص2 والآحاد والمثاني ج2 ص433 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص145 والطبقات الكبرى لابن سعد ج7

ولكن قد يؤخذ على الأحنف ما رواه ابن قتيبة، من أن الحسين «عليه السلام» كتب إليه يدعوه إلى نفسه، فلم يرد الجواب، وقال: قد جربنا آل أبي الحسن، فلم نر عندهم إيالة للملك، ولا جمعاً للمال، ولا مكيدة في الحرب(1).

وأنه قد ساعد مصعب بن الزبير، حيث كان على خمس تميم في قتل المختار(2).

وعلى فرض صحة هاتين الروايتين، قد يعتذر عنه: بأنه خاف من انتقام أبناء الزبير (مصعب وعبد الله) منه، لما شاع عنه من مشاركته في التحريض على قتل الزبير.

وأما عدم إجابته لكتاب الإمام الحسين «عليه السلام»، فلا ندري ظروفها، فلعل الأمور تطورت بنحو يمنع من ذلك..

أما ما نقل عنه فيما يرتبط بآل علي، فإنما يدل على أن مسألة

ص93 والتاريخ الصغير للبخاري ج1 ص185 وج2 ص50 والتعديل والتجريح ج1 ص399 وتاريخ مدينة دمشق ج24 ص307 و 308 و 309 وتهذيب الكمال ج2 ص283 و 284 وسير أعلام النبلاء ج4 ص87 و 88 والإصابة ج1 ص332 وتاريخ الإسلام للذهبي ج5 ص347.

(1) عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص211 وراجع: الفايق في غريب الحديث ج1 ص60 وغريب الحديث لابن قتيبة ج2 ص217.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج6 ص95 و (ط الأعلمي) ج4 ص559 وراجع: معجم قبائل العرب ج1 ص131 .

الإمامة لم تكن ناضجة عنده.

وأنه كان يتعامل معهم كأناس أبرار أخيار، ويقيس الأمور فيما يرتبط بالملك بمقاييس دنيوية..

وهذا نقص كبير، لا يعذر فيه أمثال الأحنف. ولكنه لا يعني عدم ميله إلى علي وآله، ولا يعني تفضيله غيرهم عليهم من جهة الدين، والإستقامة والصلاح، والخير والتقوى..

جرَّأتهم قصة حاطب:

وما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» عن قصة حاطب، وأنها هي التي جرَّأت طلحة والزبير على قتاله يدل: على أن من الضروري إجراء دراسات نفسية، والوقوف على المكونات الفكرية، والمؤثرات في المشاعر، والعواطف، وحالات النفس، وما أوجب لها جرأة وإقداماً، أو جبناً وإحجاماً.. وغير ذلك مما يؤثر في ميزاتها وصفاتها التي لها صلة بالأفعال.

وذلك لأن حاطباً كتب إلى قريش يحذرهم من مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم، فنزل جبرئيل بالخبر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأرسل علياً «عليه السلام»، فأخذ الكتاب من المرأة، وحين سئل حاطب عن ذلك اعتذر: بأنه أراد مصانعة قريش..

فانبرى عمر بن الخطاب ليقول: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإنه قد نافق.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع يوم بدر على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

وأنزل الله عز وجل في حاطب: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)**[1]»[2].

وعفا النبي «صلى الله عليه وآله» عن حاطب.

فلعل طلحة والزبير قد اعتبرا أن هذا العفو عن حاطب قد كان لأجل كونه بدرياً، وقد غفرت ذنوبه، بما أن طلحة والزبير أيضاً كانا من أهل بدر، فإن ذنبهما يكون مغفوراً أيضاً.. حتى لو ارتكبا أعظم المجازر والموبقات..

وهذا كلام باطل، لما يلي:

أولاً: إن العفو عن حاطب قد كان تكرماً وإحساناً من رسول الله

---

(1) الآية 1 من سورة الممتحنة.

(2) المغازي للواقدي ج2 ص798 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج5 ص89 وج6 ص60 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج7 ص168 وسنن الترمذي ج5 ص83 والسنن الكبرى للبيهقي ج9 ص146 وعمدة القاري ج17 ص 273 و 274 وج19 ص229 ومسند الحميدي ج1 ص27 و 28 والسنن الكبرى للنسائي ج6 ص487 ومسند أبي يعلى ج1 ص320 وصحيح ابن حبان ج14 ص425 ومعرفة السنن والآثار ج7 ص101 و 102 وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص448 و 449 وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج4 ص40.

«صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن ما كان يرمي إليه النبي «صلى الله عليه وآله» من قوله: لعل الله اطلع على أهل بدر الخ.. هو أن لبدر أثراً عظيماً في غفران ما سلف من الذنوب، بل هي قد توجب مغفرة بعض الذنوب في المستقبل، إن لم تقع استناداً واعتماداً على هذه المغفرة المحتملة، وهي الذنوب التي كانت مجرد تعد على حق الله لأجل غلبة الهوى، واتباعاً لشهوة غالبة، مثل الكذب والزنا ـ والعياذ بالله ـ ونحو ذلك مما لا يوجب هدر حقوق الناس، فإن حقوق الناس لا تترك، وشرط أن لا تصل إلى الشرك بالله الذي لا يغفر. فإن الشرك ذنب لا يغفر.

ولكن طلحة والزبير قد تجرآ على سفك دماء الأخيار، وقتل الأئمة الأطهار، وانتهكا أعظم المحرمات، عن سابق علم وتصميم، بدعوى أنهما من أهل بدرٍ.. مع أن ذلك غير مراد له «صلى الله عليه وآله» قطعاً.

ويشهد لما ذكرناه: قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب.

فأما الظلم الذي لا يغفر: فالشرك بالله، قال الله تعالى: **(إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)**(1).

وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

---

(1)الآية 116 من سورة النساء.

وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضاً»(1).

فكيف إذا كان هذا الذنب هو السعي لقتل الإمام «عليه السلام» والخوض في دماء المسلمين، وانتهاب بيوت الأموال، وتقويض الأمن والنظام فيهم، وقتل عشرات الألوف من المؤمنين، وغير ذلك؟!

الزبير أقرب إليَّ:

وتقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: «إن الزبير كان أقرب إلي من طلحة، وما زال منا أهل البيت حتى بلغ ابنه فقطع بيننا»..

ونقول:

تقدم في الفقرات السابقة: أن من الضروري دراسة شخصية العدو، بدراسة خلفيته الثقافية، ومكوناته الفكرية، لمعرفة المناشئ الداخلية الفكرية والمعرفية التي أنتجت الموقف والممارسة، أو السلوك.. إذ لا شك في تأثير القضايا الفكرية على شخصية الإنسان، وعلى صفاته وحالاته النفسية. كما لا بد من دراسة المحيط والأجواء المحيطة به أيضاً، لأنه يتأثر بها ويتفاعل معها.

وها هو «عليه السلام» يذكر لنا هنا مفردة أخرى تضمنت تحليلاً

---

(1) نهج البلاغة الخطبة ج2 ص95 رقم 176 ومستدرك الوسائل ج12 ص104 وعيون الحكم والمواعظ ص109 وبحار الأنوار ج72 ص321 وج7 ص271.

لسلوكيات الزبير، وبياناً للمؤثرات الخارجية التي أثرت على مساره العاطفي والفكري والعملي، وحولته باتجاه آخر.

فهذه المفردة على عكس سابقتها، ففي سابقتها أثرت الأمور المعرفية والفكرة الكامنة في الداخل في السلوك، والموقف العملي.

أما هنا، فإنه «عليه السلام» قد استل مفردة من الواقع الخارجي العملي، ليرصد أثرها على الأفكار والمشاعر، ثم السلوك والموقف.. فذكر تأثير العشرة، والعلاقة العاطفية بما هو خارج عن الذات، ونوعها وعمقها على الناحية الفكرية والنفسية للأشخاص.. حيث إنها قد تبلغ إلى حد تحويل المسار الفكري والعاطفي للشخص إلى الإتجاه المعاكس لما كان عليه..

فذكر «عليه السلام»: أن الزبير كان أقرب إليه من طلحة، حيث كان يعد منهم قلباً وقالباً، وهوى، وسياسة، وغير ذلك، ولكن عاملاً خارجياً طرأ على حياة الزبير وأثر على أفكاره، وعلى عواطفه، فبدلها وحولها إلى عكس ما كانت عليه، وتبع ذلك تبدل مواقفه ومساره، وهو نشوء ولده عبد الله الذي كانت تربطه به عاطفة الأبوة، والمحبة، وكان يعاشره، ويتأثر بكلماته، ومواقفه، وبأفكاره، فانقلب رأساً على عقب.

وقد دلنا هذا البيان العلوي الرائد على ضرورة إجراء دراسات دقيقة وعميقة للأفكار، وللثقافات، وللمعارف، وللمحيط، وللأشخاص، ولكل الأحوال التي يمر بها من تريد أن تواليه وتعاديه لكي تفهمه،

وتكون على بصيرة من أمرك حين ترسم خطة التعامل معه.

صحبة الزبير وقرابته لم تفده:

وقد تضمنت بعض الروايات المتقدمة لما جرى للزبير: أن هناك عوامل تكون أضعف تأثيراً، مما قد يظن أو يتوهم، فذكر «عليه السلام»: أن صحبة الزبير لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقرابته منه لم تمنع الشيطان من أن يتلاعب به، ويورده موارد الهلاك والبوار.

فما يدعيه البعض، من أن مجرد رؤية رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكفي الإنسان لدخول الجنة، والإستقامة على طريق الحق والخير، وتجعله متصفاً بصفة التقوى والعدالة، ليس صحيحاً..

كما أنه «عليه السلام» قد عطف القرابة على الصحبة في هذا الأمر، فإن القرابة بمجردها أيضاً لا تكفي في العصمة والإستقامة، والنجاة، بل هي تحتاج إلى إرادة وعمل وسعي.

وليكن الزبير الذي هو المصداق الظاهر لكلا هذين الوصفين شاهداً على هذه الحقيقة. كما كان ابن نوح شاهداً عليها من قبل.

دخول الشيطان في منخري الزبير:

ولعل الهدف من اختياره «عليه السلام» التعبير عن تسلط الشيطان على الزبير بقوله: «ولكن الشيطان دخل منخريك» هو الإلماح إلى أن السبيل الذي سلكه الشيطان للتسلط على الزبير هو

النفخ في منخريه، بمعنى أنه أثار فيه نخوة الجاهلية وحميتها، فورم أنفه تغيظاً وتهيجاً.. واقتحم المهالك، من دون أن يعرض الأمور على ميزان العقل، كما أنه لم يعط للقلب دوره في بلورة اندفاع إيماني، مسكون بالسكينة والطمأنينة القلبية التي تترشح وتنبثق من العقائد الحقة والصادقة..

الجائزة يا أمير المؤمنين:

تقدم: أن ابن جرموز قد طلب من علي «عليه السلام» الجائزة على قتله الزبير بن العوام، فلم يعطه «عليه السلام» شيئاً..

وهذا هو المتوقع منه «عليه السلام»:

فأولاً: إن الشعر الذي قاله ابن جرموز يؤكد على أن قتل الزبير لم يكن يهمه، بل كان الهدف هو الحصول على رضا علي «عليه السلام» مقدمة لحصوله على الجائزة، مع أن الجهاد في سبيل الله، ودفع أخطار المفسدين والظالمين واجب على كل إنسان، وليس مما يعطى عليه الأجرة.. وإن كان يمكن للمجاهد الإرتزاق من بيت المال..

ثانياً: لم يكن قتل الزبير هدفاً لعلي «عليه السلام» لكي يعطي عليه الجوائز. بل كان هدفه هو الدفاع عن مصالح الناس وحفظ أرواحهم، ونظامهم ودينهم. وكان يكفي في ذلك: أن يؤخذ الزبير ويسلم إليه.. فلماذا يقتل؟! ولماذا تعطى الجوائز على أمر لم يكن

مطلوباً؟!

ثالثاً: إن قتل الزبير قد جاء على سبيل المخالفة للأمر الذي أصدره علي «عليه السلام»، بأن لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح.. فبعد أن انهزم الزبير لم يكن يحق لابن جرموز أن يقتله، بل كان يجب الكف عنه. فما معنى أن يقتله، ثم أن يطلب الجائزة على قتله؟!.

قتل الزبير وهو منهزم:

ذكرت الروايات المتقدمة وكثير من النصوص الأخرى: أن الزبير قد حارب، ثم انهزم، فلحقه ابن جرموز وقتله.. وهذا هو الصحيح الذي تؤيده الكثير من الشواهد، فلاحظ:

هرب الزبير:

إن ما زعموه، من أن الزبير قد انصرف عن الحرب, ورجع عنها, فقتله ابن جرموز غدراً في وادي السباع. غير دقيق.. بل هو قد حارب, وانهزم بعد هزيمة الناس, فلحقه ابن جرموز إلى وادي السباع، فقتله.

ويدل على ذلك, نوعان من النصوص، فلاحظ ما يلي:

1 ـ النصوص التي ذكرت: أن علياً «عليه السلام» قد ذكَّر الزبير بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لتقاتلنه وأنت له ظالم».

فقرر الإنسحاب من المعركة، ولكن عائشة وطلحة, وعبد الله بن الزبير أنكروا عليه ذلك. فأعتق عبداً اسمه سرجس, أو مكحول، ووقف معهم وحارب.

وقد تقدمت النصوص ومصادرها في فصل سابق(1).

2 ـ وقد قال الشاعر في ذلك:

أيعتق مكحولاً ويعصي نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

أينوي بهذا الصدق والبر والتقى سيعلم يوماً من يبر ويصدق(2)

وهناك أشعار أخرى قيلت في ذلك(3).

3 - ويروي الطبري: كيف أن الناس اقتتلوا يوم الجمل, وقاتل

---

(1) وراجع على سبيل المثال: تلخيص الشافي ج4 ص143 و 141 و 142 و 150 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص234 وج2 ص167 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص 509 و 502 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص254 والفصول المختارة ص106 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص71 وبحار الأنوار ج32 ص205 والكامل في التاريخ ج3 ص 240 و 261.

(2) بحار الأنوار ج32 ص 205.

(3) تلخيص الشافي ج4 ص142 وتاريخ الأمم والملوك ج4ص52 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص71.

الزبير, وحمل عليه عمار.. إلى أن تقول الرواية: فما فجأها إلا الهزيمة, فمضى الزبير من سننه في وجهه، فسلك وادي السباع إلخ..(1).

4 ـ وقال النجاشي الشاعر:

ونــحــن تركنا عند مختلف القنا أخـاكـم عبيد الله لـحماً ملحبا

بصفين لـمـا ارفض عنه رجالكم ووجـه ابـن عتـاب تركنـــاه مـــلغبا

وطلحة من بـعد الـزبـير ولم ندع لضـــبة فـــي الهيجـــا عريفـــاً ومنكبـــا(2)

5 ـ وكتب «عليه السلام» بالفتح إلى أهل الكوفة, فقال: «فقتل طلحة والزبير, وقد تقدمت إليهما بالمعذرة, وأبلغت إليهما بالنصيحة, واستشهدت عليهما صلحاء الأمة, فما أطاعا المرشدين, ولا أجابا الناصحين»(3).

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج4 ص507 و (ط الأعلمي) ج3 ص519 والكامل في التاريخ ج3 ص243 و 263 والفتنة ووقعة الجمل ص157 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص110 .

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط سنة1964م) ج2 ص819 و (نشر دار إحياء الكتب العربية ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج8 ص38 ووقعة صفين للمنقري ص358 و 359 والدرجات الرفيعة ص417.

(3) تلخيص الشافي ج4 ص136.

6 ـ وعن سليم في حديث قال: ونشب القتال, فقتل طلحة, وانهزم الزبير(1).

7 ـ وعن الحسن قال: إن علياً «عليه السلام» لما هزم طلحة والزبير أقبل الناس مهزومين فمروا بامرأة حامل الخ..(2).

8 ـ وذكر الحاكم: أن علياً «عليه السلام» نادى في الناس: أن لا ترموا أحداً بسهم ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف، ولا تطلبوا القوم.. إلى أن قال:

ثم إن الزبير قال للأساورة الذين كانوا معه: ارموهم برشق. وكأنه أراد أن ينشب القتال.

فلما نظر أصحابه إلى الانتشاب لم ينتظروا، وحملوا.

فهزمهم الله، ورمى مروان طلحة الخ..(3).

وهذا يدل: على أن الوقعة الفاصلة قد حصلت بفعل الزبير نفسه

---

(1) راجع: كتاب سليم بن قيس(ط المجلد الواحد ـ تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص329 و (ط 1) ص187 وبحار الأنوار ج3 ص217 عنه.

(2) الكافي ج7 ص138 و 354 وبحار الأنوار ج 32 ص 214 عنه، ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص308 و 309 وتهذيب الأحكام ج9 ص376 وج10 ص202 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج26 ص36 و (الإسلامية) ج17 ص393.

(3) المستدرك للحاكم ج3 ص 371.

وبحضوره، وأن الهزيمة قد وقعت عليه وعلى أصحابه.

9 - وذكر الطبري: أنه «لما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إليَّ أيها الناس، ومعه مولى له ينادي: أعن حواريِّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» تنهزمون؟!

وانصرف الزبير نحو وادي السباع»(1).

10 - ويقول ابن الأثير عن الزبير: «وإنما فارق المعركة، لأنه قاتل تعذيراً, لما ذكر له علي»(2).

ونحتاج إلى العرافين والمنجمين ليبينوا لنا معنى قتال التعذير هذا!!

11 - ونص آخر يقول: «لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، مضى الزبير حتى مرّ بعسكر الأحنف الخ..»(3).

12 - وعن محمد بن إبراهيم قال: «هرب الزبير على فرس له،

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج4 ص 512 و (ط الأعلمي) ج3 ص522 والفتنة ووقعة الجمل ص158 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص110.

(2) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص243 وإمتاع الأسماع ج13 ص244 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص479.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص534 و (ط الأعلمي) ج3 ص539 والفتنة ووقعة الجمل ص174 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص418 و 419.

يدعى بذي الخمار، حتى وقع بسفوان، فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي الخ..»[1].

13 - وفي نص آخر: «هرب الزبير إلى المدينة، حتى أتى وادي السباع، فرفع الأحنف صوته الخ..»[2].

14 - وعن أبي مخنف وغيره: مضى الزبير حين هزم الناس يريد المدينة، حتى مر بالأحنف أو قريباً منه الخ..[3].

15 - ولعل ما ذكره البلاذري إذا ضممناه إلى ما تقدم يصلح بياناً لحقيقة ما جرى.

فقد روى عن قتادة، قال: لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل، فأفضى علي إلى الناحية التي فيها الزبير، فلما واجهه قال له: يا أبا عبد الله، أتقاتلني بعد بيعتي، وبعدما سمعت من رسول الله في قتالك لي ظالماً؟!

فاستحيا، وانسل على فرسه منصرفاً إلى المدينة، فلما صار بسفوان لقيه رجل من مجاشع يقال له: النَعر بن زمام، فقال له: أجرني.

---

(1) الجمل للشيخ المفيد ص387 و (ط مكتبة الداوري) ص207.

(2) الجمل للشيخ المفيد ص390 و (ط مكتبة الداوري) ص208 وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص112.

(3) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص254.

قال النعر: أنت في جواري يا حواري رسول الله.

فقال الأحنف: وا عجباً!! الزبير لفّ بين غارين (أي جيشين) من المسلمين، ثم قد نجا بنفسه الخ..(1).

فالمراد بانصراف الزبير: هو انصراف الهزيمة، لا انصراف التوبة، كما هو ظاهر هذا النص، و لو كان قد انصرف عن القتال على سبيل التوبة، لما احتاج إلى من يجيره. كما أن انصراف التوبة لا يكون بعد هزيمة جيشه كله عنه.

---

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص258 .

الفصل

ترهات.. وأباطيل حول قتل الزبير..

الزبير راجلاً:

قال الطبري:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة، فقتله ابن جرموز[1].

ونقول:

يحاول بعض الناس أن يدعي: أن الزبير انصرف عن الحرب. ربما لكي يحقق الأهداف التالية:

1 - أن يبعد عن الزبير شبح عار الهزيمة، في الوقت الذي يريدون فيه أن يظهروه على أنه يضارع علياً في فروسيته، فهو بطل مغوار، وفارس كرار، لطالما جلَّى سيفه الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. مع أن هذا من المكذوبات اليقينية، كما أشرنا

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج3 ص540 وراجع: الفتنة ووقعة الجمل ص175 وأنساب الأشراف ص251 و 259.

إليه في غير موضع من هذا الكتاب.

2 - إنه لم يحارب إمامه الذي بايعه..

3 - لم يتحقق فيه قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» له عن علي «عليه السلام»: لتقاتلنه، وأنت له ظالم.

4 - إن ما صدر منه في البداية من المسير إلى الحرب كان بسبب نسيانه قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

5 - إنه ليس شريكاً في الدماء التي أريقت في حرب الجمل، والتي بلغت عشرات الألوف من المسلمين..

6 - إنه قتل مظلوماً، بيد غادر فاتك.

ولكن قد فات هؤلاء:

أولاً: أن من يجمع هذه الألوف المؤلفة لحرب إمام قد بايعه، لا يكفي أن يقول: نسيت، ثم ينصرف إلى بيته، وينام قرير العين، هادئ البال، وقد غفر ذنبه، وتاب عليه ربه. بل عليه أن يصلح ما أفسد، وأن يخرج مما فعله، ويعمل على تفريق من جمعهم، وهداية من أضلهم. وبيان الحقائق لمن غشهم، وكذب عليهم..

ثانياً: تقدم: أن الحديث عن توبته ورجوعه منقوض بنصوص كثيرة، تدل على أنه عاد إلى الحرب، بعد أن أعتق عبده مكحولاً.. ولعله أعتق عبداً آخر باسم سرجس أيضاً. وربما كانا اسمين لشخص واحد..

بالإضافة إلى تصريح نصوص كثيرة: بأنه قتل وهو منهزم.

ثالثاً: ذكرنا أيضاً: أن نفس استجارته بهذا وذاك من الرجال المعروفين يدل على أنه لم يتب، ولم ينصرف عن الحرب. وإلا فما وجه الحاجة إلى الجوار إن لم يكن له عدو يطلبه. ويحتاج إلى من يحميه منه..

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» قد أعلن بعد هزيمة الناكثين: أنه قد آمن الأبيض والأسود، وأمر جميع من معه أن لا يتبعوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح.. فغاية ما كان سيحصل للزبير في هذه الحال: أن يؤخذ ويسلِّم إلى علي «عليه السلام»، فلن يجد عنده إلا الترحيب والإكرام، لأنه قد انصرف عن حربه. وتاب من ذنبه. فلماذا يستجير بهذا أو بذاك؟!

خامساً: لو كان الزبير قد انصرف عن الحرب أمام الناس كلهم، وسلك سبيل وادي السباع إلى المدينة، لتسامع الناس بذلك، وانقسم الجيش، ولكانت قد لحقته ثلة منه، ألف أو آلاف أو مئات أو مئة شخص..

ولكان عمرو بن جرموز لم يأت بخاتمه وسيفه، وغير ذلك إلى علي «عليه السلام» ويطلب منه الجائزة.. لأنه يعلم: أن علياً «عليه السلام» سيلومه، وسيحاسبه ويعاقبه.. لأنه قتل امرءاً مسلماً تائباً من ذنبه، هارباً إلى ربه..

إلا أنه يدَّعي: أن ابن جرموز لم يعلم بانصرافه عن الحرب،

وفي هذه الحال، نقول:

كان من المناسب، أو المتوقع أن يسأله علي «عليه السلام»: ألم يبلغك أنه تاب، وانصرف عن الحرب، فلِمَ قتلته؟!

سادساً: تضمن هذا النص الذي نقله الطبري: أن الزبير مضى في صدر يوم الهزيمة نحو المدينة.. فكأنه يشير إلى أن المعركة قد بقيت أكثر من يوم، وهذا يؤيد قول من صرح بذلك، وأنها بقيت ثلاثة أيام.

كما أنه يدل على أن الزبير قد قاتل في الأيام التي سبقت يوم الهزيمة..

ويؤيد ذلك: قوله: إنه انصرف إلى المدينة راجلاً، فإنه يدل على أنه فقد فرسه، ولم يجد فرصة للحصول على غيرها. بسبب الخوف من أن يدركه أعداؤه فيقتلوه..

ولو كان قد انصرف عن الحرب تائباً، فالمفروض أن علياً «عليه السلام» قد واجهه وطالبه بما سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل نشوب الحرب. وكان فرسه لا يزال معه.

فيكون انصرافه راجلاً قرينة على أنه انصراف هزيمة لا انصراف قرار توبة وعزيمة..

الزبير أول من سل سيفاً:

قال الذهبي: «وقتل الزبير بن العوام الأسدي، حواري رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، وابن عمته، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله. قتله ابن جرموز بوادي السباع»(1).

ونقول:

أولاً: إن ما ادعاه الذهبي: من أن الزبير هو حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تقدم بطلانه في الفصل السابق.

ثانياً: ما ادعاه أيضاً: من أن الزبير هو أول من سل سيفه في سبيل الله.. ليس بصحيح.

والظاهر: أنه تعمد إطلاق هذه الدعوى هنا من أجل التعتيم على الجريمة العظمى التي اقترفها، وهي خروجه على إمامه، ونكثه البيعة التي له في عنقه، وانتهابه بيت مال المسلمين، وأنه قد قتل، وهو منهزم من حرب ظالمة، كان هو أحد أهم القادة فيها. وقد قتل فيها عشرات الألوف..

غير أننا نقول:

1 - إن ما ذكره من أن الزبير أول من سل سيفاً إنما أخذه من أبي هلال العسكري في كتابه: «الأوائل»(2) الذي فرغ من تصنيفه سنة 394 هـ ق. وذكره أيضاً غيره.

---

(1) العبر ج1 ص27 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص420.

(2) الأوائل لأبي هلال العسكري ج1 ص307 وراجع: الأوائل للسكتواري ص46 والإصابة ج1 ص545.

وادعى بعضهم: أن عمر الزبير حين شهر سيفه أحد عشرة سنة، حين بلغه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قتل(1). مع تصريحهم بأن عمره كان حين أسلم اثنتي عشر سنة(2).

مع أن هذا أيضاً غير صحيح، لأن الزبير قد قتل وهو ابن ست وستين سنة(3). فلو كان قد أسلم يوم بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن عمره يكون آنئذٍ سبع عشرة، أو ثماني عشرة سنة.. فلو كان قد أسلم وعمره اثنا عشرة سنة، فيكون إسلامه قبل بعثة النبي «صلى الله عليه وآله» بخمس أو ست سنين!!

2 ـ يضاف إلى ذلك: أن الراوي لأوليته في إشهار السيف هو ابنه عروة وسعيد بن المسيب، وراوي ذلك عنهما هو الزبير بن بكار(4).

3 ـ إنه حتى لو كان الأمر كذلك، فإن ذلك لا يمنع من أن يكون الرجل من المحسنين في بداية أمره، ثم يسيء في آخر عمره..

---

(1) الأوائل للسكتواري ص46 وراجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص459.

(2) الإصابة ج1 ص545 (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص457 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص511 وأسد الغابة ج2 ص196 ومعارج الوصول ص57 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج1 ص434.

(3) الإصابة ج1 ص545 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص460 وتهذيب التهذيب ج3 ص275 وتهذيب الكمال ج9 ص326.

(4) الإصابة ج1 ص545 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص459.

وفي التاريخ شواهد كثيرة تدل على حصول مثل هذا الأمر لكثيرين حيث إن بعض الناس قد يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، كما أن بعضاً آخر يمسي كافراً ويصبح مؤمناً. وقد قال تعالى مشيراً إلى هذا الأمر: **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا)**(1).

وقال سبحانه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)**(2).

وقال سبحانه: **(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)**(3).

4 ـ بل إن قصة قزمان قد دلتنا: على أن بعض الناس كان يشارك في الحروب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقتل الكثيرين من المشركين، فيظن الناس أنه من أعظم المخلصين، ثم يتبين لهم عكس ذلك. وينتهي به الأمر إلى الجراحة، فيقتل نفسه تخلصاً من ألم الجراح، بعد أن يكون قد صرح بأنه لا يدري ما جنة وما نار، ولكنه

---

(1) الآية 144 من سورة آل عمران.

(2) الآية 54 من سورة المائدة.

(3) الآية 38 من سورة محمد.

يقاتل عن الأحساب. وليس قربة إلى الله سبحانه(1).

من روايات سيف:

وذكر الطبري أيضاً:

أن ميمنة أمير المؤمنين حملت على ميسرة أهل البصرة، فاقتتلوا من ارتفاع النهار إلى قريب العصر، ثم انهزموا.

لكن في حديث سيف، عن محمد وطلحة: قالا: ولما انهزم الناس في صدر النهار، نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إلي أيها الناس، ومعه مولى له ينادى: أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» تنهزمون!

وانصرف الزبير نحو وادي السباع، واتبعه فرسان، وتشاغل الناس عنه بالناس.

فلما رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم، ففرق بينهم، فكروا عليه، فلما عرفوه قالوا: الزبير! فدعوه، فلما نفر فيهم علباء بن الهيم، ومر القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول: إلى عباد الله، الصبر الصبر!

فقال له: يا أبا محمد، إنك لجريح، وإنك عما تريد لعليل، فادخل الأبيات.

فقال: يا غلام، أدخلني، وابغني مكاناً.

---

(1) تقدمت المصادر لذلك تحت عنوان: بشر قاتل ابن صفية بالنار.

فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان، فاقتتل الناس بعده، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة، فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قَلْبَاً كما كانوا، حيث التقوا وعادوا إلى أمر جديد، ووقفت ربيعة البصرة، منهم ميمنة ومنهم ميسرة.

وقالت عائشة: خل يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله عز وجل، فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً.

وأقبل القوم وأمامهم السبائية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلي من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقداماً.

فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه. ورموا عائشة في هودجها، فجعلت تنادى: يا بني ـ البقية البقية ـ ويعلو صوتها كثرة ـ الله الله ـ اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو.

وضج أهل البصرة بالدعاء.

وسمع علي بن أبي طالب الدعاء، فقال: ما هذه الضجة؟!

فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم.

فأقبل يدعو ويقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم.

وأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث: اثبُتا مكانكما، وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرها،

ولا يكفون عن الناس.

فازدلفت مضر البصرة، فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم علي، فنخس علي قفا محمد، وقال: احمل.

فنكل، فأهوى علي إلى الراية ليأخذها منه، فحمل، فترك الراية في يده.

وحملت مضر الكوفة، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا، والمجنبات على حالها، لا تصنع شيئاً.

ومع علي أقوام غير مضر، فمنهم: زيد بن صوحان، فقال له رجل من قومه: تنح إلى قومك، ما لك ولهذا الموقف، ألست تعلم أن مضر بحيالك، وأن الجمل بين يديك، وأن الموت دونه.

فقال: الموت خير من الحياة، الموت ما أريد.

فأصيب وأخوه سيحان، وارتث صعصعة، واشتدت الحرب.

فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة: أن اجتمعوا على ما يليكم.

فقام رجل من عبد القيس، فقال: ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل.

قالوا: وكيف يدعونا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه، ومن قتل داعى الله كعب بن سور؟!

فرمته ربيعة رشقاً واحداً، فقتلوه.

وقام مسلم بن عبد الله العجلي مقامه، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه.

ودعت يمن الكوفة يمن البصرة، فرشقوهم.

2 ـ كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة قالا: كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار، وأصيب فيه طلحة «رضي الله عنه»، وذهب فيه الزبير، فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، ذمرتهم عائشة، فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا.

وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة، وتزاحف الناس، فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة، وربيعة البصرة ربيعة الكوفة، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة، وقال: إن الموت ليس منه فوت، يدرك الهارب ولا يترك المقيم[1].

ونقول:

هاتان روايتان رواهما سيف بن عمر، وفيهما الكثير من المواضع التي تحتاج إلى بيان، ونحن نكتفي منها بالإشارة إلى ما يلي:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص512 و 514 و (ط الأعلمي) ج3 ص522 ـ 524.

الزبير قتل وهو منهزم:

صرحت هاتان الروايتان، بالرغم من أن سيف بن عمر هو راويهما: بأن الزبير قد قاتل يوم الجمل، وقاتل الناس معه ومع طلحة صدر من النهار، ثم ذهب الزبير.. وليلاحظ التعبير بـ «ذهب» في الرواية الثانية وتحاشي كلمة «انهزم»..

أما في الرواية الأولى، فقد صرح: بأن الناس انهزموا في صدر النهار، وأن الزبير ناداهم: أنا الزبير، هلموا إليَّ أيها الناس، ومعه مولى ينادي: «أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفرون»؟!

وانصرف الزبير نحو وادي السباع، واتبعه فرسان.. ثم يذكر ما جرى بينه وبينهم..

ويلاحظ: التعبير أيضاً بكلمة: «انصرف» حيث تحاشى التعبير بكلمة: «انهزم». مع أنه قال عن الناس: إنهم انهزموا والسبب في ذلك ظاهر. وهو يدل على خبث ومهارة ظاهرة..

حواري الرسول ’:

أما نداء مولى الزبير: أعن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفرون؟! فقد قلنا أكثر من مرة: إن هذا الوسام لم ينله الزبير، بل لا يمكن أن يناله أمثاله.. فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه حول هذا الأمر.

على أن هذه الرواية من ترهات سيف المعروف بالكذب والوضع، والمتهم بالزندقة..

القعقاع.. وطلحة:

والحديث عن القعقاع وطلحة يشبه الحديث عن حواري الرسول «صلى الله عليه وآله»، فـ:

أولاً: هو مروي عن سيف، وهو متهم بالزندقة والكذب والوضع.

ثانياً: إن القعقاع ـ كما يرى بعض العلماء ـ شخصية وهمية، من مخترعات سيف.

ثالثاً: إن طلحة بعد أن رماه مروان بسهم في ركبته قد شغل بنفسه عن حث الناس على القتال.. فضلاً عن أن ينحازوا إليه ليتولى قيادتهم.

رابعاً: كيف يكون طلحة قد دخل إلى بيت في البصرة، وهو قد مات في المعركة، وبقي بين القتلى، وقد مرَّ به علي «عليه السلام»، وطلب أن يجلسوه، ثم خاطبه بقوله: قد وجدت ما وعد ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟!

عائشة تأمر كعباً بعرض المصحف:

وما زعمته الرواية، من أن عائشة قد أمرت كعب بن سور بأن يتقدم بكتاب الله ويدعوهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً، غير صحيح. وذلك لما يلي:

أولاً: إن الفتى مسلماً المجاشعي هو الذي عرض المصحف على الناكثين من قبل علي «عليه السلام» فأمرت عائشة بقتله فقتل.. وعرض عليهم علي «عليه السلام» المصحف مرة أخرى أيضاً فلم يستجيبوا له.

ثانياً: إن كعب بن سور قد قتل في أول المعركة، ويقال: إنه كان أول قتيل منهم، وهذه الرواية تدعي: أنه قتل بعد فرارهم وفرار الزبير، وبعد قتل طلحة..

ثالثاً: إن كعب بن سور كان يحمل معه مصحفاً، وقد علقه برقبته، فلم يكن بحاجة إلى أن تدفع إليه عائشة مصحفاً.. إلا أن يدعى: أن هذا المصحف هو نفس المصحف الذي دفعته إليه عائشة.

علي × والأحنف:

وفي روايات سيف بن عمر: أنه بعد أن قتل ابن جرموز الزبير بن العوام، وجاء إلى الأحنف بفرسه وسلاحه وخاتمه، انحدر الأحنف إلى علي «عليه السلام» وابن جرموز معه، ودخل على علي علي «عليه السلام»، فأخبره. فأخذ علي «عليه السلام» سيف الزبير، وقال: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال الطبري: ثم أقبل على الأحنف، فقال: تربصت.

فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير

المؤمنين، فارفق، فإن طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني، واستصف مودتي لغد، ولا تقولن مثل هذا، فإني لم أزل لك ناصحاً(1).

ونقول:

إن هذه الحكاية موضع ريب وشك، لأن ما ذكرته الرواية، من أن علياً «عليه السلام» قال للأحنف: تربصت.. ثم جواب الأحنف له، يحتاج إلى تفسير وتوضيح:

فأولاً: قد أظهر النص المتقدم: أن الأحنف كان يرغب بقتل الزبير، جزاء له على إثارته الفتنة، ثم سعيه للنجاة بنفسه.

وهذا ما فهمه عمرو بن جرموز منه أيضاً.

وهو يدل على أن الأحنف كان متحاملاً على الخارجين على علي «عليه السلام»، مهتماً بالتخلص منهم. وهو لا يناسب اتهام علي «عليه السلام» إياه بالتربص، وقسوته عليه..

ثانياً: لقد تضمن جواب الأحنف لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن علياً «عليه السلام» هو الذي أمره بالاعتزال، فكيف يتهمه

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص535 و (ط الأعلمي) ج3 ص539 و 540 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص256 والفتنة ووقعة الجمل ص174 و 175 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص419 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص273 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص429 ـ 433.

بالتربص؟! وكيف يأمره بفعلٍ؛ ثم يؤاخذه عليه..

ثالثاً: إذا كان باعتزاله كلا الفريقين قد كف عن علي أربعة آلاف أو ستة آلاف سيف ـ على اختلاف الروايات ـ كانوا سيحاربون علياً «عليه السلام» مع الناكثين، فلا شك في أنه كان محسناً، ولا تصح ملامته على اعتزاله، ولا مجال لاعتباره متربصاً..

رابعاً: إن ما ذكره الأحنف، من أن الحكمة هي استصفاء مودته، والرفق به، لأنه «عليه السلام» يريد عاملاً في نصرة الحق، ناصحاً للإمام غير غاش.. كلام صحيح، فكيف يمكن أن يغفل علي «عليه السلام» عن مثل هذا الأمر البديهي؟!

إلا أن يقال: إنه «عليه السلام» قد أطلق هذه الكلمة لكي يُسْمِع الناس جواب الأحنف، ويعرِّفهم بأنه هو الذي أمره بالإعتزال. فكأنه «عليه السلام» قد واجهه بنفس التهمة التي كان يتدوالها أصحابه «عليه السلام». فحسم الأمر بذلك.

ويشهد على ذلك: أن الحاجة قد مست لهذا الحوار، كما أظهرته النصوص المتقدمة، فإنه لما جاء عمرو بن جرموز ليلتقي علياً «عليه السلام»، كان الناس يسألونه عن نفسه، فيخبرهم بأنه رسول الأحنف. فكان قسم منهم يرحب به، وقسم منهم يقول له: لا مرحباً بك ولا بمن جئت من عنده. فأراد «عليه السلام» معالجة هذا الأمر بهذه الطريقة العفوية، وبكلمة واحدة. وهكذا كان.

وهذا نموذج ينبغي الإستفادة منه في معالجة الحالات المشابهة،

وبصورة حاسمة وسريعة، ومن دون التصريح بأنه بصدد علاج أمر بعينه، بل من دون أن يشعر أحد بأنه على علم بما يقال، أو يشاع، أو يتوهم.

عاتكة ترثي زوجها الزبير:

وكانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، تحت عبد الله بن أبي بكر، فمات عنها، وكانت جميلة، فخطبها إلى نفسها عمر بن الخطاب فرفضته. (قالوا:) فعقد لنفسه بدون رضاها، ثم ذهب إليها فعاركها، فنكحها، ثم قام عنها وهو يتأفف، (يقول: أف. أف)، ثم لم يأتها (ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها)..

فأرسلت إليه أن ائتنا (فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأتهيأ لك)[1].

ثم تزوجها الزبير، فقتل عنها، فقالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مسدد

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص265 و (ط ليدن) ج8 ص194 والبداية والنهاية ج7 ص250 ونسب قريش 365 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي ـ ط سنة 1416 هـ) ج2 ص170 وراجع: الغدير ج10 ص38 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص633 ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج5 ص279.

يـا عـمرو ! لـو نـبهته لوجدته لا طائشـاً رعـش الـجنان ولا الـيد

هبلتك أمـك إن قتـلت لـمسلمـاً حلت عليك عقـوبـة المـتعمد(1)

ونقول:

إن الروايات التي ذكرناها لا يدل أكثرها على أن الزبير قد قتل غدراً. بل قتله ابن جرموز في ساحة النزال والقتال.. ولم تكن عاتكة حاضرة، إلا إن كانت قد قصدت الغدر، بمعنى أنه أمنه، ثم عاد فأظهر عدوانه، فقاتله وقتله..

ولكن الذي يبدو لنا: هو أن أنصار الزبيريين والأمويين كانوا يأنفون من قبول حقيقة أن يكون ابن جرموز من أقرانه، أو أنه كان

---

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص170 و (تحقيق المحمودي ـ الطبعة الأولى ـ نشر مؤسسة الأعلمي سنة 1394 هـ) ص260 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص486 وراجع: المستدرك للحاكم ج3 ص368 والآحاد والمثاني ج1 ص161 والإستيعاب ج4 ص1879 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص112 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص435 وأسد الغابة ج5 ص499 وتهذيب الكمال ج9 ص327 وسير أعلام النبلاء ج1 ص67 وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص173 والوافي بالوفيات ج16 ص319 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج5 ص368 وج7 ص278 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص680 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص20 .

قادراً على قتله بمفرده، أو بمعونة شخص آخر وشخصين معه، فادَّعوا أنه قتله غدراً في حال الصلاة..

وقال سحيم بن وثيل اليربوعي:

لحا الله جيران الزبير مجاشعاً على سفوان ما أدق وأخورا[1]

جرير يرثي الزبير:

وقال جرير بن عطية الخطفي:

إن الرزية من تضمن قبره وادي السباع لكل جنب مصرع

لما أتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة، والجبال الخشع[2]

وقال جرير أيضاً:

---

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص170 و (تحقيق المحمودي ـ الطبعة الأولى ـ نشر مؤسسة الأعلمي سنة 1394 هـ) ص260.

(2) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص170 و (تحقيق المحمودي ـ الطبعة الأولى ـ نشر مؤسسة الأعلمي سنة 1394 هـ) ص260 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص113 وتاريخ مدينة دمشق ج18 ص426 وسير أعلام النبلاء ج1 ص63 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص507 وشرح ديوان جرير، لمهدي محمد ناصر الدين..

ولو كنت حراً يا ابن قــيــن مجاشع شيعت ضيفك فرسخــاً أو ميــلا

قتـل الـزبير وأنتم جـيـرانـــه غيـــا لمـــن قتـــل الـــزبير طــويـــلا(1)

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ) ج2 ص170 و (تحقيق المحمودي ـ الطبعة الأولى ـ نشر مؤسسة الأعلمي سنة 1394 هـ) ص260 وشرح ديوان جرير، لمهدي محمد ناصر الدين، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج18 ص427.

ملـحـــــق:

لهذا ظلم الفرزق

لماذا أنت يا جرير؟!:

لا شك في أن جرير بن عطية الخطفي كان شاعراً مجيداً، وكانت له مع الفرزدق مناقضات مشهورة ومعروفة. ولكنه لم يكن له من الشرف، ونباهة الذكر، والرياسة، وبعد الصيت نصيب..

ولكن الأمويين، وأتباعهم وأشياعهم كانوا يسعون لرفع شأن جرير، والحط من مقام الفرزدق، وتقديمه عليه، بحق كان ذلك أو بباطل..

ولعل سبب ذلك: هو ظهور ميل الفرزدق لآل علي «عليه السلام»، من خلال ميميته المعروفة ذائعة الصيت، التي انتصر فيها للإمام السجاد «عليه السلام» على هشام بن عبد الملك، الذي لم يتمكن من استلام الحجر بسبب الزحام، فوضعت له كرسي، وجلس عليها ينتظر الفرصة..

فلما جاء الإمام السجاد «عليه السلام» جعل يطوف، فكان إذا بلغ موضع الحجر تنحى له الناس حتى استلمه هيبة له.

فسأل بعض أهل الشام هشاماً: من هذا يا أمير المؤمنين؟!

فقال: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام.

فقال الفرزدق، وكان حاضراً: لكني أعرفه.

فقال له الشامي: من هو يا أبا فراس.

فأنشأ قصيدته العصماء الشهيرة الآتية.

قصيدة الفرزدق:

ونحن نذكر هنا ما توفر لنا من أبياتها من المصادر المختلفة، مع ملاحظة أمرين:

أولهما: أننا لم نتمكن من تتبع نصوصها إلا في بعض المصادر. ولعل في سائر المصادر أبياتاً أخرى لم نذكرها..

الثاني: إن ترتيب الأبيات مختلف جداً من مصدر لآخر. وهذا ما جعلنا نضيف إلى القصيدة الأبيات التي وجدناها في بعض المصادر من دون مراعاة الترتيب.

لأن هذه الإختلافات تعطي: أن الناقلين قد رتبوا الأبيات من حفظهم، وبصورة عشوائية.. فجرينا على طريقتهم، لأننا أردنا مجرد جمع أبياتها.. مع علمنا بأن ترتيبها وفق ما أراده ناظمها غير ممكن أصلاً.. والأبيات التي جمعناها هي التالية:

1 ـ يا سائلي أين حل الجود والكرم   عندي بيان إذا طلابه قدموا

2 ـ إذا أتاني فتى يستامني خبراً   فإن فضل علي ليس ينكتم

3 - هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

4 - هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

5 - هذا الذي أحمد المختار والده صلى عليه إلهي ما جرى القلم

6 - هذا علي رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدي الأمم

7 - هذا الذي عمه الطيار جعفر والمقتول حمزة ليث حبه قسم

8 - هذا ابن سيدة النسوان فاطمة وابن الوصي الذي في سيفه نقم

9 - هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

10 - وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

11 - سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والشيم(1)

12 - لا يخلف الوعد ميموناً نقيبته رحب الفناء أريب حين يعترم

13 - حمال أثقال أقوام إذا افتدحوا(2) حلو الشمائل تحلو عنده نعم

14 - ما قال لا قط إلاّ في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

15 - إن قال قال بما يهوى جميعهم وإن تكلم يوماً زانه الكلم

16 - عم البرية بالإحسان فانقشعت عنها الغياهب والإملاق والعدم

17 - كلتا يديه غياث عم نفعهما تستوكفان ولا يعروهما عدم

---

(1) (أو) سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه خصلتان الحلم والكرم.

(2) فدحوا.

18 ـ إذا رأتـه قريـش قـال قائلهـا إلـى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم
19 ـ يغضي حياء ويغضى من مهابته فمـا يكلـم إلاّ حيـن يبتسـم
20 ـ بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم
21 ـ يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
22 ـ الله شرفه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم
23 ـ أيُّ الخلائق(1)ليست في رقابهم لأولية هذا أو له نعم
24 ـ من يشكر(2) الله يشكر(3)أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم
25 ـ هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها في جنة الخلد مجرياً به القلم
26 ـ بيوتهم في قريش يستضاء بها في النائبات وعند الحكم إن حكموا
27 ـ فجده من قريش في أرومتها محمد وعلي بعده علم
28 ـ بدر له شاهد والشعب من أحد والخندقان ويوم الفتح قد علموا
29 ـ وخيبر وحنين يشهدان له وفي قريظة يوم صيلم قتم
30 ـ مواطن قد علت في كل نائبة على الصحابة لم أكتم كما كتموا

(1) القبائل.
(2) يعرف.
(3) يعرف.

31 ـ مواطن قد علت أقدارها ونمت آثارها لم ينلها العرب والعجم
32 ـ هذا علي الذي ليست لشيمته في الخلق ثانية إن عزت الشيم
33 ـ هذا علي وهذا السبط قد كملت فيه المكارم والغايات والهمم
34 ـ هذا ابن فاطمة الزهراء ويحكم وابن الوصي الذي في سبقه نعم(1)
35 ـ إن تنكروه فإن الله يعرفه والعرش يعرفه واللوح والقلم
36 ـ لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخرّ يلثم منه موطئ(2) القدم
37 ـ جداه خير قريش عند نسبتها المصطفى وعلي بعده علم
38 ـ هذا علي رسول الله والده ومن بنور هداه يهتدي الأمم
39 ـ هذا الذي قدم المختار والده صلى عليه إلهي ما دجى الظلم
40 ـ هذا ابن من راح مسروراً بخاتمه من كفه سائل قد سقَّه سقم
41 ـ هذا الرَّكوع فيا طوبى لسائله إذ ناولته يد ما مسها ندم
42 ـ ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت عنها الأكف وعن إدراكها القدم

وفي نص آخر:

43 ـ ينمى إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
44 ـ من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأمم
45 ـ مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصرها والخيم والشيم
46 ـ ينشق ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن إشراقها

(1) سيفه نقم.
(2) ما وط وطى.

الظلم[1]

47 ـ من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

48 ـ مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم

49 ـ إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

50 ـ لا يستطيع جواد بعد جودهم[2] ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

51 ـ هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأُسدُ أُسدُ الشرى والبأس محتدم

52 ـ يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خيم كريم وأيد بالندى هضم

53 ـ لا ينقص[3] العسر بسطا من أكفهم سيان ذلك ان أثروا وإن عدموا

54 ـ يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويسترب[4] به الإحسان والنعم

فغضب هشام، وحبس جائزته، وقال: ألا قلت فينا مثلها؟!

فقال: هات جداً كجده، وأباً كأبيه، وأماً كأمه، حتى أقول فيكم مثلها.

فحبسوه بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك الإمام السجاد، فأرسل إليه عشرة آلاف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا أكثر من

---

(1) القتم.

(2) غايتهم.

(3) لا يقبض.

(4) يستزاد.

هذا لو وصلناك به.

فردها وقال: يا ابن رسول الله، ما قلت الذي قلت إلا لرضا الله ورسوله، وما كنت لآخذ شيئاً.

فردها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك. فقبلها.

فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس، فكان مما هجا به قوله:

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعين له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه فأخرجه إلى البصرة[1].

---

(1) بحار الأنوار ج46 ص124 - 127 وراجع: شرح شواهد المغني للسيوطي ص249 وكشف الغمة ج2 ص267 والإختصاص ص191 والإرشاد للمفيد ج2 ص150 وعيون المعجزات ص63 و (ط أخرى) ص74 ووفيات الأعيان، ترجمة الفرزدق. وكفاية الطالب ص303 و (ط أخرى) ص452 وحياة الحيوان، مادة (أسد) ج1 ص15 والدرجات الرفيعة ص549 وإختيار معرفة الرجال ص118 ح 234 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص306 وج4 ص169 والمعجم الكبير ج3 ص106 والأمالي للمرتضى ج1 ص67 - 69 والخرائج والجرائح ج1 ص267 ومجمع الزوائد ج9 ص200 والأغاني ج14 ص75 وج15 ص260 وثمرات

الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف) ج2 ص26 و (ط أخرى منفصلة) ج2 ص20 والمنتظم ج6 ص331 وأنساب القرشيين لابن قدامة ص131 وشرح الأخبار ج3 ص263 وحلية الأولياء ج3 ص139 والصواعق المحرقة (ط سنة 1375 هـ) ص98 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص224 وقال: إن الفرزدق مدح بها الإمام الحسين، والبداية والنهاية ج9 ص108 عن الصولي، والجريري، والمحاسن والمساوئ للبيهقي ص212 عن المدائني، وزهر الآداب (بهامش العقد الفريد) ج1 ص49 و (ط مستقلة) ج1 ص103 وسير أعلام النبلاء ج4 ص398 وراجع: الفائق ج1 ص219 وشرح رسالة ابن زيدون، لابن نباتة المصري (مطبوع بهامش الغيث المنسجم) ج2 ص163 وصفة الصفوة ج2 ص54 وشرح الشواهد الكبرى للعيني (بهامش خزانة الأدب) ج2 ص513 والطبقات الشافعية ج1 ص153 وشذرات الذهب ج1 ص142 ومرآة الجنان ج1 ص239 وترجمة الإمام زين العابدين من تاريخ ابن عساكر ص88 - 98 ومطالب السؤل، لابن طلحة (ط1 إيران) ص79 والفصول المهمة لابن الصباغ (ط1 النجف) ص193 و (ط أخرى) ج2 ص368 - 273 وتذكرة الخواص ج2 ص402 - 405 وشرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ج2 ص28 ونور الأبصار ص129 وديوان الفرزدق للصاوي ج2 ص848 والشيخ عبد القاهر الشهرآزوري في مجموعته (المخطوطة) الورق رقم 231. ودائرة المعارف للبستاني ج9 ص356 وأنوار الربيع ج4 ص35 والإمام زيد لمحمد أبي زهرة ص28 و 29 وشرح لامية العجم للصفدي ج2 ص162 ومروج الذهب ج2 ص195 والإتحاف بحب الأشراف ص51 وروضات الجنات (ط حجرية) ص520 وتاريخ الملوك للقرماني ص110 ونهاية

فهذا يخاطر بحياته، وبكل شيء، انتصاراً منه للحق، ولأهله بمبادرة منه، من دون أن يدعوه إليه أحد..

أما جرير بن عطية الخطفي، فهو طالب دنيا، ومال، ونوال، وجاه ومقام ولو بقيمة نصرة الباطل، والتحامل على الحق وأهله.

وهو يتزلف إلى أعداء أهل البيت برثاء زعمائهم القتلة، فيرثي الزبير الخارج على إمام زمانه، والمقتول وهو منهزم، والذي تزعّم حرباً ظالمة، ذهب ضحيتها عشرات الألوف من هذه الأمة..

وقد ضمَّن شعره كذبة مفضوحة، حين زعم أنه لما أتى خبر مقتل الزبير إلى المدينة تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع..

وشتان بين من يرثي الزبير الظالم والآثم طمعاً في دنيا يصيبها.. وبين من يعرّض نفسه لأعظم الأخطار، بتصديه لطاغوت مجرم، هو من الأكبش الأربعة الذين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما يصيب الأمة منهم..

وقد انتصر للحق وأهله. وغضب لله ولرسوله، ورضي بتحمل الأذى في سجن عسفان.. ولم يرض بأخذ الأموال التي بعث بها إليه الإمام السجاد «عليه السلام» فأرجعها إليه، ثم قبلها امتثالاً لأمر الإمام «عليه السلام»..

الإرب ج3 ص107 - 109 وج21 ص327 - 331 وشرح الحماسة للتبريزي ج4 ص167.

لمن هذه القصيدة؟!:

وقد ادَّعى بعضهم: أن هذه القصيدة ليست للفرزدق، واستدل على ذلك بقوله:

يغضي حياء ويغضى من مهابته الخ..

وبقوله:

بكفه خيزران ريحه عبق الخ..

فإن غير الخليفة لا يكون هذا الخيزران في كفه، لأن العصا إنما يحملها الملوك والجبابرة.

ثم ادَّعوا: أن القصيدة للحزين الكناني، قالها في عبد الله بن عبد الملك بن مروان(1).

ونجيب:

أولاً: إن هذا الإستدلال في غير محله، إذ لماذا لا يستدل على أنها في الإمام السجاد بقوله:

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

وبقوله:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا؟!

---

(1) راجع: الأغاني (ط الدار) ج15 ص325 - 329 .

وغير ذلك من أبيات تدل دلالة ظاهرة وصريحة على أنها قيلت في رجل هو من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثانياً: ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كانت له عصاً(1).

وقد ورد أيضاً في الشريعة استحباب حملها في السفر(2).

بل في الروايات ما دل على استحباب حمل العصا مطلقاً(3)

وقصة الإمام الصادق «عليه السلام» مع أبي حنيفة حينما كان «عليه السلام» يحمل عصاً، فسأله أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما يحتاج معه إلى العصا.

قال: هو كذلك. ولكنها عصا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أردت أن أتبرك بها.

---

(1) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج4 ص79 عن مسند البزار، وبحار الأنوار ج73 ص229 وفي الهامش عن:

(2) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص377 - 379 و (الإسلامية) ج8 ص274 و 275 ومستدرك الوسائل ج8 ص127 ومن لا يحضر الفقيه ج2 ص176 وثواب الأعمال ص222 وبحار الأنوار ج73 ص229 وفي هامشه عن أمان الأخطار.

(3) وسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص379 و (الإسلامية) ج8 ص275 ومن لا يحضر الفقيه ج2 ص186 وبحار الأنوار ج73 ص229 وفي هامشه عن ثواب الأعمال ص107 ومكارم الأخلاق ص278 - 280.

فوثب أبو حنيفة إليها، وقال له: اقبلها يا ابن رسول الله؟!

فحسر «عليه السلام» عن ذراعه وقال: والله لقد علمت أن هذا بشر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن هذا من شعره فما قبلته، وتقبل عصاً؟![1].

وكان الإمام السجاد «عليه السلام» يعلق عصا في السفر على ناقته، ولم يضرب الناقة قط خوفاً من الله[2].

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج4 ص269 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص372 وبحار الأنوار ج47 ص28 وج10 ص222 وشرح الأخبار ج3 ص299 والكنى والألقاب ج1 ص27.

(2) راجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص861 وشرح الأخبار ج3 ص273 ومستدرك الوسائل ج18 ص262 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص294 و 295 وبحار الأنوار ج46 ص91 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج12 ص88.

الباب الحادي عشر

قبل العاصفة..

الفصل الأول: المواقع.. والرايات.. والدروع..

الفصل الثاني: خطاب القائد..

الفصل الثالث: التعبئة الروحية..

الفصل الرابع: توجيهات في النطاق العام..

الفصل الخامس: توجيهات قتالية..

ملحق: ولا تذهب نفسك عليهم حسرات..

الفصل السادس: انتظار الزوال.. ونزول الملائكة

الفصل الأول:

المواقع.. والرايات.. والدروع

أين مثرى القوم؟!:

قال المعتزلي:

ومن كلماته الفصيحة «عليه السلام» في يوم الجمل، ما رواه الكلبي عن رجل من الأنصار، قال: بينا أنا واقف في أول الصفوف يوم الجمل، إذ جاء علي «عليه السلام»، فانحرفت إليه فقال: أين مثرى القوم؟!

فقلت: هاهنا، نحو عائشة.

قال الكلبي : يريد أين عددهم؟! وأين جمهورهم وكثرتهم؟![1].

ونقول:

إن هذا السؤال من أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أين مثرى القوم»؟! ليس عفوياً، ولا عابراً، بل هو يريد أن يستطلع مواضع تجمعات العدو.. لكي يحتاط لها في تعبئة قواته، واختيار القيادة الكفوءة والقادرة على التعامل معها بصورة سليمة وحاسمة.

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص258.

كما أن معرفة مواضع القوة يعطي الفرصة لوضع خطة إما تقضي عليها، أو تحاصرها وتشل حركتها. أو يصلا إلى وضع تدبير يؤدي إلى تشتتها، الذي ينتهي بضعفها، وإسقاطها بأيسر السبل، وبأقل ما يمكن من خسائر..

علي × يناشد ويحتج:

وأعطى رايته محمد بن الحنفية..

ثم أوقفهم من صلاة الغداة (أي الصبح) إلى صلاة الظهر، يدعوهم ويناشدهم، ويقول لعائشة: إن الله أمرك أن تقري في بيتك، فاتقي الله، وارجعي.

ويقول لطلحة والزبير: خبأتما نساءكما، وأبرزتما زوجة رسول الله واستفززتماها!!

فيقولان: إنما جئنا للطلب بدم عثمان، وأن يردَّ الأمر شورى[1].

وألبست عائشة درعاً، وضربت على هودجها صفايح الحديد، وألبس الهودج درعاً، وكان الهودج لواءَ أهل البصرة، وهو على جمل يدعى عسكراً[2].

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص339 وبحار الأنوار ج32 ص172 عنه، وأنساب الأشراف ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ج2 ص239.

(2) راجع المصادر في الهامش السابق، وبحار الأنوار ج32 ص172 و 173.

وقال الأربلي:

ثم تقاربوا وتعبوا، لابسي سلاحهم ودروعهم، متأهبين للحرب، كل ذلك وعلي «عليه السلام» بين الصفين، عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو راكب على بغلة(1)، ثم يذكر ملاقاته للزبير في الميدان.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

قادة جيش علي ×:

وقال ابن شهرآشوب: زحف علي بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وعلى ميمنته الأشتر وسعيد بن قيس.

وعلى ميسرته عمار وشريح بن هاني.

وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم.

وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عدي.

وعلى الكمين عمرو بن الحمق وجندب بن زهير.

وعلى الرجَّالة أبو قتادة الأنصاري(2).

---

(1) راجع: كشف الغمة ج1 ص240 و 241 وبحار الأنوار ج32 ص189.

(2) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص339 وبحار الأنوار

قادة علي ×:

أولاً: إنه «عليه السلام» قد اختار لكل قسم من جيشه رجلين للقيادة، ولعل مراده أن يكون أحدهما قائداً فعلياً، ويساعده الآخر، فإذا ـ لا سمح الله ـ أصيب قام الآخر مقامه من دون تلبّث، أو انتظار وصول الخبر إلى علي «عليه السلام»، لكي ينصب بديلاً عنه، لأن هذه البرهة من الفراغ في موقع القيادة قد تحصل فيها نكسة خطيرة.

وقد اقتدى علي «عليه السلام» في هذا التدبير برسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما ظهر في حرب مؤتة، حيث جعل ثلاثة قادة للجيش، هم: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة «رحمهم الله تعالى».

ثانياً: إن الشخصيات التي اختارها «عليه السلام» هي الشخصيات الأولى في الأمة الإسلامية، وأهل السوابق المجيدة، وأهل الدين والرياسة، وأهل العقل والتدبير، والحكمة والتجربة التي قد لا يجهلها أحد من المسلمين.

ثالثاً: إن النصوص التاريخية حتى لو لم تصرح لنا بشيء فيما يرتبط بتأمير الحسنين «عليهما السلام»، ولكننا نطمئن إلى أنه «عليه السلام» لم يؤمِّر عليهما أحداً، تماماً كما كان «صلى الله عليه وآله»

ج32 ص172 عنه، وأنساب الأشراف ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ج2 ص239.

يتعامل معهما في أمثال هذه المواقف، فإن إمامتهما تجعلهما في موقع الآمر لغيرهما، لا في موقع المأمور إلا من إمام مثلهما. ولو أنه «عليه السلام» قد أمَّر عليهما أحداً، لرأيت مناوئي أهل البيت «عليهم السلام» يسارعون إلى إشهار ذلك في وجه الشيعة الذين يستدلون عليهم في إمامة علي «عليه السلام»: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمر عليه أحداً.

رابعاً: هناك نصوص تقول: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا على الميمنة والميسرة، فلاحظ ما يلي:

ألف: قال خليفة بن خياط: «قال أبو اليقظان: كانت راية علي مع ابنه محمد بن علي.

قال أبو عبيدة: على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر.

وعلى الميمنة ـ وهم ربيعة البصرة والكوفة ـ: علباء بن الهيثم السدوسي، ويقال: عبد الله بن جعفر.

وعلى الميسرة ـ وهم مضر البصرة ومضر الكوفة ـ: الحسن بن علي.

قال: ويقال: على الميمنة الحسن، وعلى الميسرة الحسين بن علي.

ولواء طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام.

وعلى الخيل طلحة بن عبيد الله، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير، وعلى الميمنة ـ وهي مضر ـ عبد الله بن عامر، ويقال: عبد الله بن الحارث.

وعلى الميسرة ـ وهم أهل اليمن ـ: مروان بن الحكم»(1).

ب: وقال ابن عساكر: «أخبرنا أبو غالب الماوردي، أنبأنا محمد بن علي السيرافي، أنبأنا أحمد بن إسحاق، أنبأنا أحمد بن عمران، أنبأنا موسى بن زكريا، أنبأنا خليفة بن خياط قال: وقال أبو عبيدة: و [كان الأمير] على الميسرة ـ يعني [في] يوم الجمل ـ وهم مضر الكوفة ومضر البصرة ـ: الحسن بن علي. ويقال: على الميمنة الحسن بن علي»(2).

ج: وروى ابن عساكر أيضاً «عن أبي غالب الماوردي، أنبأنا أبو الحسن السيرافي، أنبأنا أبو عبد الله النهاوندي، أنبأنا أحمد بن عمران بن موسى، أنبأنا موسى بن زكريا، أنبأنا خليفة بن خياط، قال في تسمية الأمراء يوم الجمل: قال: قال أبو عبيدة: و [كان] على الميسرة الحسين بن علي»(3).

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط ص138.

(2) ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» لابن عساكر ص170.

(3) ترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص235 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص187.

د: وهذا هو القاضي النعمان حيث قال: إنه «عليه السلام» أعطى الراية يوم الجمل لمحمد بن الحنفية، فقدمه بين يديه، وجعل الحسن «عليه السلام» في الميمنة، وجعل الحسين في الميسرة، ووقف خلف الراية على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

وحسب نص المفيد «رحمه الله»: «فقال محمد بن الحنفية «رحمه الله» قال لي أمير المؤمنين «عليه السلام»: يا بني، تقدم باللواء، وصفَّ أصحابه، فجعل الحسن في الميمنة، والحسين في الميسرة، وكان في ميمنة أهل الجمل هلال بن وكيع، وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان الخ..»(2).

فالمقابلة بين ميمنة أهل الجمل وميسرتهم، وبين ميمنة علي «عليه السلام» وميسرته يدل على أنهم إنما يقصدون بجعل الحسن «عليه السلام» في الميمنة، وجعل الحسين «عليه السلام» في الميسرة هو جعلهما ندين لهما.

هـ: ويؤيد ما قلناه: أنه «عليه السلام» حين وروده البصرة كان الحسنان «عليهما السلام» في الكتيبة التي فيها أبوهما، وكان الإمام الحسن «عليه السلام» عن يمينه، والإمام الحسين «عليه السلام» عن

(1) دعائم الإسلام ج1 ص393 وراجع: جواهر الكلام ج21 ص327 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب للريشهري ج5 ص230.
(2) الجمل للشيخ المفيد ص348 و (ط مكتبة الداوري) ص186.

شماله، ومحمد ابنه كان حامل الراية بين يديه(1).

توزيع القبائل في الميدان:

قال ابن اعثم:

«وزحف علي «عليه السلام» حتى نزل قبالة القوم. فنزلت مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن.

قال: فعرض علي «عليه السلام» من معه من أصحابه، وأعوانه، فكانوا عشرين ألفاً، والزبير في ثلاثين ألفاً»(2).

ونقول:

إن ما ذكرناه في الفقرة السابقة يوضح لنا مغزى هذا الإجراء، الذي تكرر منه «عليه السلام» مرة أخرى في حرب صفين، كما سنرى إن شاء الله تعالى.. فإنه «عليه السلام» لا يريد أن يُقتل الناس، وإنما يريد قمع الفتنة، وإقامة الدين الذى تحيا به الأمم، بأقل قدر ممكن من الخسائر.

شاهدنا على ذلك: أنه عندما أمر المختار إبراهيم بن الأشتر أن يسير إما إلى مضر، أو إلى أهل اليمن، عاد فرجح له أن يسير إلى مضر.

---

(1) مروج الذهب ج2 ص360 و 361 وكتاب الجمل لابن شدقم ص125 والدرجات الرفيعة ص40 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص30.
(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص299 و (ط دار الأضواء) ج2 ص464.

قال الطبري: «فنظر المختار ـ وكان ذا رأي ـ فكره أن يسير إلى قومه، فلا يبالغ في قتالهم، فقال: سر إلى مضر بالكناسة الخ..»(1).

فإذا كانت الحرب بين أفراد أو فئات القبيلة الواحدة؛ فلربما تكون أقل ضراوة من جهة، ولأن العاطفة النسبية، والقربى القبلية تسهل على الناس تناسي الأحقاد وتجاوزها، حيث يتهيأ الجو للعودة إلى الحياة الهادئة، والمحبة والتصافي بسرعة من جهة أخرى.

والشاهد على صحة ما نقول: أن قريشاً كانت تحقد على بني هاشم بسبب نكاية علي «عليه السلام» فيها، حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يبكي على ما سيحل بأهل بيته بعده، نتيجة لتلك الأحقاد(2).

كما أن قريشاً لم تنس ـ رغم طول العهد إلى عشرات السنين ـ جراحاتها من الأنصار أيضاً، ولم تأل وسعاً ولم تدخر جهداً في الثأر لنفسها.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص521.

(2) راجع: الأمالي للصدوق ص102 وفرائد السمطين ج2 ص36 وراجع: بحار الأنوار ج28 ص37 و 38 و 41 و 51 و 81 وج43 ص172 و 156 والعوالم ص216 و 217 و 218 وكشف الغمة ج2 ص36 ومسند أبي يعلى ج1 ص427 ومجمع الزوائد ج9 ص118 ومستدرك الحاكم ج3 ص139 والمطالب العالية (ط دار المعرفة) ج4 ص61 وأنساب الأشراف للبلاذري.

مضر لمضر، وربيعة لربيعة:

قال الطبري:

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن البختري العبدي، عن أبيه، قال: كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة، ونصف الناس يوم الوقعة، كانت تعبيتهم مضر ومضر، وربيعة وربيعة، واليمن واليمن، فقال بنو صوحان: يا أمير المؤمنين، ائذن لنا نقف عن مضر، ففعل.

فأتى زيد فقيل له: ما يوقفك حيال الجمل، وبحيال مضر! الموت معك وبإزائك، فاعتزل إلينا.

فقال: الموت نريد.

فأصيبوا يومئذ، وأفلت صعصعة من بينهم(1).

ونقول:

تضمن هذا النص أمران:

الأول: أنه «عليه السلام» جعل لمضر مضر، وربيعة لربيعة، واليمن لليمن..

وهذه أيضاً هي سياسته التي اعتمدها في صفين.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص528 و (ط الأعلمي) ج3 ص534 و 535 والفتنة ووقعة الجمل ص167 وتاريخ مدينة دمشق ج19 ص442.

وقد قلنا: إن من جملة الفوائد والعوائد التي كان «عليه السلام» يتوخاها من هذا الإجراء، هو تقليل القتلى بين الفريقين، لأن الحرب بين أهل العشيرة الواحدة تكون عادة أقل حدة وشدة منها حين تكون بين عشائر لا رابطة بينها..

كما أن التيام الجراح بين الأهل والأقارب أسرع، وعلاجها أيسر وأنجع. يضاف إلى ذلك: أن شيوع الثارات بين القبائل المختلفة ـ والعربي لا يتساهل في قضية الدم ـ يجعل للعداوات امتدادات وتشعبات بسبب أخذ الثار من المذنب وغير المذنب..

يضاف إلى ذلك: أن هذا الإجراء يضعف العصبية القبلية، ويمنع من التشنيع عليه بأنه قد مزق الأمة، وشتت شملها، ودق إسفيناً في وحدتها لا يمكن التخلص منه.

الثاني: إن جواب زيد: «الموت نريد» قد عبر عن أمر واقعي يعيشه هذا الرجل في حبه للشهادة في سبيل الله واعتبارها فوزاً وفلاحاً، وسعادة ونجاحاً.. وقد نال ما تمنى «رضوان الله تعالى عليه».

كما أن هذا الجواب قد أبطل الأثر السلبي لتخويف الناس من مضر، وتثبيطهم عن الوصول إلى الجمل. وبيَّن أن أصحاب الجمل يقاتلون عن الجمل.. وأن أصحاب علي «عليه السلام» يطلبون الحياة بالموت، والبقاء بما يراه غيرهم فناء..

الرايات.. والرياسات:

قال الطبري:

حدثني عمر قال: حدثنا أبو الحسن، عن أبي مخنف، عن عمه محمد بن مخنف قال: حدثني عدة من أشياخ الحي كلهم شهدا الجمل، قالوا:

كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم، فقتل يومئذ.

فتناول الراية من أهل بيته الصقعب، وأخوه عبد الله بن سليم، فقتلوه.

فأخذها العلاء بن عروة، فكان الفتح وهي في يده.

وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم، فقتل وقتل معه زيد بن صوحان، وسيحان بن صوحان.

وأخذ الراية عدة منهم فقتلوا؛ منهم عبد الله بن رقية وراشد.

ثم أخذها منقذ بن النعمان، فدفعها إلى ابنه مرة بن منقذ، فانقضى الأمر وهي في يده.

وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل، كانت مع الحارث بن حسان بن خوط الذهلي.

فقال أبو العرفاء الرقاشي: أبق على نفسك وقومك.

فأقدم وقال: يا معشر بكر بن وائل، إنه لم يكن أحد له من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثل منزلة صاحبكم، فانصروه، فأقدم فقتل،

وقتل ابنه وقتل خمسة إخوة له، فقال له يومئذ بشر بن حسان بن خوط وهو يقاتل:

أنا ابن حسان بن خوط وأبي رسول بكر كلها إلى النبي

وقال ابنه:

أنعى الرئيس الحارث بن حسان لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من ذهل:

تنعى لنا خير امرئ من عدنان عند الطعان ونزال الأقران

وقتل رجال من بني محدوج، وكانت الرياسة لهم من أهل الكوفة.

وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: يا أخي، ما أحسن قتالنا إن كنا على حق!

قال: فإنَّا على الحق، إن الناس أخذوا يميناً وشمالاً، وإنما تمسكنا بأهل بيت نبينا، فقاتلا حتى قتلا.

وكانت رياسة عبد القيس من أهل البصرة ـ وكانوا مع علي ـ لعمرو بن مرحوم، ورياسة بكر بن وائل لشقيق بن ثور، والراية مع رشراشة مولاه.

ورياسة الأزد من أهل البصرة ـ وكانوا مع عائشة ـ لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي ـ فيما حدثني عامر بن حفص، ويقال: لصبرة بن شيمان الحداني ـ والراية مع عمرو بن الأشرف العتكي،

فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته(1).

درع الرسول ورايته:

قالوا: «ودعا علي بدرع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات الفضول، فلبسها، فتدلت بطنه، فرفعها بيده، وقال لبعض أهله،[ابنه] فحزم وسطه بعمامة، وتقلد ذا الفقار، ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» السوداء، وتعرف بالعقاب»(2).

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

ثم دعا بدرعه [وهي درع رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسماة بذات الفضول(3)]، فلبسه، حتى إذا وقع موقعه من بطنه

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص521 و 522 و (ط الأعلمي) ج3 ص529 و 530 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص251 و 252 وإمتاع الأسماع ج13 ص247.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص410 و (نشر مؤسسة إسماعيليان) ج9 ص111 وراجع: أنساب الأشراف، ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص239 وأعيان الشيعة ج1 ص457.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص410 و (نشر مؤسسة إسماعيليان) ج9 ص111 وأنساب الأشراف ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص239 وأعيان الشيعة ج1 ص457. وراجع: الأمالي للصدوق ص130 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص179 والكافي ج1 ص234 و 231 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص511 و 512 و (الإسلامية) ج2 ص1087 و

[فتدلت على بطنه] أمر ابنه محمداً أن يخرمها [يحزمها بعمامته].

ثم انتضى سيفه، فهزه حتى رضى به وغمده وتقلده؛ والناس على صفوفهم، وأصحاب الجمل قد دنوا.

فأمر أمير المؤمنين «عليه السلام» بتسوية الصفوف، حتى إذا اعتدلت دفع الراية [اللواء، وهي راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» السوداء وتعرف بالعقاب[1]] إلى محمد بن الحنفية وقال:

تقدم بالراية، واعلم أن الراية إمام أصحابك، فكن متقدماً يلحقك من خلفك، فإن كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع إليك.

وجعل «عليه السلام» الناس أثلاثاً: مضر في القلب، واليمن في

1088 ومستدرك الوسائل ج2 ص599 وبحار الأنوار ج16 ص99 و 124 و 127 وج25 ص120 وج26 ص207 و 212وج63 ص536 و 537 وسنن النبي للطباطبائي ص175 ومسند محمد بن قيس البجلي ص19 ومجمع الزوائد ج5 ص272 وتركة النبي للبغدادي ص101 و 103 والمعجم الكبير ج11 ص92 والجامع الصغير ج2 ص356 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج7 ص96 والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص487 وتاريخ مدينة دمشق ج4 ص216 و 218 و 222.

(1) الجمل ص359 و 360 و (ط مكتبة الداوري) ص191 وراجع: أنساب الأشراف ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص239 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111 وأعيان الشيعة ج1 ص457.

الميمنة، وعليهم مالك الأشتر، وفي الميسرة عمار بن ياسر(1).

قال القاضي النعمان: روينا عن علي «صلوات الله عليه»: أنه أعطى الراية يوم الجمل لمحمد ابن الحنفية، فقدمه بين يديه، وجعل الحسن في الميمنة، وجعل الحسين في الميسرة، ووقف خلف الراية على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(2).

وصف أصحاب الجمل صفوفهم فجعلوا على حنظلة هلال بن وكيع، وعلى بني عمرو وبني تميم عمير بن عبد الله بن مرقد، وعلى بني سعد زيد ابن جبلة بن مرداس، وعلى بني ضبة والرباب عمرو بن يثربي، وراية الأزد مع عمرو بن الأشرف العتكي(3).

وقال في نص آخر: وصف أصحاب عائشة صفوفهم، وجاؤا بالجمل وعليه الهودج، وفيه عائشة، وخطامه في يد كعب بن سور،

---

(1) الجمل للجمل ص359 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص191 وراجع: أنساب الأشراف، ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص239 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص71 و (تحقيق الشيري) ج1 ص96.

(2) دعائم الإسلام ج1 ص393 وجواهر الكلام ج21 ص327 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص230.

(3) الجمل ص359 و 360 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص191 وراجع: أنساب الأشراف ترجمة علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص239.

وقد تقلد بالمصحف، والأزد وبنو ضبة قد أحاطوا بالجمل، وعبد الله بن الزبير بين يدي عائشة، ومروان بن الحكم عن يمينها، والزبير يدبر العسكر، وطلحة على الفرسان، ومحمد بن طلحة على الرجالة(1).

وروى الواقدي قال: حدثني عبد الله بن [الحارث بن] الفضيل، عن أبيه، عن محمد بن الحنفية قال: لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها، وصففنا صفوفنا، دفع أبي علي «عليه السلام» إليَّ باللواء، وقال: لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم، ثم نام، فنالنا نبل القوم، فأفزعته ففزع وهو يمسح عينيه من النوم، وأصحاب الجمل يصيحون: يا لثارات عثمان!

فبرز «عليه السلام» وليس عليه إلا قميص واحد، ثم قال: تقدم باللواء.. فتقدمت وقلت: يا أبه في مثل هذا اليوم بقميص واحد؟!

فقال «عليه السلام»: «أحرز أمراً أجله»؛ والله قاتلت مع النبي «صلى الله عليه وآله» وأنا حاسر أكثر مما قاتلت وأنا دارع».

ثم دنا كل من طلحة والزبير فكلمهما، ورجع وهو يقول: «يأبى القوم إلا القتال فقاتلوهم فقد بغوا».

ودعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبي إلا يومئذ، فكان بين كتفيه منها وهن.

---

(1) الجمل ص343 و (ط مكتبة الداوري) ص183.

قال: فجاء أمير المؤمنين «عليه السلام» وفي يده شسع نعل.

فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين؟!

فقال «عليه السلام»: اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من خلفي.

فقال له ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟!

فقال «عليه السلام»: لم؟!

قال: أخاف عليك.

قال «عليه السلام»: «لا تخف أن أوتى من ورائي، والله يا ابن عباس ما وليت في زحف قط».

ثم قال له: البس يا ابن عباس. فلبس درعاً سعدية.

ثم تقدم إلى الميمنة فقال: «احملوا».

ثم إلى الميسرة، فقال: «احملوا».

وجعل يدفع في ظهري ويقول: «تقدم يا بني»، فجعلت أتقدم وكانت إياها حتى انهزموا من كل وجه(1).

---

(1) الجمل ص355 و 356 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص189 وقال في هامشه: قارن بأنساب الأشراف ج2 ص231 وراجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص229 ونهج السعادة ج1 ص310 عن الجمل.

هذه راية لا ترد:

قال الواقدي: فأمهل حتى زالت الشمس وصلى ركعتين؛ ثم قال: ادعوا ابني.

فدعي له محمد بن الحنفية، فجاء، وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة، فوقف بين يديه ودعا بالراية ـ وهي راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ فنصبت، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

يا بني «أما إن هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبداً، وإني واضعها اليوم في أهلها».

ودفعها إلى محمد وقال: «تقدم يا بني».

فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه تضعضعوا؛ فما هو إلا أن الناس التقوا ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين «عليه السلام» ووجدوا مس السلاح فانهزموا(1).

وحسب نص الشيخ المفيد «رحمه الله»:

قال محمد: فأخذتها والريح تهب عليها، فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فأردت أن أمشي بها، فقال أمير المؤمنين: «قف يا بني حتى آمرك»(2).

---

(1) الجمل ص356 و (ط مكتبة الداوري) ص190.

(2) الجمل ص341 و (ط مكتبة الداوري) ص182.

وصايا علي × لجيشه:

ثم نادى:

«أيها الناس! لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثلوا بقتيل»[1].

فبينا هو يوصي أصحابه إذ أظلنا نبل القوم، فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما رآه قتيلاً قال: «اللهم اشهد».

ثم رُمِيَ ابن عبد الله بن بديل فقتل، فحمله أبوه عبد الله ومعه عبد الله، بن العباس حتى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين «عليه السلام».

فقال عبد الله بن بديل: حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلاً رجلاً؟! قد والله أعذرت إن كنت تريد الإعذار[2].

---

(1) الجمل للمفيد ص341 و (ط مكتبة الداوري) ص182 وفي هامشه عن: الإمامة والسياسة ج1 ص77 وأنساب الأشراف ص262 والأخبار الطوال ص151 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183 والعقد الفريد ج4 ص324 ومروج الذهب ج2 ص371 وشرح الأخبار ج1 ص395 وأمالي المفيد ص24 و 59 وتجارب الأمم ج1 ص330 والكامل في التاريخ ج3 ص243 وتذكرة الخواص ص72 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص228 ونهاية الأرب ج20 ص68.

(2) الجمل للمفيد ص341 و (ط مكتبة الداوري) ص182.

رايتك قدمها:

ثم قال محمد بن الحنفية «رضي الله عنه»: فقال لي أمير المؤمنين «عليه السلام»: «رايتك يا بني قدمها».

وبعث في الميمنة والميسرة، ودعا بدرع رسول الله فلبسه، وحزم بطنه بعصابة أسفل من سرته.

ودعا ببغلته الشهباء، وهي بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاستوى على ظهرها.

ووقف أمام صفوف أصحابه، فوقفت بين يديه باللواء، وهو منشور مستعد، فجاء قيس بن عبادة إلى أمير المؤمنين وقال:

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مددُ

ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرها أحدُ

قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يفتح البلدُ(1)

ونقول:

إننا قبل أن ندخل في التفاصيل نشير إلى بعض التوضيحات، فنقول:

(1) الجمل ص342 و 343 و (ط مكتبة الداوري) ص182 و 183.

إيضاحات سريعة:

1 - قال الميداني: أحرز أمرءاً أجله.. يقال: هذا أصدق مثل ضربته العرب[1].

ويراد به أن الأجل المحتوم الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ لا يتعداه الإنسان في أي حال من الأحوال، ولا يخرمه قتال، ولا إلقاء للنفس في المهالك.. فالنفس محفوظة إلى أن يأتي ذلك الأجل، فكأنَّ الأجل هو الحافظ للإنسان.

والذي يتبدل هو الأجل المخروم، وهو الذي يظهره الله في لوح المحو الإثبات، وهو الذي يجري وفق السنن.

ونحن نشك فيما زعمه الميداني من أن هذه الكلمة من أمثال العرب، فإنها لا تصدر إلا عن معدن الوحي، ومهبط الملائكة.

2 - شسع النعل: قبالها. وهو زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

3 - وهي يهي: ضعف واسترخى. وماتهي. أي ما استرخى رباطه. ويحتمل أن تكون الكلمة «ما توي من الدرع» أي ما هلك وتلاشى منها.

والوهي: الشق في الشيء، وقد وهى الثوب يهي وهياً إذا بلي

---

(1) مجمع الأمثال ج1 ص382.

وتخرق[1].

4 ـ الحاسر: خلاف الدارع، وهو من لا مغفر له، ولا درع، ولا بيضة على رأسه[2].

كفى بالأجل حارساً:

وقد يسأل البعض: عن فائدة لبس علي «عليه السلام» للدرع، وهو القائل: كفى بالأجل حارساً.

وتقدم قوله «عليه السلام» أيضاً: «أحرز أمرؤ أجله» [3].

ونجيب:

أولاً: إن لبس الدرع ليس دائماً لأجل التحرز من الموت، بل قد يكون لأجل أنها درع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو وصيه ووارثه، فلبس الدرع يكون كركوب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولبس عمامته، وما إلى ذلك.

وربما يكون لأجل توقي الجراح والآلالم، أو لأجل تعليم الناس ليتأسوا به.. أو لأجل أن لله المشيئة دائماً وفي كل شيء حتى ما كان من المحتوم، وحضور الأجل لا يمنع من التوقي والتحرز، فإن قوله

---

(1) لسان العرب ج15 ص417 وبحار الأنوار ج29 ص285.

(2) تاج العروس ج6 ص274.

(3) الجمل ص355 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص189 ونهج السعادة ج1 ص310.

«عليه السلام»: «أحرز امرؤ أجله» عام وشامل لكل البشر. ومع ذلك يجب عليهم التحرز والتوقي. وسيأتي مزيد توضيح لهذا الأمر.

نوم علي × في ساحة الحرب:

تقدم: كيف أن علياً «عليه السلام» قد نام في ساحة الحرب، ونزيد هنا:

1 ـ قال المسعودي: وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشفوها، فأتاه بعض ولد عقيل وعليٌّ يَخْفِق نعاساً على قَرَبُوس سرجه، فقال له: يا عم، قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى، وأنت تخفق نعاساً؟!

قال: اسكت يا ابن أخي، فإن لعمك يوماً لا يعدوه. والله ما يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه(1).

2 ـ قال القاضي النعمان: قال ابن الحنفية: فدنا منا القوم ورشقونا بالنبل، وقتلوا رجلاً، فالتفت إلى أمير المؤمنين، فرأيته نائماً قد استثقل نوماً، فقلت: يا أمير المؤمنين، على مثل هذه الحال تنام؟! قد نضحونا بالنبل وقتلوا منا رجلاً، وقد هلك الناس.

فقال: لا أراك إلا تحن حنين العذراء، الراية راية رسول الله

(1) مروج الذهب ج2 ص375 ونهج السعادة ج1 ص317 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص230.

«صلى الله عليه وآله».

فأخذها وهزها، وكانت الريح في وجوهنا، فانقلبت عليهم، فحسر عن ذراعيه، وشد عليهم، فضرب بسيفه حتى صُبِغ كُم قبائه، وانحنى سيفه(1).

ونقول:

سيظهر عن قريب: أن هذا الذي جرى قد كان بعد إعطاء الراية لولده محمد، غير أننا نقول:

هل هذه من حكايات القصاصين؟!:

قد يظن ظانٌّ: أن هذه الروايات هي مجرد حكايات ينشئها القصاصون، ليستأثروا باهتمام الناس البسطاء والمغفلين، لكي تروج بضاعتهم عندهم، إذ لا يصدق أحد أن ينام قائد الجيش في مثل هذه اللحظات الحساسة، التي تفرض أن يكون القائد فيها في أعلى درجات اليقظة والإنتباه، ورصد كل ما يجري ليتخذ القرارات الصائبة، ويقوم بالمعالجات المناسبة.

غير أننا نقول:

إن من يقول هذا الكلام أو يفكر بهذه الطريقة، لا يعرف علياً «عليه السلام» في روحياته، وتوكله، وتسليمه لله، وفي يقينه بوعده

---

(1) دعائم الإسلام ج1 ص393 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص230 عنه، وجواهر الكلام ج21 ص327.

سبحانه.

ولم يكن «عليه السلام» لتأخذه سنة النوم إلا حين يكون قد فرغ من تدبير جميع الشؤون، وأنجز كل المهام التي تحتاج إلى إنجاز ورصد للمفاجآت حلولها، وما يختلس منها تأثيرها السلبي، ويجعلها تتلاشى، كما يتلاشى موج البحر على الصخر الأصم.

غير أن هنا سؤالاً يحتاج إلى جواب، وهو: أن الرواية الأولى قد ذكرت أنه «عليه السلام» قد أجاب بعض ولد عقيل بما لا يتناسب مع السؤال الذي طرحه عليه، لأنه سأله عن المبرر الذي جعله ينام. والحال.. أن ميمنته تتعرض لحملات العدو. فأجابه «عليه السلام» بما يدل على أنه لا يخاف القتل.. مع أن المفروض هو أن يجيبه بما يدل على التدبير الذي وضعه لحفظ ميمنته وميسرته من الإندحار أو الهلاك.

فهل كان هذا جواب من لا يزال تحت تأثير سنة الكرى؟!.. أم ماذا؟!

ونجيب:

أولاً: بأنه «عليه السلام» كان يعلم: أن هزيمة ميمنته وميسرته، وهو نائم ستؤدي إلى وصولهم إليه، ووضع يدهم عليه، أو قتله قبل أن يستفيق من سباته، وقبل أن تزول عنه غفلته، ودهشته، وسيلهون عن غيره من الناس، لأنهم يكونون قد بلغوا بقتله «عليه السلام» أقصى أمانيهم.

فأجاب «عليه السلام»: بأن هذا الإفتراض الذي هو الأسوأ بالنسبة إليه بنظر الناس، له جوابان:

أولهما: إن هذه النتيجة لا تقدم ولا تؤخر في الأجل المحتوم المسجل في اللوح المحفوظ، فإن للإنسان يوماً لا يعدوه.. وبذلك يصبح نومه ويقظته سيان..

الثاني: إنه «عليه السلام» لا يعتبر أن لنفس موته وحياته أثراً في قراره ومساره، ويقظته ونومه.. ولأجل ذلك فهو لا يهتم أوقع على الموت؟! أم وقع الموت عليه؟! بل المؤثر في ذلك كله عنده هو رضا الله تعالى، وتكليفه الشرعي الذي يسأله الله تعالى عنه..

ثانياً: إن تدبيره لجيشه كان قد استنفد كل الإحتياطات اللازمة، وهو يعرف أن محاولات الأعداء ستبوء بالفشل، ولم يعد ليقظته ولا لمنامه أثراً في صيانة الجيش، ولا في التفريط به.

ثالثاً: إن الإمام كالنبي «صلى الله عليه وآله» في أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، فهو يعرف ما يجري لجيشه ولغيره، حتى وهو نائم.. ولعل سبب عدم إفصاحه لسائله عن هذا الجواب، هو أنه يخشى أن يغلو بعض الناس فيه.

وهناك جواب رابع تضمنته الرواية الثانية.. وهو الآتي في الفقرة التالية.

الراية راية رسول الله ’:

وقد تضمنت الرواية الثانية أموراً يحسن التوقف عندها، وهي التالية:

1 - في الرواية جواب رابع عن السؤال المطروح آنفاً، وهو أنه «عليه السلام» يريد أن يفهمهم عملياً وعن حسٍّ، ومباشرةٍ: بأن عليهم أن يكونوا على درجة عالية من الإيمان بصدق ما وعدهم به الله ورسوله، فإن المفروض هو: أن هذه الراية التي رفعها هي راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أخبرهم أن هذه الراية لا ترد.

2 - وهنا درس آخر، يتحفنا به أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو: أن العبرة بالنتائج النهائية للحرب، وهي مضمونة، فإذا أحرز الإنسان العمل وفق الضوابط، وأنجز تكليفه الشرعي، فإنه لا عبرة بعد بما يفصله عن تلك النهاية وعن نتائجها.

3 - وهنا درس ثالث يفيد: أن على القائد أن يوحي لجيشه بالسكينة والطمأنينة، لكي لا تأخذهم رهبة الحرب إلى حد تسقط معه إرادة القتال لديهم.

4 - وهذا التفسير يعني: أن هذا النوم قد حصل بعد أن سلم الراية لولده محمد، وأخبره أنها راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنها لا ترد.

5 - ويبدو: أنه «عليه السلام» قد نام في الميدان عدة مرات، وقد

أيقظه ابنه تارة، وأيقظه أحد أبناء عقيل أخرى، وجرت محاورة بينه وبين كل واحد منهما اختلفت مضامينها، كما رأينا.

قتل ابن بديل:

وذكر المسعودي: أن أخاً لعبد الله بن بديل رُمِي بسهم، فقتل قبل بدء القتال، فجاء عبد الله بأخيه إلى علي «عليه السلام»(1).

ويقال: إن اسم القتيل هو: عبد الرحمان بن بديل. وذكر بعضهم: أن عبد الرحمن هذا قد قتل في صفين(2).

لكن اليعقوبي يقول: «فرمى رجل من عسكر القوم بسهم، فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين، فأتي به إليه، فقال: اللهم اشهد.

ثم رمى آخر، فقتل رجلاً من أصحاب علي، فقال: اللهم فاشهد.

ثم رمى رجل آخر، فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، فقتله، فأتى به أخوه عبد الرحمان يحمله، فقال علي: اللهم اشهد. ثم كانت الحرب»(3).

وما ذكره المسعودي هو الصحيح، فإن عبد الله بن بديل قتل في صفين، وكان أحد القادة فيها لا في حرب الجمل. وسيأتي الحديث عن

---

(1) مروج الذهب ج2 ص371 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111.
(2) مروج الذهب ج2 ص371 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111.
(3) تاريخ اليعقوبي ج2 ص182.

ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد صرح المفيد «رحمه الله»: بأن المقتول هو ابن ـ وليس أخ ـ عبد الله بن بديل[1].

والظاهر: أن قول المفيد «رحمه الله» هو الصحيح.

الدرع، والراية، والبغلة لرسول الله ’:

وقد لاحظنا: أن النصوص المتقدمة تقول: إنه «عليه السلام» قد لبس درع الرسول المعروفة بذات الفضول، وهي درع موشحة بالنحاس، أهداها إليه سعد بن عبادة[2]، وكان «عليه السلام» يرفع راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسماة بالعقاب، ويركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي دلدل الشهباء المعروفة، وقد

---

(1) راجع: الجمل للمفيد ص341 و (ط مكتبة الداوري) ص182 والدرجات الرفيعة ص420 و 421 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص173.

(2) سبل الهدى والرشاد ج7 ص368 وراجع: تركة النبي لابن زيد البغدادي ص101 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص491 وج3 ص428 و 468 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص147 وبحار الأنوار ج16 ص110 وتاريخ مدينة دمشق ج4 ص213 و 215 وإمتاع الأسماع ج1 ص113 وج7 ص135 و 141 و 143 وعيون الأثر ج2 ص405 وراجع: مجمع الزوائد ج5 ص272 والجامع الصغير ج2 ص356 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج7 ص96 وكتاب المجروحين لابن حبان ج2 ص108 والموضوعات لابن الجوزي ج1 ص293.

عاشت دهراً طويلاً.

ويفهم من سياق الكلام: أن هذه الأمور كانت معروفة لدى الناس، وأنهم كانوا يتعرفون عليها، ويتفاعلون معها بمجرد رؤيتها، وأنها كانت عند أمير المؤمنين «عليه السلام». ولعل فيها علامات فارقة تعرف بها.. رغم مرور أكثر من ربع قرن على استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومن هذه العلامات: توشيح الدرع بالنحاس، وكون البغلة شهباء، يقال: إنها أول بغلة ركبت (رئيت) في الإسلام[1]. أول بغلة تدخل الحجاز[2]. وكذلك الحال بالنسبة للراية المسماة بالعقاب.

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج1 ص146 ومستدرك الوسائل ج13 ص209 عنه، وبحار الأنوار ج16 ص108 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص380 و 381 وج3 ص336 و 337 وتركة النبي للبغدادي ص99 والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص491 وتاريخ مدينة دمشق ج4 ص230 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص422 والكامل في التاريخ ج2 ص314 والوافي بالوفيات ج1 ص91 وإمتاع الأسماع ج7 ص221 وسبل الهدى والرشاد ج7 ص403 وج11 ص407 و 421 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص431.

(2) عن أيسر التفاسير للجزائري ج3 ص297 باب51 وراجع تاريخ الخميس ج2.

إرث النبي ' عند علي ×:

ونستطيع أن نفهم من ذلك: أنه «عليه السلام» يريد أن يذكرهم بمنزلته من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه وصيه، ووارثه. وهذا يشير إلى:

أولاً: صحة ما يقوله الشيعة «رضوان الله تعالى عليهم»: من أن العباس، وإن كان عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان علي «عليه السلام» ابن عمه، ولكن علياً «عليه السلام» أقرب إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» منه، لأن ابن العم من الأب والأم أقرب من العم للأب فقط.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن كانت البنت ترث مع وجود العم، فمعنى ذلك: أن العم هنا لم يرث أيضاً، لأنه عم النبي «صلى الله عليه وآله» من قبل الأب فقط.

أما علي «عليه السلام»، فهو ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله» لأبيه وأمه، فهو أولى بالإرث من العباس الذي هو عم النبي «صلى الله عليه وآله» لأبيه فقط.

وإن كانت البنت ترث، وهذا هو الحق الذي لا محيص عنه بنص القرآن، وقد ورثت الزهراء «عليها السلام» أباها، فيكون اختصاص علي «عليه السلام» وولده بهذه الأمور لأجل وراثة الزهراء «عليها السلام» لأبيها.

إذن.. لا بد أن نسأل: لماذا منع أبو بكر الزهراء «عليها السلام» حين طالبته بإرثها فدكاً وغيرها من الأراضي، كأراضي مخيريق وسواها بعد أن منعها إياها باعتبارها نحلة لها من أبيها؟!

وكيف قال لها أنه سمع النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.

على أن قوله: ما تركناه صدقة لو صح لوجب أن يمنع العم وهو العباس من الإرث أيضاً. فما معنى ادعاء بني العباس أنه هو وارث الرسول «صلى الله عليه وآله» دونها، حتى قال شاعرهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام

وقال آخر:

لكم رحم يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها

ثانياً: يريد «عليه السلام» أيضاً أن يعرفهم أن الآخرين بمن فيهم طلحة والزبير، وحتى عائشة ليست لهم هذه المنزلة التي كانت لعلي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: إن اختياره ما يختص برسول الله «صلى الله عليه وآله» معناه: أنه «عليه السلام» يريد أن يفهمهم: أنهم حين يحاربونه فكأنهم يحاربون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فرايته ـ وهي رمز الحرب ـ راية الرسول «صلى الله عليه وآله»، ودرعه هو درع الرسول، وبغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي التي تنقله من

مكان إلى مكان.

وهذا جانب إيحائي قوي يلامس الوجدان والمشاعر بعد أن لامست الحجة الفكر والعقل، واستأثر لها فانقضت عليه الطموحات الشيطانية، وصادرت أحكامه، وأقامت أحكام الهوى مقامه.

الدرع التي قصرها ابن الحنفية:

روى أبو العباس المبرد: أنه جيء بدرع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل، فاستطالها، فطلب من ولده محمد أن يقصرها، فأخذها وجمعها بكلتا يديه، وجذبها، فقطع الزائد من الموضع الذي حده له أبوه(1).

قالوا: فأصابته عين بسبب ذلك، فخرج بيده خراج، وعطل يده(2).

ويؤيد ذلك: ما ذكره ابن نما الحلي، من أنه أصابت محمداً قروح من عين نظرت إليه، فلم يتمكن من الخروج مع الإمام الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء(3).

ولا نرى أن هذه الدرع التي قصرها هي الدرع المسماة بذات الفضول، وهي درع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه «عليه

---

(1) الكامل في الأدب للمبرد ج3 ص266.

(2) زهر الربيع للجزائري (ط دار العماد) ص489.

(3) أخذ الثار لابن نما الحلي ص81.

السلام» لا يتصرف بآثار النبي «صلى الله عليه وآله» بهذه الطريقة. وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأنه لبسها، فتدلت على بطنه، فأمر ولده محمداً أن يحزمها بعمامة.

وربما تكون عبارة المبرد تشير إلى ذلك، فإنها ذكرت كلمة درع منكرة، ولو أنها كانت هي الدرع المعروفة باسمها، وبنسبتها لذكرها باسمها، ولكان قد نسبها إلى رسول الله«صلى الله عليه وآله».

والذي يبدو لنا: أنه «عليه السلام» كان يلبس في الحرب أدراعاً مختلفة، بحسب الأوقات، والظروف المختلفة.

فقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أنه لبس في حرب الجمل درعاً أخرى كانت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، وهي المسماة بالبتراء لقصرها(1).

كما ويظهر من بعض النصوص: أنه «عليه السلام» لبس الدرع السغدية (بالغين المعجمة أو بالعين المهملة) نسبة إلى بلد تعمل فيه

---

(1) تاريخ الخميس ج2 ص189 وراجع: الجمل ص355 و 356 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص189 وقال في هامشه: قارن بأنساب الأشراف ج2 ص231 وراجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص231 وج9 ص429 ونهج السعادة ج1 ص311 عن الجمل. وراجع: بحار الأنوار ج16 ص112 وسبل الهدى والرشاد ج7 ص368 و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص428 والنهاية في غريب الحديث ج1 ص93 وتاج العروس ج6 ص46 ولسان العرب ج4 ص38.

الدروع[1]. وقيل: هي درع داود «عليه السلام».

فلعل هذه الدرع التي قصرها ابنه محمد هي درع رابعة جيء بها إليه ليلبسها أيضاً في بعض أوقات الحرب.. وربما جيء بها إليه ليعطيها لمن يختاره من المقاتلين من أصحابه.

هز سيفه حتى رضيه:

وقد ذكر النص المتقدم:

أنه «عليه السلام» حين انتضى سيفه، هزه حتى رضيه. ونحن لا نعرف الكثير عن خصوصيات السيوف التي تجعل لبعضها أرجحية على البعض الآخر، ولعله «عليه السلام» قد هز السيف ليرى مدى جودة الحديد في صلابته وفي لدونته[2]، وفي سلامته من العاهات فلا يكون صدئاً، ولا فلول فيه، ولا ضعف في بعض مواضعه، بل هو متماسك القبضة، حديد الضربة، صقيلا، وماضياً، ولدناً، ينعطف ولا ينكسر، وما إلى ذلك..

وهذا يعطي درساً للمقاتلين، مفاده: ضرورة تفقد سلاحهم، وتعاهده، وإصلاحه، والتأكد من سلامته، وإعداده، ورفع نقائصه..

---

(1) تاريخ الخميس ج2 ص189 عن القاموس المحيط ج1 ص301.

(2) اللدن: اللين من كل شيء. راجع: كتاب العين للفراهيدي ج8 ص41.

فرق للهجوم:

قال «عليه السلام»: إن هناك جماعات يتقدمون راية الجيش، وتكون لهم جولة على العدو، فهم بمثابة فرق هجوم، تضرب العدو، ثم ترجع إلى نقطة الإرتكاز حيث تكون الراية..

وهناك جماعات يتأخرون عن الراية، وليس لهم أن يتقدموا عليها. بل تكون هي منتهى حركتهم وغايتها.. وربما تبادلوا الأدوار والمهمات.

موقع راية الجيش وأهميتها:

إن التوجيه الذي أصدره «عليه السلام» فيما يرتبط بالراية وموقعها يدلنا على أهمية الراية، وأنها رمز النصر والهزيمة، وهي بمثابة نقطة ارتكاز، ومحور تحركات للمقاتلين، فمنها ينطلقون وإليها يعودون.. وهي محط أنظارهم، وصمام الأمان للجيش كله..

وفي هذا التوجيه أيضاً دلالة على ضرورة أن يعرف كل مقاتل موقعه في المعركة، ويعرف مسار الحرب، ولو بنحو إجمالي، ويعرف موقعه من عدوه وموقعه في المنظومة العامة التي هو جزء منها، فلا يُترك حائراً لا يعرف ما يجري له أو عليه.

ويفترض أيضاً: أن يكون المقاتلون على اطلاع دائم بالحال التي تجري عليها الأمور في مسارها العام، وفي تطوراتها وتحولاتها، ليعرفوا كيف يتحركون، وكيف يتعاملون مع الأوضاع المستجدة،

ولكي لا تهاجمهم الوساوس والأوهام، ولا يفاجأوا بما لم يكن لهم بالحسبان..

فإن لهذه المعرفة أثراً هاماً في بعث الطمأنينة والسكينة في نفوسهم، ومن ثم في حركتهم وفعاليتهم.

كما أن ذلك يسهل عليهم حركتهم ومعرفة حدودها ومداها، ويسهل على القيادة، وعلى إخوانهم التواصل معهم، ثم هو يمكِّن القيادة من معرفة مسار الأمور، وتنفيذ خطتها، وضبط إيقاع الحرب، ومسيرها وفق الخطة المرسومة لها.. ويسهل عليها اتخاذ القرارات المناسبة حين يقتضي الأمر ذلك..

ابن سور يتقلد المصحف:

وفي النص المتقدم: إن كعب بن سور كان آخذاً بخطام جمل عائشة، متقلداً المصحف..

ونقول:

ليس المهم حمل المصحف ولا حمل سوره، أو قراءة آياته.. بل المهم هو وعي مضامينه، وفهم تعاليمه، والإلتزام والعمل بها.. ولو أن كعب بن سور هذا كان قد قرأ القرآن، لعرف أنه يأخذ بخطام جمل يحمل امرأة أمرها القرآن بالقرار في بيتها، فقال: (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**)..

وقد عرف كعب بن سور ذلك بلا ريب، ولا شك في أن استدلال

علي «عليه السلام» وأصحابه بهذه الآية قد بلغ مسامع أصحاب الجمل كرات ومرات، ولكن كعب بن سور يكرم عائشة في عمل قد نهاها عنه القرآن الذي يحمله.

كما أن هذا القرآن قد أمر الناس بالوفاء ببيعتهم، وبأن لا يدخلوا في الفتنة، وأن لا يعبثوا بنظام الأمة، وحرم على المسلمين أن يبغوا على إمامهم.. وحرم عليهم مقاتلة بعضهم بعضاً..

وحرم أيضاً على الناس أن يقترفوا خطيئة، أو إثماً ثم يرمون به بريئاً، واعتبر ذلك بهتاناً وإثماً مبيناً.. وهذا ما فعله قادة الناكثين.. ولكن كعب بن سور، حامل القرآن لم يتنبه إلى ذلك، أو لم يلتفت إليه، وهذا تغفل شديد لا نظنه بمثله، وإما أنه التفت ومشى معهم، وهذا هو الأصح والأظهر، أعاذنا الله منه والمؤمنين، فجاء ليقود جملاً يحمل امرأة تعين جماعة فعلوا ذلك بعينه..

الراية هي الرمز:

وقد لاحظنا:

أنه «عليه السلام» قد أعطى للراية رمزية فائقة.. من حيث انتسابها إلى رسول «صلى الله عليه وآله»..

ولرايته «صلى الله عليه وآله» خصوصيتان:

إحداهما: أنها راية هداية وإيمان، وصلاح، كما أنها بانتسابها هذا تصير لها قداسة وحرمة لا بد من رعايتها، وتحتم على الناس التعامل

معها بمنتهى الدقة والحساسية، وأن يحوطوها بقلوبهم، ويحموها بمهجهم، ويدفعوا عنها بكل وجودهم..

الثانية: أنها راية لا ترد، فهي رمز النصر والتقدم والفلج(1)، ولا بد من خوض اللجج، وبذل المهج في هذا السبيل.. وهذا الشعور يعطي الثقة بها، ويؤكد الرضا بتحمل كل عناء، والصبر على كل بلاء.. حيث تصبح القيمة معنوية وروحية بالدرجة الأولى، ويصبح للموت قيمة كما للنصر الميداني قيمة، لأن الموت يصبح شهادة وحياة وسعادة، وفلاحاً ونجاحاً، وله لذته وقيمته ومعناه كما للنصر الميداني لذته وقيمته ومعناه..

للراية أهلها:

ولراية الجيش أهلها.. وهم الشجعان الأكفاء.. ولراية رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهلها أيضاً، وهم خصوص الشجعان الأكفاء الذين يمتازون بالإيمان والطهر، والإخلاص، في درجاته العليا..

فإن الشجاعة تعني: الشعور بالثقة وبالقدرة على إيراد الضربة بالعدو. فإذا فُقد هذا الشعور زالت الشجاعة.. ولكن حامل راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعتمد في إقدامه على هذا الشعور، بل يعتمد على إيمانه وإخلاصه، وثقته بعدالة قضيته، وإيمانه بأن الله يوفيه حسابه مات أو عاش.. فلا يرى للشعور بالقوة الجسدية أو

---

(1) الفلج: الفوز والظفر. راجع: مجمع البحرين ج3 ص425.

التميز على العدو بالمميزات المادية أثراً ذا بال في دعوته إلى خوض غمار التحدي وفي التصدي لأعداء الله.. بل هناك معانٍ أخرى تدعوه إلى ذلك وتحتمه عليه..

ولعل هذا هو ما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله: «وإني واضعها اليوم في أهلها»..

ادعوا لي ابني:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» يقول: «ادعوا لي ابني»، ويخاطب ولده بقوله: «تقدم يا بني». ولعل هذا التعبير كان أكثر من مجرد إرادة الإشادة للشخص، وغير مجرد الخطاب العفوي والساذج.. وربما كان من جملة ما أراد «عليه السلام» الإيحاء به:

1 ـ أنه «عليه السلام» بجعله ولده الشاب الذي لم يصل عمره إلى عشرين سنة في نحور الأعداء، وجعله قائداً، ومسؤولاً عن أكثر الأمور حساسية، بإعطائه راية الجيش كله، ليكون هو المستهدف أكثر من أي شخص آخر، حيث تكون همة جميع الأعداء متمركزة عليه، وتريد قتله، وإسقاط اللواء من يده ـ إن ذلك ـ يدل على أن أباه يريد أن يضحي بنفسه وبأعز الناس عنده دفاعاً عن الناس وعن قضاياهم الكبرى. ولا يريد أن يضحي بالناس دفاعاً عن نفسه وعن أبنائه.

2 ـ إنه يريد أن يعطي لولده الدور الذي يستحقه، وأن تكون الراية في أهلها الحقيقيين ولا يبخسها حقها.. وابن الحنفية أهل لها.

الحسنان والراية:

قال المعتزلي: «ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» السوداء، وتعرف بالعقاب، وقال لحسن وحسين «عليهما السلام»: إنما دفعت الراية إلى أخيكما. وتركتكما لمكانكما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

فدلنا «عليه السلام» بذلك على أنه لا يريد أن يجعل للإمامين الحسنين «عليهما السلام» موقعاً في قيادة الجيش، مهما كان رفيعاً، لأن ذلك يعطي الإنطباع بأنهما «عليهما السلام» مثل سائر القادة في الصفات والميزات والمؤهلات. مع أنهما لا يقاس بهما أحد من الخلق، ولا يدانيهما في الكمالات والميزات أحد.

وقد اختصر «عليه السلام» هذا الموضوع بقوله: لأنكما من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فإن هذه المكانة المميزة منه «صلى الله عليه وآله» ليست هي بنوتهما له وحسب، بل هي لخصوصية الإمامة فيهما «عليهما الصلاة والسلام».

عائشة هي المحور:

وقد وصف لنا النص المتقدم كيفية مجيء عائشة، وكيف كان أحد

---

(1) وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111.

زعماء الحرب، وهو كعب بن سور آخذاً بخطام جملها، وعبد الله بن الزبير بين يديها، ومروان عن يمينها..

وهذه الصورة وحدها، فضلاً عن الكثير الكثير مما عداها تكفي للدلالة على أن عائشة هي المحور والأساس لجيش الناكثين، وأما طلحة والزبير فكانا يديران العسكر، ويتولان قيادته..

فما معنى أن تدعي هي أو يدعي لها أنصارها أنها جاءت لتصلح بين الفريقين؟!

ولو صح ذلك، فلا بد من الإجابة على سؤال: لماذا يأتي هذا المصلح مع خصوص هذا الفريق؟! ويكون قادته هم حماتها؟! وتكون هي وجملها راية لعسكرهم..

كن مهاجماً:

وحين لا بد من الحرب، ويتمادى العدو في بغيه وطغيانه، ولا تنفع سائر الوسائل في دفع شره، وقد باشر العدوان، على أهل الحق فعلاً.. فليس معنى أن علياً لا يبدأ عدوه بالقتال هو ترك العدو يصول ويجول، ويسدد الضربة تلو الأخرى، ويبقى أهل الحق في موقع المدافع والمتلقي للضربات.. بل لا بد من مباغتته بمجرد عدوانه وبدئه بالقتال بالهجوم الساحق والماحق، الذي لا يدع له فرصة للتفكير بغير الهزيمة، والنجاة بنفسه..

بل إن علياً «عليه السلام» يقدم نموذجاً فريداً هنا، حيث أرعب

الأعداء بمجرد إقبال حامل رايته نحوهم، فقد قال النص السابق: «فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه تضعضعوا، فما هو إلا أن الناس التقوا، ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين، ووجدوا مس السلاح، فانهزموا..».

وهذا يعطي: أن الناجح هو من يدافع عن نفسه بالمبادرة للهجوم بمجرد حصول الإعتداء عليه، فيبادر إلى الهجوم القوي الذي يرعب العدو، ويذهله بنتائجه السريعة.

وسبب ذلك هو: أن ميل العدو إلى العدوان ومباشرته له يوحي له بالأمن، فإذا واجهه الهجوم المباشر، فإنه يربكه، ويذهب عنه وهم القوة، ليحل محله الشعور بالعجز والضعف فتقع الهزيمة عليه..

الريح والنصر:

وللريح أثرها على العدو، فإن المقاتل الذي يواجه الريح يجد نفسه عرضة لإنفعالات تتناسب مع لمسات الريح له، في وجهه وسائر أعضائه. وتستأثر هذه المشاعر بقسط من إدراكه، الذي يفترض أن يمحضه كله للجهد الحربي، وألا يفرط بأدنى ذرة منه، ولا سيما في لحظات مواجهته لهجوم العدو..

فكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يهتم بهذه الخصوصية، وقد جاء اللطف الإلهي ليلبي هذا التوقع والرغبة، وليعطي للناس إشارة أخرى إلى هذا اللطف الغامر لهم، وذلك الرضا الذي هو أغلى

أمنياتهم وأسناها.. وليربط بذلك على قلوبهم، ويزيدهم يقيناً، والتزاماً، وسعادة بالهدى الذي هم عليه..

قف حتى آمرك:

وحين سلم «عليه السلام» الراية لولده محمد، تحرك محمد بالراية نحو العدو، وإذ به «عليه السلام» يقول له: قف يا بني حتى آمرك.. فدل بذلك على أن المطلوب في الحرب:

أولاً: الإنضباط وعدم التصرف، إلا وفق الأصول، وبالتنسيق التام مع الفريق العامل..

ثانياً: لزوم أن تكون الأوامر صريحة وواضحة، ولا يصح الإعتماد على الإيحاءات، أو الاجتهاد في فهم المفردات..

ثالثاً: لزوم رعاية التراتبية في المسؤولية والطاعة، فلا يتصرف إلا من خلال الأمر الصادر من القيادة المخولة إصدار الأمر في ذلك المورد بخصوصه..

توجيهات للمقاتلين:

وتوجيهات القائد لجيشه قد تكون خاصة بالأداء الحربي، وأساليب الحرب، والإنضباط، وعلاقات الأفراد ببعضهم بعضاً، وبغير ذلك من أمور خاصة بهم..

وقد تكون ناظرة لطريقة التعامل مع العدو في حالاته المختلفة..

وقد يكون الهدف منها هو التعبئة الروحية، والشحن النفسي.

وغير ذلك من مجالات ومقاصد مختلفة..

وما أوصاهم به «عليه السلام» هنا ناظر إلى طريقة تعاملهم مع عدوهم في ساحة القتال..

ويلاحظ: أن التوجيهات التي أصدرها تصب كلها في خانة تعامل المنتصر مع المهزوم والمندحر.. ثقة منه بالنصر، إلى الحد الذي لا يجيز لنفسه أن تتوهم للعدو أي خيار سوى الهزيمة، وذلك يزيد في تصميم قواته على المواجهة، ويكسر شوكة عدوه.

ولكنه «عليه السلام» لم يطلق العنان، ولم يعط الخيار لجنوده في التعامل مع أعدائهم، بل حد لهم حدوداً وقيدهم بقيود خمسة سنذكرها إن شاء الله، جاءت كلها ذات طابع رحيم، لأن منطلقها هو التكرم والتفضل، اتباعاً منه لسياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لأنه «عليه السلام» قد لاحظ واقع الأمة، وعرف أن ما حصل في السقيفة قد غيَّر مسار الأمور، وأن السياسات التي انتهجها المستولون على الخلافة قد أنتجت أموراً، وأوجدت نتوءات، وتشوهات عميقة وخطيرة في البنية الفكرية والإعتقادية وفي الأرواح والنفوس والقلوب والطموحات، والأهواء، والميول والعلاقات، وسيكون لها الكثير من الآثار السلبية على المسار العام.

وقد أخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا التغير، ولمس هو بنفسه أن أموراً ستحصل، وأن أقواماً وأشخاصاً سوف ينتزون على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتحكمون بالأمة.

وسيمارسون سياسات لا يرضاها الله سبحانه ولا رسوله «صلى الله عليه وآله».

فاقتضت مصلحة الدين والأمة انتهاج سياسة مع هؤلاء تمنع أعقابهم من الإيغال في التشفي والإنتقام من أهل الإيمان، ومن الدين، وأنصار الدين والحق، وتحد من غلوائهم في ذلك قدر الإمكان..

فكانت سياسة المن والكف عن أسلافهم هي أحدى الوسائل التي استفاد منها «عليه السلام» مع الأعقاب كما استفاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع أسلافهم المشركين من قبل..

ولأجل ذلك أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» جيشه:

1 - أن لا يقتلوا مدبراً، لأنه يكفي في إخماد الفتنة تفريق جندها وأهلها..

2 - أن لا يجهزوا على جريح، فإن الجريح وإن كان لا يزال في ساحة الحرب أو قريباً منها، ولكنه بحكم الخارج عنها..

3 - أن لا يكشفوا عورة، فإن الدخول إلى المواضع المستورة كالبيوت، والحظائر، يكون إما بحثاً عن الذين يختفون فيها، أو طمعاً في انتهاب مال، أو العدوان على عرض، وهو غير جائز لأحد..

4 - أن لا يهيجوا امرأة..

5 - أن لا يمثلوا بقتيل.

ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأنه بالرغم من أن علياً «عليه

السلام» لم يهج امرأة، ولم يرض بأن يفعل ذلك أحد من جيشه، لا في الجمل، ولا في صفين، ولا في النهروان.

وبالرغم من أنه لم يكشف عورة، ولا أجهز على جريح، ولا مثل بقتيل..

نعم.. بالرغم من ذلك كله، فإن بني أمية قد هجموا على أخبية الإمام الحسين «عليه السلام»، وانتهبوها، وسبوا النساء، وهتكوا ستورهن، وأبدوا وجوههن، وقتلوا الأطفال، وداسوهم بحوافر الخيل، وقتلوا الرجال وبعض النساء، وقطعوا الرؤوس، ورضوا الصدور بحوافر الخيل، وقطعوا بعضهم بسيوفهم إرباً إرباً، وأجهزوا على الجرحى، وفعلوا الأفاعيل بالإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه، وأهل بيته، وإخوته وأبنائهم في خطب جلل، وجريمة عظيمة وهائلة وجسيمة.

فكان حال الإمام «عليه السلام» وحالهم كما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

من كانت الأنصار عيبته:

وقد لفت نظرنا قول قيس بن سعد بن عبادة «رحمه الله» هنا:

ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرها أحد..

فهذا الشعر يدل على كثرة من كان من الأنصار «رحمهم الله»

مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل.. وهو يكذِّب ما يدعيه البعض، من أنه لم يحضر الجمل سوى طلحة والزبير في جانب، وعلي وعمار في جانب..

وقد أشرنا إلى ما يدل على كذب هذا الزعم بصورة تفصيلية في فصل سابق.. غير أننا لا ندري لماذا لم يذكر هذا الزاعم عائشة بنت أبي بكر؟! فإنها كانت على جملها مع الناكثين في قلب المعركة، وكان جملها علم أهل ذلك المعسكر.. وهي التي كانت تقرر وتدبر، وتأمر وتنهى وتتصرف.

الفصل الثاني:

خطاب القائد

الخطاب العتيد:

وذكروا: أن الإمام علياً «عليه السلام» خطب يوم الجمل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني أتيت هؤلاء القوم ودعوتهم واحتججت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجلاد، وأبرز للطعان.. فلأمهم الهبل، وقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهَّبُ بالضرب، أنصف القارة من راماها[1]، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا، فأنا أبو الحسن الذي فللت[2] حدهم، وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي، وأنا على ما وعدني ربي من النصر والتأييد والظفر، وإني لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من أمري.

---

(1) القارة: قبيلة من بني الهون بن خزيمة، سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم، ويوصفون بالرمي، وفي المثل: أنصف القارة من راماها. راجع: النهاية ج4 ص120.

(2) فلَّه فانفلّ، أي كسره فانكسر. راجع: لسان العرب ج11 ص531.

أيها الناس! إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل، والذي نفسي بيده، لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراش.

وا عجباً لطلحة! ألَّب(1) الناس على ابن عفان، حتى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعاً، ثم نكث بيعتي، اللهم خذه ولا تمهله.

وإن الزبير نكث بيعتي، وقطع رحمي، وظاهر علي عدوي، فاكفنيه اليوم بما شئت(2).

وفي نص آخر: «وظاهر عدوي، ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم لي، اللهم فاكفنيه كيف شئت، وأنَّى شئت»(3).

---

(1) من التأليب: التحريض. راجع: لسان العرب ج1 ص216.

(2) الكافي ج5 ص53 و 54 ح4 عن ابن محبوب رفعه، الأمالي للطوسي ص169 و 284 عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي نحوه، وراجع نهج البلاغة: الخطبة 174 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص228 و 229 وبحار الأنوار ج32 ص194 و 61 وكشف الغمة ج1 ص240 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص434 ونهج السعادة ج1 ص297 و 302 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص306 والكنى والألقاب ج1 ص239.

(3) بحار الأنوار ج32 ص189 وج41 ص206 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص112 ونهج السعادة ج6 ص292 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج2

ونقول:

القيادة تصارح قاعدتها:

لاحظنا في هذا النص كيف أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يحكي للناس ما جرى بينه وبين قادة الناكثين، ولم نجد الناكثين قد فعلوا مثل ذلك مع ناسهم.. بل هم قد أخفوا عنهم ما جرى، واقتصروا على إصدار الأوامر إليهم، ولم يعطوهم حق النظر فيما يجري ويدور حولهم، ليكون لهم أي دور في اتخاذ القرار، بالرغم من أنه يعنيهم في أعز شيء لديهم، وهو حياتهم، ومستقبلهم في الدنيا وفي الآخرة.

ولا يمكن لأحد أن يقدم على أمر مصيري بهذه الخطورة ما لم تتضح له الأمور، ويوازن بينها.. كما لا يحق لأحد أن يفرض على الناس أن يخاطروا بأعز شيء لديهم، وهو أرواحهم، اعتماداً على أمر يصدره غيرهم لهم، ولا يعطيهم أية فرصة للنظر في حيثيات ذلك الأمر، ومبرراته. بالرغم من أنه لا شيء يلزم الناس بطاعته، أو يشير إلى عصمته، أو يعطيه الحق بأن يلزم الناس بالعمل وفق ما يأمر به أو ينهى عنه.

أما علي «عليه السلام»، فهو بالرغم من أنه الرجل المعصوم،

ص468 والمناقب للخوارزمي ص185 ومطالب السؤول ص214 وكشف الغمة ج1 ص241 وكشف اليقين ص153 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص290 .

حسب تصريح القرآن، والإمام المنصوب من قبل الله تعالى عليهم، وقد جعل الله طاعته كطاعته، ومعصيته كمعصيته، إلا أنه «عليه السلام» لم يجعل أمره هو المصدر لإلزامهم، بل أراد أن يكون قرارهم الطوعي، المستند إلى الوعي التام والوضوح والاستشراف المباشر لحقيقة ما يجري، والقائم على ضوابط عقلية ومعايير شرعية، والمنبثق عن الدوافع الإعتقادية والإيمانية الصحيحة هو المنطلق لإقدامهم وإحجامهم.. حتى إذا أصيب أحدهم في نفسه قتلاً أو جرحاً، أو في ماله، أو في معيشته، أو في علاقاته الإجتماعية أو غيرها، فإنه سيكون له ثواب الشهداء، والمجاهدين، والمضحين، والباذلين في سبيل الله سبحانه..

ولولا ذلك، بأن أقدم على القتال لمجرد شهوة قتل الناس، أو طمعاً في دنيا يصيبها، لكان مجرد قتيل، أو جريح، أو منفق ومبذّر، لا يختلف عن سائر القتلى والجرحى، الذين خسروا أنفسهم، وما لهم، وحياتهم، والدين، ولم يكن لهم في آخرتهم أي نصيب..

وهذا ما لا يرضاه «عليه السلام» لهم، لأنه إنما يجاهد ويضحي من أجل سعادتهم في الدنيا والآخرة. فلا يمكن أن يكون سبباً في ضياع هذه السعادة على أي منهم في أي حال..

وهذا هو السبب في مصارحته لهم، وفي عمله الدائب لرفع مستوى الوعي والمعرفة لديهم..

ودعوى القوي كدعوى السباع:

وقد أظهر النص المتقدم مدى التفاوت بين نهجين:

أحدهما: يعتمد الحجة والبرهان والإقناع سبيلاً إلى التحكم بحركة الواقع، وتحديد التصرفات والمواقف.. والإقدام والإحجام.. وهذا هو نهج علي الذي تجلى في تعامله مع الناكثين..

الثاني: يعتمد الجبرية، وفرض القرار على الآخرين، من دون تقديم أي مبرر، أو حتى ما له صورة حجة ودليل.. إنه نهج هيمنة وقهر وغلبة، على قاعدة:

ودعوى القوي كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها

إنه نهج يأتي من خلال الشعور بالقوة والقدرة على فرض الرأي، ومن خلال روحية التحكم بالآخرين، ومصادرة فكرهم لصالح قرارات الأهواء، والميول الشوهاء، والعصبيات العمياء، والطموحات الباطلة البلهاء، ورائدهم في ذلك انتفاخات خاوية، وغرور يورد صاحبه الهاوية..

وهذا هو نهج أعداء علي «عليه السلام» معه، كما أظهره جوابهم لأمير المؤمنين «عليه السلام»، حين جاءهم بالبراهين والحجج، فظنوا أن ذلك عن ضعف منه، وأن قوتهم كفيلة بحسم الأمور، لأن حق علي ليس له قوة تحميه، فدعوه «عليه السلام» إلى أن يصبر للجلاد، ويبرز للطعان.

ويبدو: أن هؤلاء لم يحسنوا فهم ما كان يجري على يد علي

«عليه السلام» في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، فقد توهموا أن شجاعته «عليه السلام» كانت اكتسابية ومستعارة من الكثرة العددية، والقوة القتالية للحشد الذي كان يشارك في القتال في تلك المعارك الهائلة، بالإضافة إلى الحماس الذي كانت توفره له تلك القوى، وبهذا فسروا ما جرى في بدر، وأحد والخندق، وخيبر، وذات السلاسل، وحنين، وسواها..

مع أن هذا لو صح لما اقتصر الأمر على علي «عليه السلام»، بل لوجدنا عشرات آخرين، يصنعون أعظم الملاحم في تلك الحروب، ولما كنا رأينا هزيمة أبي بكر وعمر وغيرهما في خيبر، ولا في حنين، وأحد وسواهما.. ولكُنّا رأينا الصحابة بما فيهم طلحة والزبير وأبو بكر وعمر وغيرهم في طليعة المبارزين لعمرو بن ود في الخندق، ولمرحب في خيبر..

على أنه لو كان هذا هو السبب، فكيف نفهم إنجاز علي «عليه السلام» في أحد، وفي حنين، وغيرهما؟! بعد أن هرب المسلمون ولم يبق غيره في الميدان، فإن المفروض هو أن الجماعات التي توفر الحماس قد تلاشت، ولم يعد هناك ما يبرر كل هذا الاستبسال منه «عليه السلام» الذي هزم كل تلك الجموع..

على أن علياً نفسه «صلوات الله وسلامه عليه» قد رد هذا التوهم الباطل حين قال عن قلعه باب حصن خيبر: ما قلعته بقوة جسمانية،

وإنما قلعته بقوة ربانية(1).

وقد كذَّب «عليه السلام» هذا الزعم الباطل مرة أخرى قبل ذلك، بمبيته على فراش رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، حيث لم يكن هناك أحد يمكن الإستقواء به، أو الإستفادة من حماسه..

ثم جاءت الآية المباركة لتؤكد على أن القضية خارجة عن هذا السياق بالكلية، فقد أنزل الله تعالى في حق علي «عليه السلام» بمبيته ليلة الهجرة قوله سبحانه: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)**(2).

حيث دلت الآية المباركة على أن الأساس في هذا الإنجاز الجهادي هو الوعي والقرار النابع من الإيمان، والواجب الديني، والسمو الروحي، والصفاء النفسي، والفناء في الله تبارك وتعالى.. فهو ينصر الله مع عميق ثقته بأن الله ينصره.. **(إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ**

---

(1) راجع: المواقف للإيجي ج3 ص628 و 638 وتاريخ الخميس ج2 ص51 عن شرح المواقف، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص316 والطرائف لابن طاووس ص519 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص257 وكتاب الأربعين للشيرازي ص430 وبحار الأنوار ج55 ص47 وج70 ص76 وج84 ص32 وج99 ص138 ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص222 والدر النظيم ص271 وكشف اليقين ص141.

(2) الآية 207 من سورة البقرة.

عَزِيزٌ)[1]. فعلي «عليه السلام» يستمد قوته من صلته بالله القوي العزيز الجبار، القاهر والقادر، وليس من العدة والعدد الذي يراه من حوله..

من أجل ذلك: نجده «عليه السلام» يقول هنا، مفنداً هذا الزعم الفاسد: «فلأمهم الهبل، وقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهَّب بالضرب».

أنصف القارة من راماها:

أما قوله «عليه السلام»: «أنصف القارة من راماها»، فهو بيان لخطأ حسابات الناكثين. الذي هو من أهم أسباب الفشل، والخيبة التي حلت بهم، لأن الخطأ في التقدير يجعل أي جهد يبذل يذهب في غير الوجه الصحيح، ولا سيما إذا كان التوظيف للقوة التي تجرَّدت عن الفكر الذي يحميها، والإيمان الذي يرفدها، وللمشاعر الحميمة التي تحتضنها ـ نعم، إن هذا التوظيف ـ سيكون بمثابة إهدار لتلك القوة، وتفريط بها.. وهذا ما أصاب الناكثين فعلاً..

أما بالنسبة لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد كان الأساس عنده هو الحجة والدليل الذي يصنع القناعات، ويحولها إلى وجدان يغذيه الإيمان، وتحتضنه القلوب، وتحوطه المشاعر.

(1) الآية 40 من سورة الحج.

إنه لا يفكر باستخدام القوة لفرض القناعة، أو لإجراء القرارات التي لا تمتلك رصيداً فكرياً يحميها، وإنما هو يستفيد من القوة حين تتعرض الحقائق المدعمة بالحجج والأدلة إلى القمع غير المبرر، وإلى محاولة مصادرة حرية الناس بالتعاطي الإيجابي مع تلك الحقائق..

وهذا ما بينه «عليه السلام» بقوله: «فلغيري، فليبرقوا وليرعدوا. فأنا أبو الحسن الذي فللت حدَّهم..».

إلى أن قال: «وإني لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من أمري..».

فدلنا بذلك: أن وضوح الرؤية عنده، وعدم وجود الشبهة لديه، وثقته بنصر الله تعالى له هو الذي يعطيه هذه الصلابة في دينه، وهذه القوة على مكابدة الصعاب، ومواجهة أعتى القوى، بكل رضى وسكينة، وثقة وطمأنينة..

لألف ضربة بالسيف لأهون من ميته على فراش:

والناس في موقف الجهاد والتضحية يكونون أحوج ما يكون إلى فلسفة الموت، ومعرفة أحواله وطرائقه. وقد بين لهم أهم ما يرتبط به بعبارات يسيرة، وقصيرة وواضحة المعنى. ولها سياق تستسيغه الأذواق، لعذوبة ألفاظه، وسلامة وانسجام تراكيبه، وسهولة تناوله وتداوله..

وقد تضمنت كلماته جملة من الحقائق، نذكر منها:

1 - إن تقلب الإنسان في أحواله لا يؤثر في حتمية الموت، وفي الأجل المسجل له في اللوح المحفوظ، لأن الموت خارج عن دائرة التأثر بالأحوال، فالإقامة والسفر، والحل والترحال، والبعد والقرب، لا يمنع الموت من أن ينزل بالإنسان في اللحظة التي أذن الله لعزرائيل أن يقبض روحه فيها..

وعلى أي حال.. فإن كان يطلب بالهرب من ساحات الجهاد، لأجل التخلص من هذه الحتمية، فهو طلب لما لا يكون..

2 - غير أن ذلك لم يمنع من أن يجعل الله تعالى للإنسان نفسه دوراً في اختيار الوسيلة التي يموت بها، في نفس ذلك الأجل المحتوم والمحقق حصوله كما هو مسجل في اللوح المحفوظ.

تماماً كما جعل الله تعالى للإنسان بأعماله الصالحة دوراً في أن يطيل عمره المكتوب في لوح المحو والإثبات، بواسطة صلة الرحم، أو أن يسيء الإختيار، بأن يقتل نفسه، أو يقطع رحمه، فيقصر عمره الذي ظهر في لوح المحو والإثبات أيضاً..

فتلخص بما ذكرناه: أن الهرب من الموت لا يغير شيئاً في الأجل المكتوب في اللوح المحفوظ.. بل هو سيموت في نفس ذلك الأجل، سواء هرب أو ثبت، أقام أم ظعن..

3 - وهذا يعني: أنه لا بد من النظر في وسائل الموت نفسها، فبعد أن عرفنا: أن الأجل المكتوب في اللوح المحفوظ لا بد أن يتحقق كما

هو.. نقول:

إن الله قد أعطى الإنسان دوراً في اختيار وسيلة الموت وحالته، فقد يموت في حال الهرب، وقد يموت في حالة الثبات، وقد يموت في حال الفرار من الزحف.. وقد يموت وهو في حال الذكر والعبادة، وقد يموت وهو على وضوء، وقد يموت وهو يمارس المعصية. وقد يموت على فراشه وقد يموت بالسيف، أو بالسم، وقد يموت بفعله، وقد يموت بفعل عدوه، إلى غير ذلك من الصور والحالات المختلفة..

4 - ثم إن أمير المؤنين «عليه السلام» قد أعطى مقارنة ميدانية بين حالتين يكثر عروضهما وتعرض الإنسان لهما.. وهما:

ألف: الموت على الفراش، فيظن الإنسان أنه الموت الأيسر له، والأهون عليه..

ب: الموت بالسيف، فيظن أنه الأصعب، والأمرّ، والأقسى.

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قلب المعادلة، وبدا لقاصري النظر، وكأنه قد أوغل في المبالغة إلى الحد الذي يثير الدهشة، ويدعو للتساؤل.. فهو يقول، مقدماً القسم الذي لا يعقل الاستعانة به في غير بيان لباب الحقيقة الصافية: «لا والذي نفسي بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش».

ونحن لا نملك إلا التصديق والتسليم بهذه الحقيقة، إنطلاقاً من التسليم لمقام الإمام والإمامة، والعصمة والطهارة. وإن كنا غير قادرين على إدراك كنه هذا المعنى بصورة تفصيلية..

فلعل لسكرات الموت وأهواله، وما يصنعه خروج الروح من كل عرق بذلك العرق، وما يُلْحِقُه به من أذى وألم، وعمق الشعور بهذا الأذى بصورة تفصيلية ـ لعل لذلك كله ـ آلاماً تفوق في حدتها وشدتها آلام ألف ضربة بالسيف.

اللهم خذ طلحة ولا تمهله:

وكانت شكواه «عليه السلام» من طلحة: هي أنه ألَّب الناس على عثمان، فلما قتل بايع علياً «عليه السلام» طائعاً، ثم نكث بيعته..

ونلاحظ هنا ما يلي:

1 - إن طلحة لم يتعامل مع عثمان بالطريقة المقبولة والمعقولة، فهو لم يأخذ على عثمان أمراً أخطأ فيه، ثم طالبه بإصلاحه، أو بالتراجع عنه.. كما هو المفروض بأهل الإنصاف والدين، فإنهم يطالبون المخطيء بالعودة عن خطئه. وبإصلاح ما أفسد، ومراعاة أحكام الشرع والدين، والتزام طريق الحق والعدل.

وأما ترك هذا الأمر، والانصراف إلى تحريض الناس، وتأليبهم، وإثارة عواطفهم وتحريكهم للثورة ضد إنسان أو فئة قبل أن يقيم الحجة على تلك الفئة، ومن دون سلوك الطرق المقررة شرعاً.. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فليس هو الطريق القويم، والصراط السوي في أي حال.. بل هو طريقة الغوغاء، وأهل الريب.. فكيف إذا فعل هذا الجرم، ثم أضاف إليه جرماً آخر، وهو اتهام الأبرياء بما فعلت يداه.. بالإضافة إلى نكث بيعة إمامه، وخروجه

عليه..

فكان لا بد من إسماع الناس هذه الحقيقة، وبيان أن طلحة كان قد ألَّب الناس على عثمان، حتى قتل، فكيف يريد الأخذ بثاره؟!

2 ـ ثم إنه «عليه السلام» يريد أن يسمع الناس: أن طلحة قد بايعه طائعاً، فكيف يدعي الإكراه؟! ولو كان طلحة صادقاً فيما يدعيه من شراكة علي «عليه السلام» في قتل عثمان فلماذا بادر إلى بيعته، وبايعه طائعاً؟!

3 ـ إذا كان قد بايعه طائعاً فلماذا نكث بيعته؟! ولماذا جاء لحربه الآن؟! وهل يمكن الوثوق بمن بايع طائعاً ثم ينكث؟!

4 ـ وكان دعاؤه «عليه السلام» على طلحة هو: أن يأخذه الله ولا يمهله..

وقد ظهرت استجابة الله تعالى دعاء علي «عليه السلام» حيث كان طلحة أول المقتولين في بداية المعركة.. ثم سارت المعركة بدونه حتى هزيمة جيش الناكثين، وقتل الزبير وهو منهزم..

ولتكن هذه الإستجابة السريعة لدعائه «عليه السلام» عبرة للناس الذي جاء بهم طلحة ليكونوا وقوداً لهذه الحرب..

اللهم اكفني الزبير اليوم بما شئت:

1 ـ إن الزبير.. وإن كان قد ألَّب على عثمان، وحرض على قتله ولكن لم يكن تأليب الزبير على عثمان ظاهراً وشائعاً بين الناس

بمستوى ظهور وشيوع ما فعله طلحة.. ولذلك اكتفى «عليه السلام» بالحديث عن نكثه بيعته، ليعلم الناس: أنهم لا يملكون أية وثيقة تضمن وفاء الزبير لهم، لو فرض أنه انتصر على علي «عليه السلام»..

2 - إن الزبير هو ابن عمة علي «عليه السلام»، وقد قطع رحمه، وخرج عليه بالجيوش، ساعياً في قتله، فهل لمن هو بعيد عنه رحماً أن يتوقع صلته ووفاءه له؟!

والحال، أن العربي معروف بعصبيته لعشيرته وقرابته.. فالزبير قد خالف الله في نكثه، وخالفه في قطيعة رحمه، وخالف السنة الجارية في البشر في صلة أرحامهم.. بل خالف حتى أعراف قومه، فإن العربي، وكذلك غير العربي يتعصب لرحمه ولا يقطعه..

3 - فكيف إذا كان الزبير قد تجاوز ذلك، وظاهر على ذوي رحمه أعداءهم، وناصرهم عليهم، وسعى في قتلهم؟!

4 - وكان طلبه «عليه السلام» من الله: هو أن يكفيه الزبير بالطريقة التي يشاؤها سبحانه مما يناسب هذه الجرائم التي ارتكبها.. وقد كفاه الله تعالى إياه بقتله على يد أحد الأشرار، ولم يقتله «عليه السلام» بيده، لأن الله تعالى لم يرد أن يقتل علي يد علي «عليه السلام»، لأن له رحماً به، ولا يريد الله له «عليه السلام» أن يقتله بيده، حتى لو كان المقتول هو الذي قطع رحمه.

ولأنها كانت قتلة ذليلة وسيئة، لأنه قَتَله وهو منهزم، وهي شر قتلةٍ بالنسبة لأهل الدنيا، فإن المقتول لم ينل من بغيه ذاك حتى عنوان

المقتول في ساحة النزال الذي يتفاخر به أهل الدنيا.. وإن كان هذا العنوان مخزياً عند الله أيضاً، ولكن الله أراد له عنواناً أشد خزاية، وأعظم سوءاً، لأن فيه خزي الدنيا والآخرة على حد سواء كما رأينا..

5 - وقد أظهر النص الآخر: أنه «عليه السلام» قد تعمد أن يظهر بغي الزبير، وشدة قبح ما أقدم عليه، ببيانه أنه قد فعل ما فعل، وهو يعلم أنه ظالم له..

وربما يكون في هذا إشارة إلى قول رسول «صلى الله عليه وآله» للزبير عن علي «عليه السلام»: لتقاتلنه وأنت ظالم له..

وهذا هو ما ذكَّره به «عليه السلام»، وظهر للناس كلهم أنه قد تردد في البداية بمواصلة الحرب، بل أعلن انصرافه عنها، ثم تذرع بعتق عبده مكحول.. وعاد إلى ساحة القتال. وهذا من أعظم الخذلان.

لا تعجلوا حتى أعذر إليهم:

عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: «دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير، فقلت لهم: كانا [إمامين] من أئمة الكفر، إن علياً «عليه السلام» يوم البصرة لما صف الخيول، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم.

فقام إليهم، فقال: يا أهل البصرة، هل تجدون عليَّ جوراً في حكم؟!

قالوا: لا.

قال: فحيفاً في قسم؟!

قالوا: لا.

قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليَّ، فنكثتم بيعتي؟!

قالوا: لا.

قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟!

قالوا: لا.

قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟! إني ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثم ثنى إلى صاحبه فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: **(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)**[1].

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، واصطفى محمداً بالنبوة، إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا

---

(1) الآية 12 من سورة التوبة.

منذ نزلت[1].

وفي رواية أخرى عن أبي عثمان البجلي، مؤذن بني أفصى قال: سمعت علي بن أبي طالب «عليه السلام» حين خرج طلحة والزبير لقتاله يقول: عذيري من طلحة والزبير؛ بايعاني طائعين غير مكرهين، ثم نكثا بيعتي من غير حدث، ثم تلا هذه الآية: **(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)**[2].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص185 والبرهان (تفسير) ج2 ص107 وقرب الإسناد ص96 وتفسير العياشي ج2 ص77 و 78 وتفسير نور الثقلين ج2 ص188 ومستدرك الوسائل ج11 ص63.

والإستشهاد بالآية إلى آخر الرواية عن أبي عثمان البجلي، مؤذن بني أفصى.

راجع: الأمالي للطوسي ص131 وبشارة المصطفى ص267 وتفسير العياشي ج2 ص78 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص223 و 224.

(2) الأمالي للمفيد ص73 وتفسير العياشي ج2 ص79 وراجع ص78 وبحار الأنوار ج32 ص124 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص223 224.

مناشدات علي × في الميدان:

إن وضوح الرؤية شرط أساس في مشروعية الحرب، وهذا ما كان علي «عليه السلام» يحرص على إيصال الناس إليه، وإيقافهم عليه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيا عن بينة، لأن الإنسان المؤمن لا يقدم على سفك دم أخيه الإنسان إذا كان يرى أن ذلك الإنسان غافل عن الحقيقة، أو أن له شبهة تجعله معذوراً عند الله تعالى. إلا إن كان في مقام الدفاع عن نفسه.. فدعوة الناس لقتل إخوانهم، ولا سيما إذا كانوا من أهل دين واحد، معناه: دعوتهم لمعصية الله تعالى، والتمرد عليه، والتخلي عن المسلمات، وتجاوز الخطوط الحمراء من الناحية الدينية، والوجدانية، والمشاعرية.. و.. و..

أما إن كانوا يخالفونهم في الدين، ولم تقم الحجة عليهم، ولم تَزُلِ الشبهة عنهم، فإن دعوتهم إلى قتالهم وقتلهم يساوق دعوتهم إلى التخلي عن وجدانهم، وضميرهم الإنساني، وعن مشاعرهم الطبيعية.

وهذا ما ألمح إليه «عليه السلام» حين قال عن الناس: أنهم «صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[(1)].

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص84 الخطبة رقم 53 الفقرة رقم9 وتحف العقول ص127 ومستدرك الوسائل ج13 ص161 وبحار الأنوار ج33 ص600 وج74 ص241 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص679 و

وفي كلتا الحالتين تصبح دعوة الإمام الناس لقتل هؤلاء أو أولئك من موجبات اختلال العلاقة الروحية، واهتزاز الثقة بين الإمام والأمة، حيث ترتسم علامة استفهام كبيرة حول مدى إخلاصه، ودقته في مراعاة ما تجب عليه مراعاته.. سواء ربح الحرب أو خسرها.. وسيشعر الذين شاركوا في تلك الحرب معه، بتأنيب الضمير، وبأنه قد ورطهم فيما كان ينبغي أن لا يتورطوا فيه..

وهذا ما يفسر لنا الجهود المضنية والحثيثة التي كان يبذلها «عليه السلام» في التعامل مع أعدائه.. وإفراطه الذي لا يرتاب أحد في حسنه، وفي مطلوبيته ومحبوبيته لله تعالى في ابتداع الأساليب المختلفة، لتقديم الحجج، وسد الذرائع التي يتذرع بها مناوئوه..

بالإضافة إلى طول أناته، وشدة صبره، وإعطائه أطول وأكثر الفرص للطرف الآخر لمراجعة حساباته.. وتفننه في الترغيب في السلم والسلامة، والترهيب من الحرب والفتنة.. ما وجد إلى ذلك سبيلاً..

ثم هو يترك الخيار لعدوه في أن يختار الحرب أو السلم، وحين يختار الحرب، فإنه لا يسأم من الرفق به والمداراة له والصفح عنه، فلعل أحداً يستفيق من سكر الهوى، ويعود إلى صراط الحق..

موسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج4 ص235 ونهج السعادة ج5 ص60 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص32.

وهذه المناشدة الميدانية للناس، ما هي إلا واحدة من عشرات المواقف والمناسبات التي استفاد منها «عليه السلام» لدرء الفتنة، وإقامة الحجة..

الإقرار سيد الحجج:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» يحرص في مناشدته الآنفة الذكر على الحصول على إقرار صريح من خصومه بما من شأنه أن يثبت حقه، ويدفع باطلهم. وليظهر لكل أحد أنهم يقدمون على هذا الأمر من دون شبهة، أو انفعال، أو فورة غضب، أو استفزاز، بل كانوا هم الذين يستفزون أصحابه، ويصرون على تسويق باطلهم بعد ظهور بطلانه..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أزاح كل العلل التي قد يعتل بها حتى بعض مرضى النفوس. ولم يعد هناك أية شبهة في أنهم يتعمدون الباطل.. وبذلك يصبح قتالهم عند أهل الإيمان وحتى قتلهم فريضة دينية ووجدانية.. يحتاج هو «عليه السلام» إلى بذل جهد للسيطرة على حالة الاندفاع فيها، والحد من حدته، وتلافي آثار شدته..

ولنا أن نَعُدَّ هذا الأمر من أروع إنجازات أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هو أصل أصيل في نجاح كل حرب، وفي تحقيق أي نصر.. حيث تصبح الحرب تكليفاً شرعياً، وواجباً ضميرياً ووجدانياً، ولا ينظر ـ بعد ذلك ـ إلى النتائج الميدانية، ومن يقوم بواجبه، فهو منتصر على كل حال.. منتصر حين يربح الحرب، ومنتصر حين

يخسرها..

وهذا يفسر لنا قول الإمام الحسين «عليه السلام» في كتابه إلى بني هاشم حين سار إلى كربلاء: «..من لحق بي استشهد، ومن تأخر عني لم يبلغ الفتح»(1). حيث اعتبر أن استشهاده فتحاً ونصراً حاسماً، وليس مجرد نصر.. فإن الفتح هو سقوط الهيمنة، وكسر شوكة الطرف الآخر في أهدافه، والتحكم بمصيره، والاستيلاء عليه.

أما النصر، فيبقى مجرد نصر في معركة، وقد تلحقه هزيمة في معركة أخرى.. دون أن يسقط الهيكل على رؤوس من فيه..

مبررات نكث البيعة:

وقد لاحظنا: أن المخالفات التي اعتبرها «عليه السلام» مبرراً لنكث البيعة هي نفسها تسلب عن طلحة والزبير الصلاحية لمقام الإمامة، باعترافهما.. والمبررات التي أقرا بأنها لم تصدر منه «عليه

(1) راجع: بصائر الدرجات ص502 ودلائل الإمامة ص188 ونوادر المعجزات ص109 و 110 والخرائج والجرائح ج2 ص771 و 772 وذوب النضار ص29 ومثير الأحزان ص27 ومدينة المعاجز ج3 ص461 وبحار الأنوار ج42 ص81 وج45 ص85 والعوالم، الإمام الحسين ص318 ولواعج الأشجان ص256 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص46 واللهوف في قتلى الطفوف ص41 والدر النظيم ص533 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج4 ص194.

السلام» هي التالية:

1 ـ الجور في الأحكام القضائية..

2 ـ الحيف في قسم الأموال..

3 ـ الاستئثار لنفسه ولأهل بيته بأمر دنيوي، أعم من أن يكون مالاً، أو منصباً، أو جاهاً، أو سلطاناً..

4 ـ إقامة حدود الله تعالى في قوم، وتعطيلها في آخرين..

وقد أقر الناكثون له بأنه «عليه السلام» لم يخالف أياً من هذه الأمور الأربعة.. ولو أنه خالف واحدة منها لم يستحق مقام الإمامة.. وبذلك يكونون قد أسقطوا أنفسهم عن الصلاحية لمقام الإمامة من جهات هي:

أولاً: إن إقرارهم هذا يدل على أنهم بمطالبتهم إياه بتوليتهم البصرة والكوفة كانوا مبطلين، وأن نفس مطالبتهم هذه تدل على عدم أهليتهم لمقام الإمامة، لأنهم يريدون الاستئثار لأنفسهم بمنصب دنيوي فيه المال، والجاه، والسلطان..

ثانياً: إن إقرارهم هذا يدل على أن مطالبتهم إياه بأن يعطيهما أكثر من غيرهما، معناه: أنهما يريدان منه أن لا يراعي سنة العدل في قسم الأموال. وهذه المطالبة.. إذا انضمت إلى ذلك الإقرار منهما في المناشدة يفضي إلى الحكم بعدم أهليتهم لمقام الخلافة..

ثالثاً: إن مطالبتهم إياه بدم عثمان، وإخراجهم أنفسهم عن دائرة

المطلوبية بهذا الدم، مع أنهم هم الذين حرضوا على عثمان، وهاجموه وقاتلوه. ولم يفعل علي «عليه السلام» شيئاً من ذلك، بل حاول منع القتل عنه ـ إن هذا ـ يدل على عدم أهليتهم للخلافة، لأنه جور في القضاء، وتعطيل لحدود الله عمن يستحق أن تجري عليه.. وقد أقرا في المناشدة بأن من يفعل ذلك لا يستحق مقام الخلافة.

رابعاً: وهناك المخالفة الصريحة للفقرة الرابعة، ولكنها جاءت بصورة أوضح وأقبح، وهو ما سيتضح في الفقرة التالية..

المخالفة الشرعية والوجدانية:

وقد ألحق «عليه السلام» مناشدته لطلحة والزبير بالأمور الأربعة السابقة التي أقرا بها بسؤال بيَّن سقوطهما عن الصلاحية لمقام الإمامة بسبب مخالفتهما في نفس موقفهما هذا، فقد قال لهما: «فما بال بيعتي تنكث، وبيعة غيري لا تنكث»؟!

أي أن طلحة والزبير ينكثان الآن بيعة من يعترفان بأنه لا يجور في حكم، ولا يحيف في قسم الأموال، ولا يستأثر لنفسه ولا لأهل بيته بمال ولا بمنصب، ولا بجاه ولا بسلطان..

ولكنهما لا ينكثان، بل يحرمان نكث بيعة من يجور في أحكامه، ويحيف في قسم الأموال، ويستأثر لنفسه ولأهل بيته بالمناصب، وبالسلطة وبكل شيء.. مع علمهما بأن بيعته كانت عن إكراه.. ولا بيعة لمكره.

فقد تقدم: أنه «عليه السلام» قررهما، فأقرا بأنه لم يكن يجوز لعلي «عليه السلام» أن يطلب من عثمان أن يعتزل بعد بيعته له، مع أن حكم عثمان قد قام تحت طائلة التهديد بقتل أركان الشورى، ومع أنهما قد حرضا على عثمان، وحاصراه، وهاجماه، وشاركا في قتله، بحجة أنه جار في أحكامه، وحاف في قسم الأموال، واستأثر لنفسه ولأهل بيته بالأموال والمناصب والسلطان..

فهما إذن، ينكثان بيعة من يقيم حدود الله في الناس كلهم، ولا يعطلها في أي كان من الناس..

ويفيان بالبيعة لمن يعطل الحدود على قومه، ويقيمها في غيرهم.. ففعلهما هذا هو الآخر تعطيل لأحكام الله وحدوده في قوم، وإجراء لها ظلماً وعدواناً في من لا تجري عليه، ولا يصح نسبتها إليه. وهذا من أقبح الظلم، وأعظم الجرائم، فكيف يدعي الأمامة لنفسه من يقدم عليه ويرتكبه؟!

إما السيف.. وإما الكفر:

وقد قرر أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن من يقرُّ بذلك كله، ثم يصِّر على نكث بيعته، ومواصلة حربه على إمامه، ويكيل بمكيالين على هذا النحو البالغ السوء، والذي لا مبرر له، ويتعمد الباطل إلى هذا الحد، ثم يقتل المئات من الأبرياء، والأتقياء في البصرة، ويقتل حراس بيت المال، وينتهب الأموال.. ويقتل المصلين في المسجد. ويسعى في الأرض فساداً ـ قرَّر أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ أنه

إزاء هذا الواقع قد أصبح أمام خيارين:

الأول: اللجوء إلى السيف لإخماد الفتنة، ومنع الفساد، والباطل من أن يصبح نهجاً، ومنع تعطيل حدود الله تعالى.. والتصدي للتلاعب بالمفاهيم والقيم الإيمانية والوجدانية، وإحلالها محل أحكام الله وشرائعه، وتمكينها من الهيمنة على المسار العام..

الثاني: الكفر بما أنزله الله على نبيه «صلى الله عليه وآله»، والمراد هنا: الكفر العملي، بمعنى عدم إجراء أحكام الله سبحانه، وليس المراد به الخروج من الدين، أو إنكار ضرورياته..

ويمكن تفسير هذه الكلمة بنحوٍ، وهو أن يكون المراد: أنه «عليه السلام» لم يجد إلا السيف لمحاربة هؤلاء المفسدين، أو إفساح المجال للكفر وأهله ليتحكموا بالأمة، وليطعنوا في الدين، ويقوضوا دعائم الحق والإيمان..

ويشهد لهذا المعنى استشهاده «عليه السلام» بالآية الشريفة: **(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)**(1).

ثم أقسم «عليه السلام»: أن الناكثين هم أصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت.

وهذا يتوافق مع ما قلنا، من أن الخيار منحصر في أمرين: إما

---

(1) الآية 12 من سورة التوبة.

الحرب.. وإما القبول بأن يحكم الكفر البلاد والعباد، ويعبث بالقيم، ويطعن في دين الله تعالى..

علام نقاتلهم؟!:

وبذلك يتضح الجواب عن السؤال الذي طرحه بعضهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد روي عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الجمل، فجاء رجل حتى وقف بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين كبَّر القوم وكبَّرنا، وهلَّل القوم وهلَّلنا، وصلَّى القوم وصلَّينا، فعلى ما تقاتلهم؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: على ما أنزل الله جل ذكره في كتابه.

فقال: يا أمير المؤمنين، ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه.

فقال علي «عليه السلام»: ما أنزل الله في سورة البقرة.

فقال: يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه.

فقال علي «عليه السلام» هذه الآية: (**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ**

وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)(1).

فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا.

فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة.

ثم حمل، فقاتل حتى قتل رحمه الله(2).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض:

لقد سمع الناس من رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن من قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه (ودمه)(3).

---

(1) الآية 253 من سورة البقرة.

(2) الإحتجاج للطبرسي ج1 ص248 و 249 وبحار الأنوار ج32 ص202 وتفسير العياشي ج1 ص136 وتفسير نور الثقلين ج1 ص254 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص601 وغاية المرام ج4 ص310.

(3) مسند أحمد ج1 ص19 و 48 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج2 ص110 وج4 ص6 وج8 ص50 و 140 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج1 ص38 و 39 وسنن أبي داود ج1 ص347 وسنن الترمذي ج4 ص117 وسنن النسائي ج5 ص14 وج6 ص4 و 5 و 6 و 7 وج7 ص77 و 78 والسنن الكبرى للبيهقي ج4 ص104 و 114 وج7 ص3 وج8 ص136 و 176 وج9 ص49 و 182 ونيل الأوطار ج1 ص366 وج4 ص175 والسنن الكبرى للنسائي ج2 ص8 و 280 و 281 وج3 ص4 و 5 و 6 وصحيح ابن حبان

وقرأوا أيضاً في آيات القرآن الكريم، وسمعوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما دلَّ على حرمة دم المسلم على أخيه المسلم، وأن من قتل مؤمناً متعمداً، فجزاؤه جهنم خالداً فيها..

وقد اصطف هذان الفريقان للحرب.. ورأى الناس: أن كلا الفريقين يمارس شعائر الإسلام من الأذان والصلاة، وشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فما معنى القتال بينهما إذن؟!..

فكان لا بد من تعريف الناس بأن ممارسة الشعائر وحدها لا تكفي، لأن المطلوب هو الإيمان والتسليم بكل ما أمر به الله تعالى، وجاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأن الإيمان ببعض الكتاب، والكفر ببعض مساوق للكفر بالجميع، لأن الكفر ببعض الكتاب يبطل أثر الإيمان بالبعض الآخر، ويجعله كأن لم يكن..

الإبهام توطئة لمزيد من الوضوح:

وقد لاحظنا:

أن علياً «عليه السلام» قد أبهم إجابته لذلك الرجل مرتين

ج1 ص449 و 450 و 452 والمعجم الأوسط ج1 ص288 وج2 ص67 ومسند الشاميين ج1 ص372 وج4 ص130 و 167 و 210 ومعرفة السنن والآثار ج5 ص181 والإستذكار لابن عبد البر ج2 ص152 وج3 ص214 والنص والإجتهاد ص109 وكنز العمال (ط مؤسسة الأعلمي) ج6 ص531 وج1 ص62 وكشف الخفاء ج1 ص193.

متواليتين، لكي يزيد بذلك الإبهام من وضوح الإجابة، التي سيتحفه بها، فقد أراد «عليه السلام»: أن يرتسم في ذهن السائل: أنه لا يقدم على حرب هؤلاء القوم اجتهاداً منه، ولا استناداً إلى قول مبهم، محتمل للتأويل، ولا لأمر قد يكون مرهوناُ بقيود وشروط قد تبدلت، وانتفى موضوعها.. بل هو يمتثل الأمر الإلهي الصريح، الذي لم يقيد بقيد، بل جاء لتكون القاعدة العامة، التي يجب الإلتزام بها كلما تحقق موضوعها..

ولذلك أحاله «عليه السلام» على كتاب الله سبحانه، بصورة عامة. وكان يعلم أنه سيجيل فكره في آياته، وربما لا يصل إلى شيء، فيحتاج للعودة إليه «عليه السلام» وهو في حيرة أشد، ورغبة أقوى، وانتباه أعظم لما سيقوله له..

وهكذا كان، فقد عاد إليه معترفاً بأنه لا يعرف كل ما في كتاب الله، وليعلن أنه بحاجة إلى من يعلمه، وأنه يعرف أن علياً «عليه السلام» هو الذي يعرف، ويعلِّم. فطلب منه ذلك..

فأجابه «عليه السلام» بجواب آخر قرَّبه فيه إلى موضع الجواب، ولكنه لم يضع إصبعه عليه مباشرة، بل اكتفى بالإشارة إلى أن الجواب موجود في سورة البقرة..

ولعله أراد بذلك: أن يزيد من لهفة ذلك السائل إلى سماع الجواب، فإن من يعرف أن ضالته ضمن مجموعة كبيرة من مثيلاتها، فإن أمله بالوصول إليها يكون أضعف منه حين يعلم أنها في

ضمن مجموعة صغيرة من مثيلاتها، كما أن شوقه إلى الوصول إليها يصير أشد، ورغبته آكد..

وفي المرة الثالثة تلا أمير المؤمنين «عليه السلام» الآية المباركة على ذلك الرجل، وأفهمه: أن هؤلاء القوم جاءهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالبينات، وأيده الله بالوحي، وصنع له المعجزات والكرامات.. ولكن صحابته بالرغم مما يرونه من ذلك كله اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

فأدرك ذلك الرجل هذا المعنى وطبقه على هذين الفريقين، وعرف من آمن ومن كفر. فحمل عليهم وقاتل حتى قتل.

ويبدو: أن هذه الواقعة قد وقعت بعد أن التحم القتال، لأن علياً «عليه السلام» لم يأذن لأحد بمهاجمة الناكثين إلا بعد أن بدأوه هم بالقتال، واستشهد بعض أصحابه..

الفصل الثالث:

التعبئة الروحية..

أفرغ الله علينا الصبر:

إن أول طلب توجه به «عليه السلام» إلى الله هو أن يفرغ عليه وعليهم الصبر، مشيراً بذلك إلى أمور عديدة:

الأول: إن كون النصر يأتي من الله تعالى لا يعفي المسلمين من المسؤولية، ولا يبيح لهم التفرغ والإهمال، والإنصراف عن التصدي وبذل الجهد..

الثاني: إن هذا التصدي ليس شكلياً، لمجرد إبراء الذمة، وتسجيل الموقف، بل هو جهد مضن، وبذل وعطاء حقيقي، وتضحيات جلَّى بالأموال والأنفس، وبكل ما يمكن الإستفادة منه بصورة صحيحة ومشروعة.. ولأجل ذلك احتاج إلى طلب إفراغ الصبر عليه وعلى أصحابه..

الثالث: إن المطلوب هو إفراغ الصبر على أهل الإيمان، لا مجرد أن يمنحهم تعالى طرفاً منه يتشبثون به، وإفراغ الصبر معناه: أن يستوعب هذا الصبر كل وجودهم، ويشتمل على كيانهم كله، كما

تشتمل اللامة على جسد المقاتل كله وتلامسه، وتتآخى معه.. وتلتئم عليه، لتحصنه من بأس الأعداء ومن كل سوء يأتي من قبلهم.. ولذا يقال: «أفرغ عليه لامته. أي لبسها بشكل تام، والتأمت عليه».

الرابع: إن هذا الطلب قد جاء بصيغة فردية وجماعية في آن واحد، بنص صريح فيهما معاً، ولم يقتصر على أحدهما، فقد قال: «علينا وعليكم». لأن الصبر على نحوين:

أحدهما: صبر الشخص بما له من قوة ذاتية، وجهد شخصي وفردي.

والآخر: الجهد المشارك لجهود الغير، المستمد منهم المزيد من المحفزات للتحمل، والذي يسد الثغرات، ويعالج الفجوات والنقائص. ويرتق بعض الفتق، ويفتق من العدو كل رتق.

فقد طلب «عليه السلام» من الله: أن يفرغ عليهم الصبر بما هم أفراد، ولهذا الصبر خصوصياته، وطرائق للحصول عليه، وتقويته وترشيده، والاستفادة منه..

وطلب أن يفرغ عليهم الصبر بما هم جماعة. ولهذا النوع من الصبر خصوصياته. وقد تكون له ميزات وطرائق وصول وحصول، وتقوية، وترشيد، وجهات وشرائط استفادة، تختلف وتتفاوت مع ما للصبر الآخر المرتبط بالفرد من خصوصيات، وأحوال، وغير ذلك..

الخامس: إن بذل الجهد وحده لا يأتي بالنصر، بل هو شرط لاستحقاق الكرامة الإلهية، المستتبعة للتدخل والفيض الإلهي للنصر،

حتى وإن كان الجهد الإنساني لا ينتجه في حد نفسه..

وهذا هو الفرق بين الجهد الذي يبذله أعداء الله، ويتحقق به النصر لهم، فإنه جهد يكفي لتحقيق النصر الإلهي أيضاً بذاته، ولكنه يبقى بالنسبة لأعداء الله في معرض الزوال بسبب الخذلان الإلهي، الذي يسقطه من دون المساس باختيار أولئك الناس.. بل بتحريك الأسباب الخارجة عن دائرة اختيارهم..

السادس: أما قوله «عليه السلام»: «لنا ولكم».. فالظاهر: أن المراد بقوله: «لنا» هو نفس علي «عليه السلام»، لأنه الإمام والحاكم والعنوان، والحافظ للإسلام كله.. فإنه يحتاج إلى أعظم درجات الصبر، والتحمل لكل أنواع الأذى في سبيل حفظ الدين وشرائعه وأحكامه، ومفاهيمه وقيمه وأهله، والبلاد والعباد..

والمراد بقوله: «ولكم» هو الناس الذين هم في عسكره بما هم مسلمون، فإنهم مسؤولون عن حفظ دينهم وإنسانهم، وبلادهم، وأموالهم وأعراضهم، وعن مؤازرة إمامهم ووصي نبيهم في مواجهة أعظم التحديات، بكل ما آتاهم الله من قوة وحول.

وهذا يجعلهم بحاجة إلى المدد والتأييد الإلهي، وإلى الصبر والتحمل إلى أقصى مدى..

أعز لنا ولكم النصر:

ثم إنه «عليه السلام» طلب النصر من الله تعالى، حيث قال:

«أعز لنا ولكم النصر». فأشار:

أولاً: إلى أن النصر وإن كان يحتاج إلى جهد وبذل، وتضحية، ولكنه مرتبط بالله تعالى أيضاً، كما شرحناه في الفقرة السابقة.. فإن الله تعالى لا يمنح النصر للخانعين والمتخاذلين، لعدم أهليتهم له، وعدم لياقتهم للكرامة الإلهية..

ثانياً: إن النصر قد يكون عزيزاً، وهو النصر الظاهر والباهر والحاسم، الذي يقلَّ نظيره، والذي يعطي العزة، والأمن، وفراغ البال، والشوكة، والعظمة والهيبة، ويمنح المنتصر القدرة على تحقيق مرامه الأقصى بأيسر الوجوه وأتمها، ومن دون أن يخشى كرَّة عدوه، حيث يكون قد أبار كيده، وقضى على كل نبضات الحياة والقوة لديه..

وهذا بالذات هو النصر الذي طلبه «عليه السلام» لنفسه ولأصحابه، ولم يطلب نصراً في معركة، ولا نصراً يبقى للعدو معه شوكة، وقوة وكيان.

ثالثاً: قد ظهر أن المقصود بقوله: «لنا ولكم» هو نفس ما ذكرناه في الأمر السادس في الفقرة السابقة.

كان الله ظهيرنا في كل أمر:

ثم طلب «عليه السلام» من الله تعالى المعونة والتأييد، فقال:

«وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر».. وقد تضمنت هذه الفقرة بالإضافة إلى ما أشار إليه بقوله: «لنا ولكم»، وما ذكر من أهمية بذل

الجهد والتضحية في الحصول على المعونة والنصر والتأييد الإلهي، حسبما أوضحناه فيما أسلفناه.. ـ تضمنت ـ ما يلي:

أولاً: الظهير: هو المعين.. والمطلوب هنا: هو دفع توهم أن يكون العمل الذي هو شرط في المدد الإلهي، وإنزال النصر العزيز. هو جهد يستقل الإنسان بإنجازه ويتولاه بمفرده، بحيث يكون عمل الإنسان في جانب، ويكون النصر والمدد الإلهي هو الجانب الآخر.

فجاء هذا الطلب الذي يقول: وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر، ليدلنا على: أن الإنسان بحاجة إلى المدد والمعونة الإلهية حتى في هذا الجهد الذي هو الشرط لاستحقاقه النصر أيضاً..

وبعبارة أخرى: إن الإنسان يحتاج إلى معونة الله أولاً في نفس العمل الذي يقوم به، ليكون شرطاً للنصر أولاً، ويحتاج إلى الله في إيجاد الصبر وزيادة التحمل لديه ثانياً.. ويحتاج إلى الله في تحقيق نفس النصر ثالثاً.. ويحتاج إلى الله في جعله نصراً عزيزاً رابعاً..

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد أوضح أيضاً: أن الحاجة إلى الله تعالى لا تنحصر في دفع العدو، بل يحتاج البشر إلى معونته تعالى في كل أمورهم. وكأن هذا بمثابة الدليل على لزوم طلب النصر والمعونة من الله تعالى: فيصير هذا المورد من القضايا التي قياساتها، أو فقل: دليلها معها. أي أن ظهور حاجة الإنسان إلى المعونة الإلهية في كل أمر يجعل طلبه المعونة والتأييد في مورد حرب الأعداء بطريق أشد

وآكد وأولى.. فهو من قبيل قوله تعالى: **(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ)**[1]. في الدلالة على حرمة ضرب الوالدين..

لماذا خصوص هذه الآية؟!:

قالوا: «وطاف علي «عليه السلام» على أصحابه، وهو يقرأ: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)**[2].

ثم قال «عليه السلام»: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزَّ لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر»[3].

ثم رفع مصحفاً بيده، فقال: من يأخذ هذا المصحف، فيدعوهم إلى ما فيه.. ثم تذكر الرواية حديث الشاب الذي حمل المصحف إلى الناكثين، فأمرتهم عائشة بقتله الخ..

ونقول:

إن لقراءته «عليه السلام» للآية المباركة وهو يطوف على أصحابه أهدافاً ومقاصد شريفة، وإشارات لطيفة، لا مجال لبسط

---

(1) الآية 23 من سورة الإسراء.

(2) الآية 214 من سورة البقرة.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111 و 112 وأعيان الشيعة ج1 ص457.

القول فيها.. ولعل كثيراً منها لا تناله أفهامنا القاصرة. ولا تحيط به عقولنا، ولا تبلغه أوهامنا.. ولكننا عملاً بمقولة: ما لا يدرك كله، لا يترك جله، نشير إلى بضعة نقاط، هي التالية:

1 ـ إنه «عليه السلام» من خلال قراءته لهذه الآية على مسامع أصحابه قد أفهمهم: أن عليهم أن يكون لهم هدف نبيل وجليل في حياتهم، إذ لا معنى للحياة، بلا هدف، لأنها تصبح حياة عبثية، وبلا قيمة، ولا مبرر..

2 ـ إنه «عليه السلام» من موقع إمامته وقيادته للأمة، وكونه هو المربي لها، والمهتم بشؤونها، والعامل لرفع مستواها الإنساني، والإيماني والأخلاقي، والسلوكي، وهو الذي يذكي فيها الطموح، وينشر القيم، ويحدد الأهداف ـ إنه «عليه السلام» قد حدد لأصحابه ـ في أكثر اللحظات حساسية وأهمية هدفاً سامياً ونبيلاً، يتناسب مع إيمانهم وفكرهم، وسعيهم، وجهدهم، وجهادهم، وطموحهم.. وهو الحصول على رضا الله تعالى، أو نيل ألطافه ودخول جنانه..

3 ـ لقد أفهمهم: أن نيل الأماني لا يكون بمجرد التمني.. بل يحتاج إلى الجهد والعمل، والصبر على المصاعب..

4 ـ إنه «عليه السلام» قد أفهمهم أن ما يطلب منهم من جهد، وعمل وتضحية وصبر على المتاعب والمصاعب ليس أمراً ينفردون به، لكي يشعروا بالمرارة والمظلومية، بل هو السنة الإلهية الجارية في الخلق في كل زمان..

وأفهمهم أنهم ليسوا هم أول من تجري هذه السنة فيه، بل سبقتهم الأمم إلى خوض غمار التجربة.. فجدوا وجاهدوا، واجتهدوا وبذلوا، وصبروا.

ومن الطبيعي: أن الإنسان الذي يسير في الفلاة وحده يستوحش ويتردد، ويخاف، ويحاول الخروج والهروب من الواقع الذي هو فيه..

أما إذا عرف أنه ليس وحده، بل هو أحد الحلقات في سلسلة تتلاحق حلقاتها، أو قافلة سبقتها وستلحقها مثيلاتها، فسوف تسكن نفسه، ويطمئن قلبه، وترضى روحه..

5 - واللافت هنا: أنه تعالى لم يقل: ولمَّا يجر لكم ما جرى للذين من قبلكم.. بل قال: **(وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)**(1). حيث ضمَّن الكلام إلزامية حدوث ذلك التماثل في ترتب الآثار، وحصول الغايات، ولو قال: لمَّا يجر لكم، لم يفهم هذا المعنى، بل قد يفهم أن الأمر اتفاقي الحصول، وليس سنة من السنن..

6 - إن الآية قد ألمحت أيضاً إلى أن إتيان المثل هو الذي يحتاجون إليه، وليس إتيان خبر ذلك إليهم .. وإتيان المثل معناه التجسد العملي لما يشبه ما جرى للأمم السالفة..

7 - إن التعبير بكلمة «**لمَّا**» يفيد توقع واقتراب ومشارفة الحصول في الواقع العملي.. وارتهان الحصول على الجنة بهذا

---

(1) الآية 214 من سورة البقرة.

الحصول العملي.

8 ـ والتعبير بـ «**خَلَوْا**» لعله لإفادة انقطاع الصلة بالسابقين، وأنه لا يتحدث عن سابق اتصل زمانه بزمانهم..

9 ـ إنه «عليه السلام» قد أفهمهم أيضاً، من خلال هذه الآية المباركة: أن ما سوف يواجهونه سيكون في ثلاثة اتجاهات.

أولها: الشدائد التي تأتي من خارج نفس الإنسان، مثل الضائقة المالية، أو شح المياه، أو ذهاب الجاه، أو المصيبة في الأهل، أو غير ذلك.. فإن البأساء ضد النعماء..

الثاني: ما يلحق الإنسان من ضرر وسوء حال في نفسه، مثل القتل، أو الجرح، أو المرض، أو نقص جارحة. وهو ما يسمى بالضراء، في مقابل السراء..

والمراد: أن تمسهم البأساء والضراء بآلامها، لا مجرد عروضها..

الثالث: المصائب والفتن والبلايا الهائلة، الموجبة لاضطراب الأحوال، وعدم الثبات، والتزلزل الذي يعني عدم القدرة على حسم الأمور، بسبب الاضطراب في فهم الأمور، وعدم القدرة على اتخاذ القرار، ثم العجز عن الإجراء والتنفيذ..

10 ـ وهذه الأمور الثلاثة هي الوصف الدقيق للحالة التي كان يواجهها الناس في حرب الجمل.. فإن للحرب ضغوطها وشدائدها النفسية، والإقتصادية، في مجال العلاقات، وفيها الكثير من الأخطار،

التي تتهدد الإنسان المسلم في دينه، وفي دنياه على كل صعيد..

وتلامس هذه الضراء، والبأساء بأجلى وأدق المعاني وجود الإنسان المسلم، وحياته، وكل واقعه، وفي جميع المجالات..

هذا بالإضافة إلى الإحراجات، وإلى تأثير الشبهات والشائعات على كل صعيد.

إذ يكفي أن ينظر الإنسان في الواقع من حوله، فيرى في هذا الجانب إمامه علياً «عليه السلام»، ووصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخاه، وزوج ابنته، وصاحب بيعة يوم الغدير، وأفضل الخلق، وأعلمهم، وأقربهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. والخليفة الذي أجمعت الأمة عليه، وأرادته على الخلافة، فتمنَّع من قبولها أياماً كثيرة، ثم قبلها.. وهو الذي أصبح الخروج عليه محرماً بنص القرآن الكريم إلخ..

وينظر إلى الجهة الأخرى، فيرى فيها: عائشة زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأم المؤمنين، وبنت أبي بكر، ومدللة عمر، وهي المرأة الجريئة، وذات النفوذ الواسع.. التي جاءت لتكرس نهجاً يقوم على مخالفة القرآن والسنة، ويسعى إلى تغيير النظام بالقوة..

وهي تطلق شعار الأخذ بثأر عثمان، وقد يتوهم الناس: أنه شعار معقول في ظاهره، وقليل هم الذين يعرفون مكامن الخلل فيه.. وهو أيضاً يسمع زعماء الناكثين يتهمون علياً «عليه السلام» بدم عثمان..

فيتحير في موقفه، ولا يدري مع من يكون، ومن يحارب، وقد لا

يكون قادراً على حسم خياره بسهولة.. فيقع في المحذور الكبير والخطير.

11 - ومن جهة أخرى: إن كل ناظر من حوله، من أنصار عائشة بالخصوص، سيجد شراسة هائلة لدى أصحاب علي «عليه السلام» في دفاعهم عن الحق. وعن أهله.. وسخاء لا يوصف بالأرواح في نصرة الدين وأهل الدين..

كما سيرى أن أصحاب علي «عليه السلام» سيجدون لدى أصحاب عائشة إصراراً عظيماً على نصرتها، وحرصاً لا يوصف على بذل الأنفس والأرواح دفاعاً عنها.. وسوف تمسهم البأساء والضراء بذلك.. دون أن يكون لهم منهما أي خلاص أو مناص..

كما أن الناس سوف يواجهون في مثل هذه الحال سيلاً هائلاً من الشائعات والشبهات المضللة، التي تريد أن تجعل الباطل حقاً والحق باطلاً.. وسيهتز كيانهم وكل وجودهم، من الأعماق أيضاً نتيجة لذلك..

وسيقول علي «عليه السلام» والذين آمنوا معه، وهم يواجهون ذلك كله بصبر وأناة: متى نصر الله، لأنهم يعرفون ويشعرون: أن القوة لله جميعاً وأن النصر لا بد أن يأتي من عنده، فهم يتوقعونه، منه ولا يعتمدون إلا عليه، لا على قدراتهم الذاتية..

12 - وتأتيهم بشائر النصر الإلهي القريب من خلال علامات ودلالات، كثيرة تظهر لهم، ولعل منها: قتل طلحة في بدايات المعركة، فضلاً عن ظهور خذلان الناكثين من خلال اعترافاتهم

العملية والقولية بما يبطل دعاواهم.. كما حصل من الزبير حين اعترف لعلي «عليه السلام» بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، له عن علي «عليه السلام»: «ستقاتله وأنت له ظالم».. ثم تراجعه عن الحرب، وإن كان قد عاد إليها، فهزم شر هزيمة وقتل..

13 - وأما الدعاء الذي دعا به «عليه السلام» لأصحابه بعد تلاوته هذه الآية، فقد تضمن أموراً ثلاثة، هي:

ألف: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر..

ب: أعزّ لنا ولكم النصر.

ج: وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر(1).

دعاء.. وابتهال:

1 - قال الإمام الصادق «عليه السلام»: لما توافق [لعل الصحيح: تواقف] الناس يوم الجمل، خرج علي «صلوات الله عليه» حتى وقف بين الصفين، ثم رفع يده نحو السماء، ثم قال: يا خير من أفضت إليه القلوب، ودعي بالألسن، يا حسن البلايا، يا جزيل العطاء، احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين(2).

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111 و 112 وأعيان الشيعة ج1 ص457.

(2) شرح الأخبار ج1 ص387 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص225 عنه، ومستدرك الوسائل ج11 ص108 ونهج السعادة ج6

2 ـ وعن الإمام علي «عليه السلام» ـ في دعائه يوم الجمل ـ: «اللهم إني أحمدك ـ وأنت للحمد أهل ـ على حسن صنعك إليَّ، وتعطفك علي، وعلى ما وصلتني به من نورك، وتداركتني به من رحمتك، وأسبغت علي من نعمتك، فقد اصطنعت عندي ـ يا مولاي ـ ما يحق لك به جهدي وشكري؛ لحسن عفوك، وبلائك القديم عندي، وتظاهر نعمائك علي، وتتابع أياديك لدي، لم أبلغ إحراز حظي، ولا صلاح نفسي.

ولكنك يا مولاي بدأتني أولاً بإحسانك، فهديتني لدينك، وعرفتني نفسك، وثبتني في أموري كلها بالكفاية والصنع لي، فصرفت عني جهد البلاء، ومنعت مني محذور الأشياء، فلست أذكر منك إلا جميلاً، ولم أر منك إلا تفضيلاً.

يا إلهي، كم من بلاء وجهد صرفته عني، وأريتنيه في غيري، فكم من نعمة أقررت بها عيني، وكم من صنيعة شريفة لك عندي.

إلهي أنت الذي تجيب عند الاضطرار دعوتي، وأنت الذي تنفس عند الغموم كربتي، وأنت الذي تأخذ لي من الأعداء بظلامتي، فما وجدتك ولا أجدك بعيداً مني حين أريدك، ولا منقبضاً عني حين أسألك، ولا معرضاً عني حين أدعوك، فأنت إلهي، أجد صنيعك عندي محموداً، وحسن بلائك عندي موجوداً، وجميع أفعالك عندي

ص294.

جميلاً، يحمدك لساني، وعقلي، وجوارحي، وجميع ما أقلت الأرض مني.

يا مولاي، أسألك بنورك الذي اشتققته من عظمتك، وعظمتك التي اشتققتها من مشيئتك، وأسألك باسمك الذي علا أن تمن علي بواجب شكري نعمتك.

رب ما أحرصني على ما زهدتني فيه وحثثتني عليه! إن لم تعني على دنياي بزهد، وعلى آخرتي بتقواي، هلكت.

ربي، دعتني دواعي الدنيا؛ من حرث النساء والبنين، فأجبتها سريعاً، وركنت إليها طائعاً. ودعتني دواعي الآخرة من الزهد والاجتهاد فكبوت لها، ولم أسارع إليها مسارعتي إلى الحطام الهامد، والهشيم البائد، والسراب الذاهب عن قليل.

رب خوفتني وشوقتني واحتجبت علي(1)، فما خفتك حق خوفك، وأخاف أن أكون قد تثبطت عن السعي لك، وتهاونت بشيء من احتجابك.

اللهم فاجعل في هذه الدنيا سعيي لك وفي طاعتك، واملأ قلبي خوفاً، وحوِّل تثبيطي وتهاوني وتفريطي وكل ما أخافه من نفسي فَرَقَاً(2) منك، وصبراً على طاعتك، وعملاً به، يا ذا الجلال والاكرام.

---

(1) كذا. وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر «احتجبت» وهو أنسب.

(2) الفرق: الخوف والفزع. راجع: النهاية ج3 ص438.

واجعل جُنَّتي من الخطايا حصينة، وحسناتي مضاعفة؛ فإنك تضاعف لمن تشاء.

اللهم اجعل درجاتي في الجنان رفيعة، وأعوذ بك ربي من رفيع المطعم والمشرب، وأعوذ بك من شر ما أعلم ومن شر ما لا أعلم، وأعوذ بك من الفواحش كلها؛ ما ظهر منها وما بطن.

وأعوذ بك ربي أن أشتري الجهل بالعلم كما اشترى غيري، أو السفه بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الضلالة بالهدى، أو الكفر بالإيمان.

يا رب من علي بذلك؛ فإنك تتولى الصالحين، ولا تضيع أجر المحسنين، والحمد لله رب العالمين»**(1)**.

3 ـ قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: لما رأى أمير المؤمنين «عليه السلام» ما قدم عليه القوم من العناد، واستحلوه من سفك الدم الحرام، رفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم إليك شخصت الأبصار، وبُسطت الأيدي، وأفضت القلوب، وتقربت إليك بالأعمال، **(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ**

---

(1) مهج الدعوات 125 وبحار الأنوار ج94 ص234 ح9 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص225 و 227 عنهما، ومستدرك الوسائل ج11 ص110.

الْفَاتِحِينَ)[1]»[2].

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

رفع اليدين إلى السماء في الدعاء:

تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» رفع يديه بالدعاء نحو السماء.. وهذا يثير بعض الأسئلة، فهل الله تعالى في السماء ليرفع الداعي يديه إليه، ويطلب منه؟!

وما فائدة رفع اليدين على هذا النحو؟!

ويجاب بما يلي:

أولاً: إن الله تعالى كان ولا مكان.. وليس له مكان، فرفع اليدين إلى جهة السماء لا يعني أنه تعالى في السماء..

ثانياً: قد بينت الروايات: أن الله تعالى هو الذي أمرنا برفع أيدينا إلى جهة السماء حين الدعاء لعدة أسباب:

أولهما: إظهار التذلل والإستكانة، وعلامة على العبودية.

الثاني: إن الإنسان حين يحتاج إلى المعونة، فإنه سيبحث عن

---

(1) الآية 89 من سورة الأعراف.

(2) الجمل للمفيد ص341 و (ط مكتبة الداوري) ص182 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص225 عنه، ونهج السعادة ج6 ص295.

المعين، وسيتوقع الجهة التي يأتيه منها العون، وهو يشعر بأن من يعينه له تسلط وهيمنة وعظمة.. وجهة العلو هي التي ترمز إلى ذلك كله، بل إنك تجد حتى فراخ الطير ترفع رأسها فاغرة أفواهها تطلب الطعام وتتوقعه من الأعلى.

الثالث: إنه تعالى قد جعل العرش معدن الرزق، وقال تعالى: **(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)**[1].. فلاحظ ما يلي:

1 - روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين[2].

2 - كان فيما أوحى الله إلى موسى «عليه السلام»: ألقِ كفيك ذلاً بين يدي، كفعل العبد المستصرخ إلى سيده، فإذا فعلت ذلك رُحِمْتَ، وأنا أكرم القادرين[3].

---

(1) الآية 22 من سورة الذاريات.

(2) عدة الداعي ص182 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج7 ص46 و (الإسلامية) ج4 ص1100 عنه، وبحار الأنوار ج16 ص287 وج90 ص294 و 306 و 339 والأمالي للطوسي ج2 ص198 والدعوات للراوندي ص22 وكشف اللثام (ط.ج) ج4 ص152 و (ط.ق) ج1 ص237 وجواهر الكلام ج10 ص371 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص268 وتاريخ بغداد ج8 ص62 وسنن النبي للطباطبائي ص351 .

(3) الكافي ج8 ص46 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج7 ص47 و (الإسلامية) ج4 ص1100 وعدة الداعي ص182 و 183 والجواهر السنية ص36 و 75

3 - روي: أن زنديقاً سأل أبا عبد الله «عليه السلام» فقال: ما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟!

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق.

فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول «صلى الله عليه وآله» حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل[1].

4 - عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال:

إذا فرغ أحدكم من الصلاة، فليرفع يديه إلى السماء، ولينصب في الدعاء.

فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين، أليس الله في كل مكان؟!

وبحار الأنوار ج74 ص36 وج90 ص307 و أعلام الدين في صفات المؤمنين ص221.

(1) التوحيد للصدوق ص248 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج7 ص47 و (الإسلامية) ج4 ص1100 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص71 وبحار الأنوار ج3 ص30 و 331 وج10 ص133 وج90 ص309 ونور البراهين ج2 ص47 ونور الثقلين ج5 ص125.

قال: بلى.

قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟!

قال: أما تقرأ في القرآن: **(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)**؟![1]. فمن أين طلب الرزق إلا من موضعه؟! وموضع الرزق وما وعد الله السماء[2].

5 ـ وسأل أبو قرة الإمام الرضا «عليه السلام»: ما بالكم إذا دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟!

قال أبو الحسن «عليه السلام»: إن الله استعبد خلقه بضروب من العبادة..

إلى أن قال: واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع ببسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الاستكانة وعلامة العبودية والتذلل

---

(1) الآية 22 من سورة الذاريات.

(2) من لا يحضره الفقيه ج1 ص213 و (ط جماعة المدرسين) ج1 ص325 والخصال (حديث الأربع مئة) ج2 ص628 و 629 وعلل الشرائع ج2 ص344 وتهذيب الأحكام ج2 ص322 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج6 ص487 و (الإسلامية) ج1 ص1057 ومستدرك الوسائل ج5 ص185 وبحار الأنوار ج10 ص107 والوافي ج5 ص118 والحدائق ج8 ص511.

له(1).

الأدعية في الحرب:

أما ما يرتبط بمضامين هذه الأدعية، فهي جليلة وجميلة، وفيها من روائع المعاني ما يدهش العقول، ويذهل الألباب. وشرح ذلك يحتاج إلى وقت طويل، وتفرغ تام، وتأليف مستقل..

ونحن نسجل هنا ملاحظات يسيرة جداً تيمناً وتبركاً. فلاحظ ما يلي:

الدعاء بين الصفين، لماذا؟!.. وبماذا؟!

1 ـ لقد كان بإمكان علي «عليه السلام» أن يدعو الله تعالى بين جمع أصحابه، لكي يعبئهم روحياً، ويربطهم بالله، ويشحذ هممهم..

ولكنه آثر أن يدعو بين الصفين، لأنه إمام لجميع الناس شاء الناس أم أبوا. وعليه واجبات تجاه الجميع.. فإذا دعا بين الصفين فلعل أحداً من الفريق الآخر يتأثر بهذا الدعاء، ويراجع حساباته، ويبحث عن الحق الذي طلب علي «عليه السلام» من الله تعالى أن يحكم به بينه وبين الذين جاؤوا لحربه. والله خير حاكم بين عباده، لأنه لا يمكن أن

---

(1) الإحتجاج للطبرسي ج2 ص187 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج7 ص47 و (الإسلامية) ج4 ص1101 وبحار الأنوار ج10 ص346 وحياة الإمام الرضا للقرشي ج1 ص133.

يحكم بغير الحق والعدل.

2 - إن نفس طلب علي «عليه السلام» هذا في لحظة الإبتهال والدعاء، يدل على يقينه بأن الحق له، ومعه، وعلى أن مناوئيه ظالمون له، ومعتدون عليه..

3 - إن نفس تعبيره «عليه السلام» عن الذين نكثوا بيعته بـ «قومنا» يشير إلى أنه لا يزال يعتبرهم قومه إلى تلك اللحظة، ولكن الأمر يختلف من لحظة الإحتكام إلى السيف.. فيصير هؤلاء أمة، وأولئك أمة.

4 - واللافت هنا: أن محاربي علي «عليه السلام» قد ألغوا كل القواسم المشتركة والجوامع التي تجمع بينهم وبين علي «عليه السلام» وأصحابه ولجأوا إلى السلاح.. ولكن علياً «عليه السلام» قد أبقى على الجامع الأهم، وهو الحق ليكون هو الفيصل والحكم بينه وبين قومه..

وهذا غاية الإنصاف: أن يبذل لعدوه الرجوع إلى الحق، والإلتزام به في لحظة هي الأشد حرجاً، حيث تهيمن على الإنسان فيها حالة الغضب والتشنج والإنفعال. ويصبح كل همه هو الدفاع عن نفسه، والبطش بعدوه..

علاقة الإنسان بالله:

وقد لاحظنا: أن النص الثاني لدعاء علي «عليه السلام» قد بدأ

ببيان أصناف نعم الله، وفواضله، وإحسانه وأياديه لدى هذا الإنسان.. ليؤكد شعور الإنسان بالحضور بين يديه تعالى، وليبعث ومضات الحنين إليه تعالى، لتسهم في إشاعة جو رضي، وهني ينتهي بالرضا الإلهي الذي يغمر وجوده بالحنان، وقلبه بالمحبة، ويشيع الأنس في روحه، والسلام في حنايا وجوده، وليخجل من نفسه أن يراه الله في غير مواقع رضاه سبحانه، ويحقر كل عيش في غير مواقع الكرامة الإلهية. والألطاف والرعاية الربانية.

النصر من عند الله:

ثم إنه «عليه السلام» أشار في المقطع الثاني من كلامه إلى أن الله تعالى هو الملجأ له في الملمات وهو الآخذ له بظلامته من أعدائه، والصارف للبلاء عنه.. وهو يقول هذا أمام جيشه، الذي يواجه عدوه، ويريد أن يباشر القتال دفاعاً عن قضيته..

فقد يقال: إن هذا الكلام قد يدعو بعض مناصريه للتراخي في نصرته. لأنه يرى أن نصرته ليست ذات أهمية عنده، ولا تقع موضع الاستحسان لديه، فها هو ذا يصرح بذلك، وينسب كل شيء إلى الله تعالى.

ونجيب:

بأن هذا الكلام إنما يصح بالنسبة لمن كان منافقاً، أو ضعيف الإيمان.. أما المؤمنون الصادقون، فإن هذا اللجوء إلى الله يقوي من عزيمتهم، ويزيد من تصميمهم على نصرته، وهو يطمئنهم

ويسعدهم..

بل إن هذه الثقة بالله، وهذه التعابير الجازمة بأن الله تعالى كان دائماً معه وإلى جانبه في كل أحواله من شأنها إذا أحسن أصحابه فهمها أن تؤكد تصميمهم على نصرته وتزيدهم اندفاعاً وتفانياً في الدفاع عنه وعن قضيته، وحرصاً على الكون معه، وتضاعف سرورهم، وابتهاجهم به.

كما أن من شأن هذا أن يكبت أعداءه، ويكسر شوكتهم، ويضاعف ترددهم وربما يدعو بعضهم إلى إعادة النظر في موقفه.

على أن هذا السياق الذي ورد فيه هذا الدعاء الشريف قد يدعو مناوئيه أو بعضهم إلى السؤال عن تاريخ علي «عليه السلام»، ليلتمس الشواهد التي اعتمد عليها «عليه السلام» في إيراد هذا الدعاء بهذه التعابير اليقينية التي تحكي تاريخاً حافلاً بالمفردات التي ظهرت فيها هذه الرعاية الإلهية..

الفـــهـــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الحادي عشر: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.. 7

الباب العاشر: نصائح واحتجاجات في الميدان..

الفصل الأول: إحتجاجات ونصائح.. 43

الفصل الثاني: علي × يلقى الزبير.. 79

الفصل الثالث: وقفات مع لقاء علي × والزبير.. 103

الفصل الرابع: نظرة في لقاء علي × بطلحة والزبير.. 145

الفصل الخامس: قتل الزبير: حدث ودلالة.. 173

الفصل السادس: ترهات.. وأباطيل حول قتل الزبير.. 215

ملحق: لهذا ظلم الفرزدق... 237

الباب الحادي عشر: قبل العاصفة..

الفصل الأول: المواقع.. والرايات.. والدروع........................ 253

الفصل الثاني: خطاب القائد.. 301
الفصل الثالث: التعبئة الروحية....................................... 333
الفهارس:.. 357

2 ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الحادي عشر: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة..

أسئلة تحتاج إلى جواب: 9

قتال العدو في التشريع الإسلامي: 10

القتال لأجل الدنيا: 11

الإستشهاد في سبيل الله: 11

الإنتحار لماذا؟!: 12

النصوص الشرعية: اتجاهات ودلالات................................. 13

العمليات الإستشهادية في الدليل الشرعي: 14

أدلة لا تخلو من مناقشة:.. 15

1 ـ فاقتلوا أنفسكم: 15

2 ـ ذبح إسماعيل: 18

3 ـ قصة هارون المكي: 19
4 ـ ما جرى لآل ياسر: 20
5 ـ يحيى بن زيد: 21
6 ـ المعلى بن خنيس: 21
7 ـ صاحب فخ: 22
8 ـ جعفر يعقر فرسه: 23
أدلة ربما تكون أقرب وأصوب: 24
قتل النفس في الحديث والتاريخ: 25
ألف: قصة زيد بن علي: 25
ب: عرض المصحف في الجمل وصفين: 26
ج: كربلاء: 27
د: حبيب وبرير: 28
هـ: سعيد الحنفي: 29
و: مبيت علي × يوم الهجرة: 30
ز: مَنْ لم يبرأ مِنْ علي ×: 31
ح: ميثم التمار: 31
ط: الذي قتله مسيلمة: 32
ي: الزيارة رغم مخاطر الغرق: 32

ك: الفرار من الوباء: 34

الكلمة الأخيرة:... 37

نماذج تاريخية:... 38

الباب العاشر: نصائح واحتجاجات في الميدان..

الفصل الأول: إحتجاجات ونصائح..

جارية بن قدامة ينصح عائشة:... 45

عمار يسكت أصحاب الجمل: 47

غيرة الزبير: 49

إلى ماذا تدعين؟!: 50

نصائح عمار، وعلي × للناكثين:... 52

نصائح عمار بن ياسر:.. 52

خطاب عمار للناس: 54

تحصينات لجمل عائشة:... 55

الوصي في الناس، وعلى الناس: 56

علي × الوصي: 57

وصي النبي ’في أهله، وعلى أهله: 59

أريني قتلة عثمان:... 60

واقعتان أم واقعة واحدة؟!:... 61

لماذا أربعة فوارس؟!: 61
صنتم حلائلكم وقدتم أمكم: 62
الزبير حواري الرسول ’: 64
شلل أصبع طلحة: 66
الإعتزال خطأ:.. 69
محمد بن طلحة رجل عابد: 70
نصيب علي × من دم عثمان:.. 71
لماذا المطاولة، والتكرار؟!: 71
ألف: حجة علي × على عائشة:.. 73
ب: حجة علي × على طلحة والزبير: 75
حجة الناكثين: 75
عائشة، وتطوير أمر الجاهلية: 77

الفصل الثاني: علي × يلقى الزبير..

علي × والزبير في الميدان: 81
طلحة والزبير يواجهان علياً ×: 91
طلحة وعلي × مطالبات في الميدان: 95

الفصل الثالث: وقفات مع لقاء علي × والزبير..

تقديم وبيان:... 105
كلام المجلسي &:... 106

أبو الصلاح وطلحة بن عبيد الله: 106

الزبير بن العوام: 108

متى التقى الزبير بعلي ×؟!: 110

عتق مكحول لا يحل المشكلة:....................................... 113

وا حرباه بأسماء: 113

هل اعتنق الزبير علياً ×؟!: 118

قتل الله أولانا بدم عثمان:... 118

زهو علي ×:.. 120

النبي ’ يقرر الزبير ثم يحكم عليه:.................................. 121

العار الذي لا يغسل: 122

من أضله الله على علم:.. 123

أسباب عودة الزبير للقتال:... 125

أخزاك الله من ولد ما أشأمك؟!:.................................... 130

أبالجبن تعيرني؟!:.. 132

الزبير لم ينصرف عن الحرب:...................................... 133

المفيد & وتوبة الزبير:... 134

الدليل الأول: 135

الدليل الثاني: 136
بين رواية الأربلي، ورواية البلاذري:.............................. 139
اللقاء بالزبير أكثر من مرة: 140
الزبير جاء ليصلح بين الناس:... 141
لا يرى علياً أهلاً، ولا أولى بالأمر:.................................. 142
الفصل الرابع: نظرة في لقاء علي × بطلحة والزبير..
أحرى الرجلين إن ذكر أن يذكر: 147
غِيرة، أم أنانية؟!: 148
بماذا وعظهما علي ×؟!:.. 149
ألم أكن أخاكما؟!:.. 152
الإحتجاج بحديث الغدير:.. 153
طلحة لم يرجع عن الحرب: 155
طلحة يعود للشورى العمرية: 158
إرجاع الأمر شورى لماذا؟!:.. 160
أصحاب الجمل والنهروان ملعونون؟!: 162
الزبير يتملص ويكابر:... 164
حجج الزبير في مهب الريح:... 164
ألف: من أهل بدر: 165

ب: أوجب طلحة:... 165

ج: العشرة المبشرة:... 169

صلاة ابن الزبير بالجيش: 171

قاعدة الإلزام: 172

الفصل الخامس: قتل الزبير: حدث ودلالة..

الزبير يفتتح القتال:.. 175

عمار لا يريد قتل الزبير: 177

مقتل الزبير بن العوام:.. 179

إختلاف الروايات:.. 187

من الذي أجار الزبير؟!:.. 187

يا حواري رسول الله ’: 188

قطع رأس الزبير!!: 190

سيف الزبير: 191

هل قتل الزبير غدراً؟!: 193

بشِّر قاتل ابن صفية بالنار: 195

ألم نكن معكم؟!: 198

جرَّأتهم قصة حاطب:... 201

الزبير أقرب إليَّ:... 204

صحبة الزبير وقرابته لم تفده:.. 206

دخول الشيطان في منخري الزبير: 206

الجائزة يا أمير المؤمنين: 207

قتل الزبير وهو منهزم:.. 208

هرب الزبير:.. 208

الفصل السادس: ترهات.. وأباطيل حول قتل الزبير..

الزبير راجلاً: 217

الزبير أول من سل سيفاً:.. 220

من روايات سيف:.. 223

الزبير قتل وهو منهزم:... 227

حواري الرسول ’:.. 228

القعقاع.. وطلحة:.. 228

عائشة تأمر كعباً بعرض المصحف:...................................... 229

علي × والأحنف: 229

عاتكة ترثي زوجها الزبير:.. 232

جرير يرثي الزبير: 234

ملحق: لهذا ظلم الفرزدق..

لماذا أنت يا جرير؟!: 239

قصيدة الفرزدق:... 240

لمن هذه القصيدة؟!: 247

الباب الحادي عشر: قبل العاصفة..

الفصل الأول: المواقع.. والرايات.. والدروع..

أين مثرى القوم؟!: 255

علي × يناشد ويحتج: 256

قادة جيش علي ×: 257

قادة علي ×: 258

توزيع القبائل في الميدان: 261

مضر لمضر، وربيعة لربيعة: 263

الرايات.. والرياسات: 265

درع الرسول ورايته: 267

هذه راية لا ترد: 271

وصايا علي × لجيشه: 272

رايتك قدمها: 273

إيضاحات سريعة: 274

كفى بالأجل حارساً: 275

نوم علي × في ساحة الحرب: 276

هل هذه من حكايات القصاصين؟!: 278

الراية راية رسول الله ’: 280
قتل ابن بديل:.. 281
الدرع، والراية، والبغلة لرسول الله ’:................................ 282
إرث النبي ’ عند علي ×:... 284
الدرع التي قصرها ابن الحنفية: 286
هز سيفه حتى رضيه: 288
فرق للهجوم: 288
موقع راية الجيش وأهميتها: 289
ابن سور يتقلد المصحف: 290
الراية هي الرمز:.. 291
للراية أهلها: 291
ادعوا لي ابني:... 292
الحسنان والراية: 293
عائشة هي المحور: 294
كن مهاجماً:.. 294
الريح والنصر:.. 295
قف حتى آمرك:.. 296
توجيهات للمقاتلين:... 296

من كانت الأنصار عيبته: 299

الفصل الثاني: خطاب القائد..

الخطاب العتيد:.. 303
القيادة تصارح قاعدتها: 305
ودعوى القوي كدعوى السباع: 306
أنصف القارة من راماها: 310
لألف ضربة بالسيف لأهون من ميته على فراش:.................. 311
اللهم خذ طلحة ولا تمهله:.. 313
اللهم أكفني الزبير اليوم بما شئت:.................................... 315
لا تعجلوا حتى أعذر إليهم: 316
مناشدات علي × في الميدان:.. 319
الإقرار سيد الحجج:.. 321
مبررات نكث البيعة:... 322
المخالفة الشرعية والوجدانية:... 324
إما السيف.. وإما الكفر: 325
علام نقاتلهم؟!:... 326
يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض: 328
الإبهام توطئة لمزيد من الوضوح: 329

الفصل الثالث: التعبئة الروحية..

أفرغ الله علينا الصبر: 335
أعز لنا ولكم النصر: 337
كان الله ظهيرنا في كل أمر: 338
لماذا خصوص هذه الآية؟!: 340
دعاء.. وابتهال: 346
رفع اليدين إلى السماء في الدعاء: 349
الأدعية في الحرب: 353
الدعاء بين الصفين، لماذا؟!.. وبماذا؟! 353
علاقة الإنسان بالله: 354
النصر من عند الله: 355

الفهارس:

1 ـ الفهرس الإجمالي: 359
2 ـ الفهرس التفصيلي: 361